



الامانة العامة  
للعبئة الحسينية المقدسة

مهرجان تراتيل سجادية العاشر

# رحلة حقوقية

في رسالة الحقوق

للإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ

الجزء الأول

تأليف

إبراهيم سلمان بوخمسين

دارُ الوارث للطباعة والنشر

عنوان الكتاب : رحلة حقوقية في رسالة الطريق للإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ

إعداد : إبراهيم سلمان بوخمسين

الناشر : الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة - مهرجان تراتيل سجادية العاشر

الإشراف والتنسيق والمتابعة : السيد جمال الدين الشهرستاني

المطبعة : دار الوارث للطباعة والنشر

الطبعة : الأولى

سنة النشر : ٢٠٢٤ م - ١٤٤٦ هـ

عدد الصفحات : ٤٢٤

محفوظة  
جميع الحقوق



دار الوارث للطباعة والنشر  
DARALWARITH Printing & Publishing

العراق - كربلاء المقدسة  
المكتب الرئيسي، سيف سعدة خلف المخازن الغذائية  
٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٣ - ٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٤

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بالحمد نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وقَدَّرَ فهدى، وعلم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصّلاة،  
والسّلام على خير من مشى على الأرض، وسيد الأنام أبي القاسم محمّد، وعلى آله البدور  
التّمام....

وبعد...

فبفضل الله عزّ وجلّ، ومنّه وصلّنا إلى النّسخة العاشرة من مهرجان (تراثيل سجّاديّة)  
المخصّص في سيرة، الإمام السّجّاد، وحياته، وتراثه، ولكلّ سنة شعار، ومشاركون جدّد،  
ومطبوعات جديدة، وباحثون يقدّمون بحوثهم على قاعات الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة  
المقدّسة إنّ قيمة الصحيفة السّجّاديّة (زبور آل محمّد) واضحة في أعداد الشروح التي  
تناولتها، والأعلام الذين اشتغلوا بها، وعليها، والصّحيفة هي من نتاج حياة الإمام عليّ  
بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام) ؛ فكان التّركيز من قبل علمائنا، وكتّابنا،  
و أدبائنا على هذا الإرث الثّري بالتّقوى، والعلم، والأدب، والهداية.

إنّ ما يثير الدهشة، والانتباه وفي لقاءاتنا مع المفكرين، وعلماء الأديان الأخرى، ولا سيّما  
المسيحيّون وجدت لديهم الاهتمام الكبير بالصّحيفة السجّاديّة، والمناجاة الخمس عشرة،  
ورسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السّلام).

ونحن نقدّم لكم هذ الكتاب مشاركةً، ودعماً لمكتبة الإمام زين العابدين عليّ بن  
الحسين (عليهما السّلام) علماً أنّ الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، وبتكليفها إدارة  
المهرجان لاستقبال كلّ ما يصدر من جديد في الإمام زين العابدين السّجّاد (عليه السّلام)،  
وطوال العام.

السيد جمال الدين الشهرستاني

رئيس اللجنة التحضيرية

لمهرجان تراثيل سجّادية







## إهداء

إلى زين العابدين وسيد الساجدين

إلى صاحب زبور آل محمد

إلى صاحب رسالة الحقوق التي لا مثيل لها

إلى المغلول بسلاسل الطغاة وواضع الأغلال عن أعناق العباد

إلى سليل الحسين وعلي ومحمد الإمام علي ابن الحسين

إلى القارئ الكريم، إلى كل متطلع إلى حياة كريمة عمادها صلة الله وصلة الناس  
على ما جاء في هذه الرسالة العظيمة.

إلى روح ابي وأمي

إلى فتاة الواحيتين الصابرة والمشجعة لمواصلة طريق البحث والكتابة

أهدي هذا العمل المتواضع



## تخميس قصيدة الفرزدق في الإمام زين العابدين

للمشاعر / ناجي بن داود الحرز

تكرم علينا الشاعر الكبير ناجي بن داود الحرز صاحب منتدى الينابيع الهجرية بتخميس قصيدة الفرزدق في الإمام زين العابدين، والحق يقال فإنه قد اجاد وأفاد، اذ ان هذا الضرب من فنون الشعر التي لا يتاح لأي احد الخوض فيه والإجادة الا من كانت لديه ملكة شعرية قوية حتى كأنك لا تكاد تفرق بين أصل القصيدة وبين تخميسها.

وأنا أشكره كل الشكر ولقت رأيت ان اجعلها في مقدمة بحثي هذا حيث ان كل معاني هذه القصيدة أصلها وتخميسها تخص إمامنا زين العابدين وصاحب رسالة الحقوق محل البحث.

الحمد لله ما خط الهدى القلم  
وما أزاح شكوك الحائر الكلم  
أو قلتُ إنْ جاءني للفصل مُحْتَكُمُ  
يا سائلي أين حلّ الجود والكرم  
عندي بيانٌ إذا طلابه قدّموا

فقد حباني ربّ البيت مُدَّكَرًا  
 تلوتُ في فضل آل المصطفى سِوَرًا  
 عرفتُ منها ملوك الحق والأمرًا  
 إذا أتاني فتى يستامني خَبَرًا  
 فإنَّ فضل عليّ ليس ينكتم

هذا الذي كانت الأنوارُ حماتهُ  
 قَدَمًا وصاغت حجور الطهر نشأتَهُ  
 فردد الدهر مزهواً إشادَتَهُ  
 هذا الذي تعرف البطحاء وطأتَهُ  
 والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن مَن شيدوا الإسلام واعتزموا  
 وأسسوا جبهة الإيمان وانتظموا  
 هذا ابن من جاهدوا في الله واقتحموا  
 هذا ابن خير عباد الله كلهم  
 هذا التقي النقي الطاهر العلم

إن جئت يوما الى العليا تسائلها  
 لمن أنيلَ من الأمجاد نائلها  
 قالت : لمن مَذْهَمي بالعز وابلها  
 إذا رآته قريش قال قائلها  
 الى مكارم هذا ينتهي الكرم

من ثلَّةٍ عند باري الخلق قد كبرت  
 يُستذكر العدل والتوحيد إنْ ذُكِرَتْ  
 أمشاج طينته النوراء قد طَهُرَتْ  
 يُنمي الى الذروة العليا التي قُصِرَتْ  
 عن نيلها عرب الإسلام والعجم

قد سار بالدين مخصوصاً بآيته  
وفاح عطرُ التقى نَشْراً لرايته  
مما يذعذع من زاكى هدايته  
يكاد يمسكه عرفان راحته  
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

يشتاقه البيت ولهاناً وزمزمه  
وتشرق الأرض إمّا لاح مبسمه  
أقسمت بالله حلّفا لست أكتمه  
لو يعلم البيت من قد جاء يلثمه  
لخر يلثم منه ما وطا القدم

في روحه من جلال الله منطلق  
في عينه من بهاء المصطفى ألق  
في قلبه من يقين المرتضى فلق  
في كفه خيزران ريحه عبق  
في كف أروع في عرينه شمم

حاز الوقار إلى أقصى نهايته  
وأسكن العزّ حصناً من حمايته  
إن جاءه سائل في بعض حاجته  
يغضي حياء ويغضي من مهابته  
فلا يكلم الا حين يبتسم

سبحان مَنْ بعَظِيم الفضل جَلَّله  
وبالتقى والنَّهى والصدق اكمله  
وفضله في كتاب الفصل أنزله  
مَنْ جده دان فضل الأنبياء له  
وفضل امته دانت له الامم

مِنْ معشر خصهم ربي بِخُصُوتِهِ  
واختارهم قادةً غُرّاً لدعوته  
إذا مشى مُشَبَّها طه بمشيتِهِ  
يبين نور الهدى من نور غرته  
كالشمس ينجاب عن اشراقها الظلم

مِنْ عزة الواحد العصماء عزُّهُ  
وَبُردة الفخر والأمجاد كسوُّهُ  
ومن أرومة دار الوحي منبِئُهُ  
مشتقةً من رسول الله نبعته  
طابت عناصره والخيم والشميم

قد طال مِنْ باذخ الانساب طائِلُهُ  
واحتل من مستطيل العز كاهلُهُ  
يامن تنفستَ نشوانا شمائله  
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله  
بجده انبياء الله قد ختموا

هذا الذي ربُّهُ ذو العرش قدَّمَهُ  
ومن سيوف بني سفيان سلَّمَهُ  
وبامتداد الهداة الغرَّ كرَّمَهُ  
الله شرفه قدما وعظَّمَهُ  
جرى بذلك له في لوحة القلم

قد طبّق الكون نشرٌ من مفاخره  
 وشع في الارض نورٌ من مآثره  
 يُعيدُه المجدُّ لحناً في منابره  
 وليس قولك من هذا بضائره  
 العرب تعرف من انكرت والعجم

من جاء يطرق باب الجود مُعترماً  
 ويأمل الرشد من أهليه مُغتتماً  
 لاقاه بالخير والانعام مبتسماً  
 كلتا يديه غياثٌ عمّ نفعهما  
 يستوكفان فلا يعرفهما عدم

تدور في الناس بالحسنى نواظِرُهُ  
 بالفضل والجود تأتيهم بشائِرُهُ  
 ولم تُدَلْ دون محتاج سوائِرُهُ  
 سهل الخليفة لا تخشى بوادره  
 يزينه اثنان حسن الخلق والشيم

في كفه باب فضل الله مُفتتحُ  
 والغيث بالغرة البيضاء يُمتنحُ  
 هوا الزعيم لمن جادوا ومن سمحوا  
 حمّال أثقال أقوام اذا افتدحوا  
 حلوا الشمائل يحلو عنده النعم

لأنت لمن حوله طبعاً عريكتهُ  
 وفي القلوب له مُدّت أريكتهُ  
 باللطف والعطف والمعروف عشرتهُ  
 لا يخلف الوعد ميمون نقيبته

رحب الفضاء اريب حين يعتزم

فاق النسائم لطفًا في تودده  
وبادَرَ الناس بالإنعام من يده  
مُذ فَجَّرَ الله فينا دفءَ مورده  
ما قال لا قط الا في تشهده  
لولا التشهد كانت لاؤه نعم

أتاحه الله للأيام فانتفعت  
وزاح عنها ليالي البؤس فانقشعت  
ونجمةُ السعد من افاقه لمعت  
عمّ البرية بالإحسان فانتفعت  
عنها الغياهب والاملاق والعدم

الناس من كل فجٍ حوله قدّموا  
رأوه موردَ فيض الفوز فازدحموا  
أليس ذاك وليّ الله قد علموا؟  
من معشر جبهم دين وبغضهموا  
كفر وقربهم منجى ومعتصم

إن عُدَّ أهلُ التقى كانوا ادلتهم  
إن عُدَّ اهل اللقى كانوا أسنتهم  
إن عُدَّ اهل الهدى كانوا أزمّتهم  
إن عد اهل التقى كانوا أئمتهم  
أو قيل من خير أهل الارض؟ قيل هم



تفجر الجودُ أنهاراً بساحتهم  
وأشرقت في الورى أنوارُ آيتهم  
يُنالُ كل الغنى من بعض منحتهم  
لا يستطيع جوادٌ بُعدَ غايتهم  
ولا يدانيهم قومٌ وإن كرموا

هم الشموس اذا ما ظلمةٌ قتمت  
هم الحصون اذا ما نكبةٌ دهمت  
هم السداد اذا ما ثلمةٌ ثلمت  
هم الغيوث اذا ما أزمةٌ ازمت  
والاسد اسد الشرى والناس تخترم

من جنة الخلد يسرى طيبُ نشرهم  
ومن مناهل طه صفوُ نبعهم  
ومن يمين عليٍّ دؤمُ جودهم  
لا يقبض العسر بسطا من اكفهم  
سيان ذلك ان أسروا وان عدموا

العاشقون لهم فالله خصهم  
بطينةٍ خارها من فضل طينهم  
وفي الجنان بدورٍ عند دورهم  
يُستدفع الشر والبلوى بحبهم  
فيسترب به الإحسان والنعم

لا يُسْتَطَاعُ عَلَى الْإِلَاءِ شُكْرُهُمْ  
 وَقُدْرَةُ اللَّهِ أَمْرٌ وَهِيَ أَمْرُهُمْ  
 كَانُوا وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانَ غَيْرُهُمْ  
 مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ

فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمُخْتَوَمٍ بِهِ الْكَلِمَ

لَا يَبْلُغُ الْعَالَمُ الرَّاقِي بِدَايَتِهِمْ  
 أَوْ يَدْرِكُ الظَّنُّ وَالْأَوْهَامُ غَايَتَهُمْ  
 وَلَا تَجُوزُ جَوَارِي الْفِكْرِ لَجَّتَهُمْ  
 يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الضِّيمُ سَاحَتَهُمْ

خَيْرَ عَمِيمٍ وَأَيْدِي بِالْنَدَى ضَخَمَ

وَهَكَذَا الْعِزُّ عِزًّا فَلْيَكُنْ وَكَذَا  
 فَلْيَعْمَلْ فَوْقَ سَمَاكِ الْخَافِقِينَ إِذَا  
 مَشَى عَلَيَّ عَلَى هَامِ الْعُلَى حَوْذَا  
 مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلَوِيَّةَ ذَا

الدين مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأَمَمُ





## مقدمة الكتاب

سعى الإنسان في تاريخه الطويل نحو التكامل وحاول جاهدا أن يحصل على حقوقه وأن يضع القوانين واللوائح التي تنظم له تلك الحقوق ليس حقوق الإنسان فقط بجنسيه وعمره وما يتعلق بها من جميع أنواع الحريات بل حتى حقوق الحيوان والنباتات والجمادات وغيرها. لذا نرى إن جميع الرسائل السماوية وكافة الرسل التي بعثها الله سبحانه كفلت كل تلك الحقوق وأنزلت التشريعات التي تبينها وتنظمها له تلك الحقوق، وما زالت الإنسانية تتدرج في الرقي حتى تم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان واعتمد بموجب قرار الجمعية العامة ٢١٧ الف (د - ٣) المؤرخ في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨، والذي يتكون من ٣٠ مادة (راجع كتاب حقوق الإنسان) ص ١٠٩ (للدكتور كمال سعدي مصطفى). ولكن حتى هذه الحقوق مع خالص الشكر لمن وضعها - تعد ناقصة - فهناك حقوق أخرى كحقوق الخالق المنعم بل حتى نحن في أنفسنا لنا وعلينا حقوق كحقوق الأفعال والجوارح وغيرها من الحقوق التي لم تتطرق لها هذه القرارات. وحرى بنا نحن الإمامية أن نفتخر بأن إمامنا الرابع الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام قد وضع للإنسانية ما يربو على الخمسين حقاً لم يبينها أحد قط قبله بذلك الترتيب والتنسيق والتكامل قبل ثلاثة عشر قرن ونصف وتسمى تلك بـ (رسالة الحقوق). حيث جاء في مقدمة هذه الرسالة قوله سلام الله عليه:

اعلم رحمك الله أن الله عليك حقوقاً محيطاً بك في كل حركة حركتها، أو سكونه

سكنتها، أو منزله نزلتها، أو جارحة قلبتها أو آلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرع، ثم ما أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك فجعل لبصرك عليك حقا، ولسمعك عليك حقا، وللسانك عليك حقا وليدك عليك حقا، ولرجلك عليك حقا، ولبطنك عليك حقا ولفرجك عليك حقا، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. ثم جعل عزوجل لأفعالك حقوقا: فجعل لصلاتك عليك حقا، ولصومك عليك حقا، ولصدقتك عليك حقا، ولهديك عليك حقا، ولأفعالك عليك حقا. ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقا أثمتك ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك.

فهذه حقوق يتشعب منها حقوق فحقوق أثمتك ثلاثة أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، ثم «حق» سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس إمام. وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم، فان الجاهل رعية العالم، وحق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت من الإيمان. وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة. فأوجبها عليك حق أمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب، والأول فالأول، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤذنك بالصلاة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرة بذلك بقول أو فعل عن تعمد منه أو

غير تعمد منه، ثم حق أهل ملتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الحادثة بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب.

فطوبى لمن أعانته الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووقفه وسدده.

إن الإمام وضع في هذه الرسالة برنامجاً متكاملًا للإنسان ينظم حياته العبادية حيث علاقته بخالقه وبرسله وبنفسه. ثم بجوارحه كلها وهي حقوق الجوارح، وينظم حياته الروحية وهي حقوق الأفعال كالصلاة والصوم والحج وغيرها، وينظم حياته العامة داخل المجتمع الكبير حيث حقوق الأئمة والرعية كحق السلطان والمعلم ومالك اليمين والزوجة وغيرها، وينظم حياته العائلية داخل المجتمع الصغير وعلاقته برحمه وأهل بيته وهي حقوق الرحم وينظم علاقته بالآخرين كحق المؤذن وإمام الصلاة والجلس والصديق والكبير والصغير وغيرها كثير وهي تحت حقوق الآخرين.

لقد قرأنا في مقدمة الإمام زين العابدين لرسالة الحقوق أن أصل كل الحقوق هو حق الله، وهو يؤيد ما جاء في خطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام بصفين من أن أصل كل الحقوق هو حق الله سبحانه وتعالى.

سؤال يطرح نفسه: ما منشأ كل الحقوق؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول أن منشأ كل الحقوق هو الله سبحانه وتعالى وذلك لسببين أحدهما منشأ نقلي والآخر منشأ عقلي:

فأما المنشأ النقلي هو قول أمير المؤمنين علي عليه السلام من خطبة له بصفين:

(فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةُ الثَّوَابِ تَفْضُلًا مِنْهُ، وَتَوْسَعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ).

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَكَافُؤاً فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ. وَأَعْظَمَ مَا افْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ، عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلِّ عَلَى كُلِّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لَا لِفَتِيهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ.... الى آخر كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقول الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في حق الله: اعلم رحمك الله أن الله عليك حقوقاً محيطية بك في كل حركة حركتها، أو سكونة سكنتها، أو منزله نزلتها، أو جارحة قلبتها أو آلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرع.

وأما المنشأ العقلي، فإن الله هو منشأ وأصل الحقوق وذلك لثلاثة اسباب:

اولاً: أن الله سبحانه وتعالى هو منشيء الوجود وخالقه وموجده وله الفاعلية فيه ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف: ٩)، وقوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ الحديد ٢٥، فالكلمات ارسلنا والبيّنات وانزلنا والكتاب والميزان والقسط كلها كلمات تدل على الحق والحقوق واقامة العدل وأن مصدرها الله سبحانه وتعالى والكلمات ليقوم الناس بالقسط والحديد وبأس شديد تدل على تنظيم تلك الحدود وتطبيقها إما عن طريق التوجيهات والتعليمات والترغيب والثواب، وإما عن طريق الإنذار والعقاب والعقوبة كما في كلمة الحديد، وبأس شديد. فالله هو علة كل شيء وما سواه معلول ومنها هذا الوجود والإنسان، ولولا الله لم يخلق الإنسان ولم يوجد وبالتالى لم توجد متعلقاته والتي منها النظم والحقوق التي تنظم حياته وسلوكه وتعامله.

ثانيا: أن الله سبحانه وتعالى هو الحافظ لهذا الوجود من الفناء والزوال ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (فاطر ٤١).

ثالثا: إن الله سبحانه هو الراعي والمنعم والمعطي والرازق ﴿وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (ابراهيم ٣٤).

ولقد حرصنا ان نذكر قبل كل حق شيئا من الشعر الذي قيل في الإمام أو مما قاله، ونبذة يسيرة من سيرة الإمام العطرة والتي تشمل جوانب حياته الشخصية بما يناسب كل حق، بدلا من أن نأتي بسيرته في مقدمة الكتاب على ما جرت به العادة.

لم تكن رسالة الحقوق كل ما رشح عن هذا الإمام العظيم، بل إنه (سلام الله عليه) كنز عظيم من المعلومات والمعارف الروحية وغير الروحية سطرها وترجمها هذا الإمام في الصحيفة السجادية، زبور آل محمد، والأدعية الأخرى كدعاء أبي حمزة الثمالي، ناهيك عن الأشعار والمواظع والأحاديث والحكم، التي تزرعها امهات الكتب. لقد بين الإمام الكثير من المفاهيم المغلوطة التي كان يعيشها المجتمع آنذاك، وحيث كان البعض ينتقد سكوت الإمام ومواقفه من الأحداث في زمانه متصورا أن الإمام عليه السلام ركن الى الراحة والدعة بدلا من الجهاد وكمثال على ذلك حينما التقى الإمام زين العابدين عليه السلام في رحلة الحج بأحد الصحابة «عباد البصري» فيقول للإمام: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج وليونه!، وإن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فأتهم الآية الإمام عليه السلام: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ثم قال عليه السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفاتهم، فلا نؤثر على الجهاد شيئا».

فعباد البصري قد اشتبه لديه الحق بالباطل، وهذا ما يحدث عند الكثيرين ممن يرون أنفسهم حافظين للقرآن دون إدراك لمعانيه وتفسيراته.

فمثلاً عندما يتلو أحدهم قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ولا يُتم بقية السورة ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ هنا يكون المعنى مبتوراً وغير تام...!!

ومن خلال رد الإمام السجاد يتبين أن الجوفي ذلك الوقت لم يكن مهياً للجهاد المسلح، حيث لم يوجد ثلة من الصحابة لتجاهد معه فالثلة المؤمنة قُتلت مع الإمام الحسين عليه السلام، وقد عانى الإمام في زمانه من غربة نفسية وغربة قلبية، فعندما استشهد والده بقي وحيداً بلا سند.

كما أنه قال عن المدينة المنورة التي أسسها جده ﷺ: «ليس في مكة والمدينة عشرين رجلاً يحبنا أهل البيت».

لماذا تدهورت الأوضاع في المدينة المنورة وموطن الرسول الأعظم ﷺ؟؟! السبب يعود إلى عهد الخلفاء الذين أقصوا أهل البيت عن الأمة وبدأ الفساد والتحريف فتشبع أهل المدينة من أفكار الخلفاء ومنهجهم... أما الشام فقد تسلمها معاوية في عهد الخلفاء فكان الوالي عليهم لفترة طويلة ولم يخضع لولاية وحكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والإمام الحسن من بعده أيضاً كان معاوية، ومن بعده جاء يزيد وبذلك تكون الشام قد تشبعت بالعهد الأموي وخاصة في عهد الحسن حيث تسلم معاوية زمام الخلافة الإسلامية وحتى يثبت ملكه استخدم اسلوبين مما أدى إلى انحراف الأمة:

### أولاً: الانحراف الثقافي: وقد حدث عن طريق:

١- تزوير التاريخ: فقد أسس معاوية لنفسه قاعدة تاريخية مزورة فنسب لنفسه مانسب من المناقب حيث ذكر بأنه كاتب الوحي وخال المؤمنين وما إلى ذلك.

٢- الانحراف العقائدي: فالقائد لابد أن يتسم بسلوكيات تؤهله للقيادة ولكنه



أبلى الأمة ببلاءات عديدة منها قتل حجر بن عدي، وقاتله للإمام علي عليه السلام وذلك كله يعتبر خروج على إمام زمانه...!!! ومن هذا المنطلق تم الترويج الأموي إلى أمور عقائدية فاسدة من ضمنها مبدأ الجبر ومبدأ التجسيد، فقليل أن الإنسان مجبر وليس خير فبرر معاوية تصرفاته بقوله: هذا ما أراد الله...!!!، بالإضافة إلى ابتعاد الناس عن الله عن طريق التجسيد الإلهي وتحريف الاعتقادات.

### ثانياً: الانحراف الأخلاقي:

ومن خلال الانحراف السابق ينتج الفساد الأخلاقي، فعندها يبرر كل شخص تابع لمعاوية بأنه مجبر على اتباعه ويجد لنفسه مخرج وتبريرات للسرقة والكذب والدجل وكالتصرفات اللا أخلاقية...!!!

وطالما وجد ظلم وانحراف في الأمة، إذن لابد من الجهاد وإن لم يكن جهاد مسلح بالضرورة، فكان دور الجهاد في زمن الإمام السجاد عليه السلام متمثلاً في تصحيح البعد التاريخي للأمة وتصحيح الانحرافات العقائدية.. وكان لابد من ثورة عقائدية وثورة تاريخية تمكنه من زراعة البعد الأخلاقي.

وهذا ما سعى إليه الإمام من خلال زرع هذه المعاني القيمة وقد نجح في ذلك أيما نجاح.

بناء على ذلك، حاولنا في هذه السطور أن نقيم رحلة ممتعة وجميلة ورائعة في حديقة (رسالة الحقوق) التي صدرت عن الإمام السجاد عليه السلام مستعينين مما تيسر لنا من مصادر وكتب تناولت هذه الرسالة بالقراءة والدراسة والتحليل، كما واستشهدنا ببعض الشعر المحلي حسبما دعت الحاجة إليه. وهدفنا من ذلك بث المزيد من الوعي الحقوقي تجسيدا للرسالة التي حملها الإمام زين العابدين عليه السلام، والله من وراء القصد.

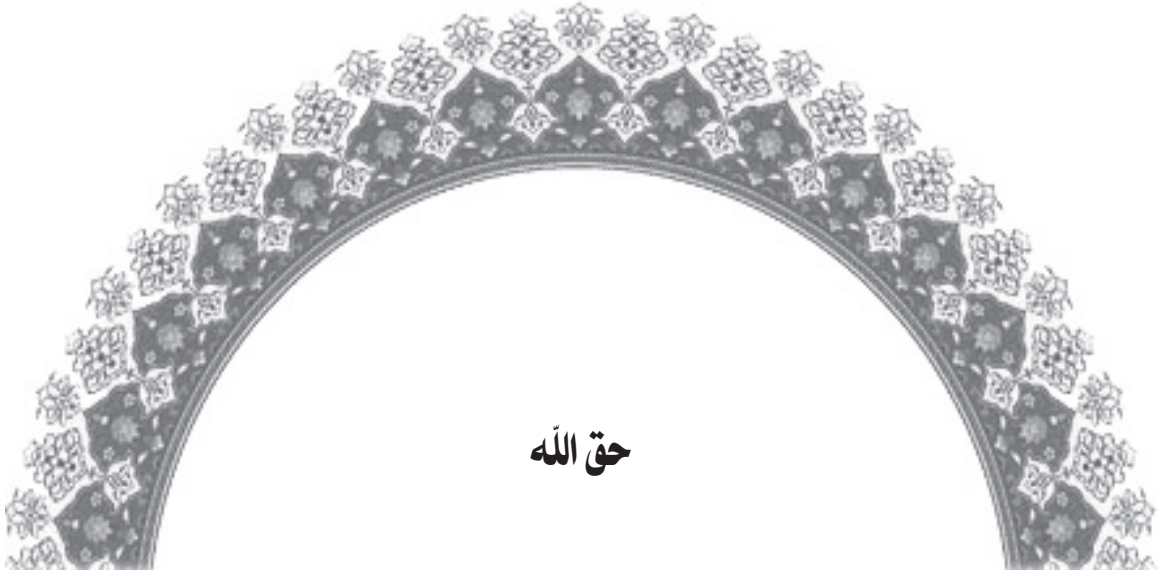
ولا أدعي أن كل ما جاء في هذا الكتاب هو من بنات أفكاره، بل هي اجتهادات آخرون استعنت بها بتصريف إضافة إلى اجتهادي، وأشارت إلى المصدر حيناً وأخرى إلى المؤلف ضمن طيات الكتاب، إضافة إلى ذكر جميع المراجع التي استعنت بها في مؤخر الكتاب. أقول هذا للأمانة العلمية راجياً أن يكون هذا العمل المتراكم في خدمة المكتبة الحقوقية.

فتى الأحساء

ابراهيم سلمان بوخمسين

١٤٣٨ هـ





## حق الله

ورد في الخصال، وشرح رسالة الحقوق لآية الله الطوسي :

أنت فاطمة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام إلى جابر بن عبد الله الأنصاري  
فقالت له: يا صاحب رسول الله ﷺ إن لنا عليكم حقوقاً ومن حقنا عليكم  
أن إذا رأيتم أحداً يهلك نفسه اجتهداً أن تذكروه الله وتدعوه إلى البقاء على  
نفسه وهذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين قد انخرم أنفه ونقبت جبهته وركبته  
وراحته، أذاب نفسه في العبادة».

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

حق الله

(فَأَمَّا حَقُّ اللَّهِ الْأَكْبَرُ فَإِنَّكَ تَعْبُدُهُ لَا تُشْرِكُ  
بِهِ شَيْئاً، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِإِخْلَاصٍ جَعَلَ  
لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكْفِيكَ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
وَيَحْفَظَ لَكَ مَا تُحِبُّ).

إن خير كتاب يوضح كيفية العبادة ومفهومها وماهيتها هو كتاب الله سبحانه وتعالى  
وهو القرآن الكريم، إذ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ (الرعد / ٣٦).

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر / ١١).

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات / ٥٦)

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ \* أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر / ٢ و ٣).

التوحيد بالمعنى الإسلامي معناه الرفض لكل الآلهة البشرية والحجرية المادية والمعنوية، والتوجه إلى الله الواحد الأحد بالعبادة والطاعة وشعار المسلم الذي يرفعه أمام الأنظار المتمثل بـ (لا اله إلا الله، محمد رسول الله) يتضمن هذا العمق والشمول فكما يتضمن الإيجابية والاعتراف بالله الواحد الأحد يصرخ برفض كل ما عداه فإن (لا اله) رفض مطلق لكل الآلهة التي صنعتها الأيدي البشرية أو العقول الضالة وبمقدار هذا الرفض يتأكد التوجه للإثبات (إلا الله) فالله واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في خصائصه (ليس كمثله شيء وهو اللطيف الخبير).

ومن هذا الإيمان القلبي العميق ومن هذا المنطلق الفكري السليم يتحرك المسلم لرفض الفراعنة البشرية التي ادعت الألوهية، كما ينطلق في رفض الطاعة للأوثان والأصنام التي خلقتها سفاهات الجهلاء وحقاقت المشعوذين.

أما معنى (محمد رسول الله) أننا نتلقى أحكام الله عن هذا الطريق الرسولي الخاص ولن نتلقاه من غيره، فمن آمن بالله دون أن يتخذ الطريق السليم إليه، الذي رسمه هو بذاته إليه لم يكن إيمانه بالله صحيحا. ولا مستقرا ولا تفكيره سليما وجيدا، بل يجب عليه أن يعيد النظر في هذا الإيمان ويصححه على القواعد التي ينسجم بعضها مع بعض حتى تأتي متناسقة متوافقة دون خلل أو تنافر أو اضطراب.

إن الإسلام يعد الإنسان عابدا لغير الله إذا اخذ تشريعه من دون الله ولذا نرى الإمام الصادق عليه السلام يسأل عن قول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيقول: (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم ولكن احلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون) وهكذا ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فعن الإمام الجواد عليه السلام قوله: من

أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله عبد وان كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس.

إن الإيمان بالله يفرض على الإنسان أن ينظر إليه نظر الربوبية المطلقة التي تملك الحياة كما تملك الموت، وتملك الأعمار كما تملك الأرزاق، تفرض عليه انه مملوك لله ملكا تكوينيا وتشريعيا، لا يجوز له التصرف والتحرك إلا بأمره وقوله لأنه وحده الذي فطر السموات والأرض وخلق الإنسان والأشياء.

وهذه النظرة إلى الله المملوءة بالإكبار والتعظيم تفرض على الإنسان أن يرى الله في أقواله وفي أفعاله وفي كل حركة من حركاته.

فالتوحيد لله وعدم الشرك به أساس من الأسس التي لا تقبل المساومة فقد حسم القرآن هذه القضية حينما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فالشرك بالله قضية قد فرغ الإسلام منها وحلها منذ اليوم الأول لنزوله.

قال الله جل شأنه في حديث قدسي ورد عن رسول الله ﷺ: أربع خصال واحدة لي، وواحدة لك. وواحدة فيما بينك وبين عبادي، فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا وأما التي لك فما عملت من خير جزيتك به، وأما التي بيني وبينك فمناك الدعاء وعلي الإجابة، وأما التي بيني وبين عبادي فأنت ترضى لهم ما ترضى لنفسك.

والإمام زين العابدين في هذه الرسالة يجعل من اكبر حقوق الله على هذا الإنسان أن يعبد لا يشرك به شيئا وفي مقابل هذا الإخلاص من العبد تكون كفاية الله له لأمر الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يشعر بالسعادة والاطمئنان في رحاب الله وفي الآخرة فوز بالخلود والجنان ورضوان من الله اكبر وهي غاية ما يحبه الإنسان ويسعى من اجله.

يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

«أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ،

فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَّلَهُ، وَمَنْ جَهَّلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّاهُ، وَمَنْ حَدَّاهُ فَقَدْ عَدَّاهُ، وَمَنْ قَالَ فِيهِ فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ عَلامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ. كَائِنْ لَا عَنْ حَدِيثٍ، مُوجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْأَلَّةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنظُورٌ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ».

أول الدين معرفته: وهي المعرفة المقرونة بالعمل الفعلي التي تترتب عليه آثاره في الخارج كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه».

والعلم والمعرفة بالشيء لا تكتمل الا اذا صدقه العمل ظاهرا وباطنا، بجنانه وأركانه وروحه وجسمه. وهذا هو الإيمان والتصديق الذي أشار اليه أمير المؤمنين (وكمال التصديق به توحيده).

ثم إن كمال التوحيد لا يأتي الا بالإنقياد الكامل لله والإخلاص له وهو الركن الثاني بعد معرفة الله عز وجل، وهو أن نعطي الإله حقه من الألوهية المنحصرة فيه، ولا تقتصر على مجرد التسمية له بأنه اله واحد، بل ننسب اليه كل ما في الوجود والكمال كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع وتبعاً لذلك الخضوع له والعبادة والرجاء والخوف والدعاء، وهذا هو كمال التوحيد.

غير ان معرفة الله سبحانه وتعالى لا تتأتى من غير أن يعرف الإنسان نفسه، من غير أن يعرف ذاته، وهذا ما اشارت اليه الأحاديث الشريفة وأشار اليه الأئمة المهديون، وفسره العرفاء والروحانيون.

### معرفة النفس:

حينما نفق مع صفحات العرفان للإمام الخميني مدني في كل مقالاته نجده يُقدِّم الحديث عن النفس ومعرفتها قبل أن يُشرق نور بيانه في سائر المطالب الإلهية

من قلم الحقيقة مغترفاً خبر الإسلام المحمديّ الأصيل من وراء الغيب، فوق الشمس وبأنامل ذهبية رسمت السبيل القويم إلى الغاية القصوى، فلماذا هذا التقديم يا ترى؟!

إنّ هذا التقديم ضرورة لا غنى عنها، ذلك أنّ معرفة النفس أول الطريق ونقطة الانطلاق إلى معرفة الحقّ تعالى فقد روي أنّ إحدى زوجات النبي ﷺ سألته: متى يعرف الإنسان ربّه؟ فقال: (إذا عرف نفسه)، وقال ﷺ: (أعرفكم بنفسه أعرّفكم ربّه)، وهي أنفع المعارف فكيف لا تكون مقدّمة على غيرها وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (معرفة النفس أعرّف المعارف)، ولو لاها لم يكن للإنسان معرفة ربّه بل الجهل بها مع طلبه أو ادعاء معرفته مدعاة لتعجّب الأنبياء والأولياء كما عن إمام السالكين والعارفين أمير المؤمنين عليه السلام: (عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربّه).<sup>(١)</sup>

لذلك بدأ الإمام عليه السلام بتعريف النفس الإنسانيّة وبيان مقاماتها ومدارجها قبل الحديث عن مخاطر الطريق والسبيل إلى الأمن منها.

وهنا تجدر الإشارة إلى حديث النبي الأعظم ﷺ لرجل اسمه مجاشع، فقال: يا رسول الله، كيف الطريق إلى معرفة الحقّ؟

فقال ﷺ: «معرفة النفس»

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى موافقة الحقّ؟

قال ﷺ: «مخالفة النفس»، فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى رضی الحقّ؟

قال ﷺ: «سخط النفس»

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى وصل الحقّ؟

قال ﷺ: «هجر النفس»

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى طاعة الحقّ؟

قال ﷺ: «عصيان النفس»

(١) ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النحل: ١٨.

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى ذكر الحق؟

قال ﷺ: «نسيان النفس»

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى قرب الحق؟

قال ﷺ: «التباعد من النفس»

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى أنس الحق؟

قال ﷺ: «الوحشة من النفس»

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى ذلك؟

قال ﷺ: «الاستعانة بالحق على النفس»

بهذا تتضح السلسلة الجهادية التي على رأسها معرفة النفس لأن من جهلها جهل الحق تعالى، وهذا ما يؤكد عليه الإمام الخميني مُنْتَقَلٌ في كتابه جهاد النفس (الفصل الثاني - حقيقة النفس).

على أن مجاهدة النفس ليست في مقام الظاهر وحسب بل تعم الباطن لأن المطلوب فيها الانقياد التام والخضوع الكامل لكافة مراتب الإنسان الباطنية إضافة إلى الظاهرية وإلا إذا لم تكن المراتب بأجمعها منقاداً لا يمكن أن تتحقق العبودية الحقة؛ ضرورة أن العبد الحقيقي هو الذي يُطيع مولاه بكل وجوده وطالما كان قادراً على ذلك ومختاراً يمكنه إخضاع المملكتين للحق تعالى «مملكة الظاهر ومملكة الباطن» فإن ترك مرتبة منها لن يصل إلى رتبة العبودية الصادقة، مع الاعتراف بأن ذلك لا يحصل بشكل دفعي ومرة واحدة وإنما يحتاج الوصول إلى مقام الطاعة الكاملة والخضوع التام إلى التدرج شيئاً فشيئاً فيكون انقياد الظاهر مقدّمة مساعدة على انقياد الباطن ليصل الإنسان في النهاية إلى كمال الانقياد لنفسه ويكتب عبداً حقيقياً فمن هنا تبرز العلاقة بين الجانبين بشكلٍ ضروري.

يقول مُنْتَقَلٌ في بيان المقام الأول للنفس: «إن مقام النفس الأول ومنزلها الأدنى



والأسفل، هو منزل الملك والظاهر وعالمهما، وفي هذا المقام تتألق الأشعة والأنوار الغيبية في هذا الجسد المادي والهيكل الظاهري وتمنحه الحياة العرضية، وتجهز فيه الجيوش فتكون ساحة معركة النفس وجهادها نفس هذا الجسد، وجنودها هي قواها الظاهرية التي وجدت في الأقاليم الملكية السبعة وهي: الأذن والعين واللسان والبطن والفرج واليد والرجل.

**والمقام الثاني:** والكلام للإمام ثُمَّ «مملكته الباطنية ونشأتها المملوكية، وفيها تكون جنود النفس أكثر وأهمّ ممّا في مملكة الظاهر، والصراع والنزاع فيها بين الجنود الرحمانية والشیطانية أعظم والغلبة والانتصار فيها أشدّ وأهمّ، بل وإنّ كلّ ما في مملكة الظاهر قد تنزّل من هناك وتظهر في عالم الملك، وإذا تغلب أيّ من الجند الرحانيّ أو الشیطانيّ في تلك المملكة، يتغلب أيضاً في هذه المملكة، وجهاد النفس في هذا المقام مهمٌّ للغاية، عند المشايخ العظام من أهل السلوك والأخلاق، بل ويُمكن اعتبار هذا المقام منبع جميع السعادات والتعاسات والدرجات والدركات».

وفي الكافي، عن الصادق عليه السلام: في معنى تعريف العبادة قال: العبادة ثلاثة: قوم عبدوا الله خوفاً، فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عز وجل حبا، فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة.

**وفي نهج البلاغة:** إن قوما عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار، وإن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوما عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار.

وفي العلل، والمجالس، والخصال، عن الصادق عليه السلام: إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهو الطمع، وآخرون يعبدونه خوفاً من النار فتلك عبادة العبيد، وهي رهبة، ولكني أعبدته حباً له عز وجل فتلك عبادة الكرام، لقوله عز وجل: ﴿وَهُمْ مِّنْ فِرْعَ يَوْمٍ إِذِ امْنُونٌ﴾.

ولقوله عز وجل ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فمن أحب

الله عز وجل أحبه، و من أحبه الله كان من الأمنين، وهذا مقام مكنون لا يمسسه إلا المطهرون.

وقد تبين معنى الروايات مما مر من البيان، وتوصيفهم عليه السلام عبادة الأحرار تارة بالشكر وتارة بالحب، لكون مرجعها واحدا، فإن الشكر وضع الشيء المنعم به في محله، والعبادة شكرها أن تكون لله الذي يستحقها لذاته، فيعبد الله لأنه الله، أي لأنه مستجمع لجميع صفات الجمال والجلال بذاته، فهو الجميل بذاته المحبوب لذاته، فليس الحب إلا الميل إلى الجمال والانجذاب نحوه، فقولنا فيه تعالى هو معبود لأنه هو، وهو معبود لأنه جميل محبوب، وهو معبود لأنه منعم مشكور بالعبادة يرجع جميعها إلى معنى واحد.

وروي بطريق عامي عن الصادق عليه السلام: في قوله تعالى: إياك نعبد الآية، يعني: لا نريد منك غيرك ولا نعبدك بالعوض والبدل: كما يعبدك الجاهلون بك المغيبون عنك.

قيل إن الإسلام على أربعة أقسام وهي (العقائد) وهو أخطر ما في الدين، فإن صحت صحَّ العمل، وإن فسدت فسدت العمل، والقسم الثاني (العبادات)، والقسم الثالث (المعاملات)، والقسم الرابع (الآداب).

ومن هنا فالعبادة بأوسع معانيها، ليست أن تؤدي الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وانتهى كل شيء، وإنما العبادة منهج تفصيلي من عند الخالق، من عند الخبير، من عند العليم، من عند الرحيم، من عند القوي، من عند الغني، منهج جاءنا من وحي السماء.

وقد ورد في تعريف العبادة أنها طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

هذا التعريف الجميل، الجامع، المانع، فيه كليات ثلاث: الأولى هي (كليه معرفية) فالذي يعبد الله لا بدّ من أن يعرفه، ومعرفة الله أصل الدين، هذا الكلام قاله

الإمام علي عليه السلام في الحديث الذي ورد قبل قليل فأنت تعبد الها لا بد أن تعرفه، تصلي لمن؟ تصوم لمن؟ تحج لمن؟ تغض البصر لمن؟ تنفق مالك لمن؟ لا بد من أن تعرف الله، ولا بد من أن تلتزم، لا بد من أن تخضع حركتك في الحياة لمنهج تفصيلي دقيق عميق متناسق، ملخصه افعل ولا تفعل، فلا بد من معرفة الله أولاً، ولا بد من تطبيق لأمره ثانياً، فيكون إيقاع حركتك في الحياة وفق منهجه.

**والثانية:** (كلية سلوكية) وهي الأصل، لأن الدين كله على اختلاف نشاطه، وعباداته، وأوامره، ونواهيه، ينبغي أن يسوقك إلى الاتصال بالله، بسبب استقامتك على أمره، فإن لم تستقم لن تقطف من ثمار الدين شيئاً، بمعنى أن العبادة سلوك، وكمثال على العبادة السلوكية «العبادة التعاملية» وهو ما قاله سيدنا جعفر الطيار حينما قابل ملك الحبشة وسأله عن الإسلام فأجابه:

(أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه).

هذه أركان الأخلاق، إن حدثك فهو صادق، وإن عاملك فهو أمين، وإن استثيرت شهوته فهو عفيف.

(حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِئَوْحَدَهُ وَنَعْبُدَهُ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان) دققوا في تعريف العبادة التعاملية وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء)

### العبادة التعاملية والعبادة الشعائرية :

إذاً العبادة التعاملية أن تكون صادقاً، أن تكون أميناً، أن تكون عفيفاً، أن تكون منصفاً، أن تكون رحيماً، أن تكون عفواً، أن تكون لطيفاً، أن تكون رؤوفاً، مكارم الأخلاق، حتى قال أحد كبار العلماء: الإيمان هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد

عليك في الإيمان، حتى قال النبي عليه الصلاة والسلام:

(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

لذلك العبادة التعاملية الصدق، والأمانة، والاستقامة، والإنصاف، والوفاء بالوعد، وإنجاز العهد، هذه العبادة التعاملية.

في المقابل الآخر العبادة الشعائرية: وهي الصلاة والصوم والحج والزكاة وما الى ذلك.

فالعبادة التعاملية هي مكارم الأخلاق، والعبادة الشعائرية الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة. ولا تصح العبادة الشعائرية ولا تقبل إلا إذا صحت العبادة التعاملية، فقد ورد النبي ﷺ:

(تَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ وَلَا مَتَاعٌ قَالَ الْمُفْلِسُ مَنْ أُمِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ).

نعم فالعبادة سلوك: التدبّر الفارغ من الفهم الصحيح للدين، مسرحية لأعمال دينية في ظاهرها، لكنها خالية من روح الدين وحقيقته، وبالطبع فهي خالية من محتوى الدين ولا نصيب لها من النتائج المترتبة عليه. وعلى حدّ تعبير الإمام عليّ عليه السلام:

كم من صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ، وكم من قائمٍ ليس له من قيامه إلا السهر والعناء، حبّذا نوم الأكياس وإفطارهم.

وفي حديث آخر:

(رب صائمٍ حظه من صيامه الجوع والعطش).

يقول عليه الصلاة والسلام:

(مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)  
كما ورد أنه :

(من حج بهال حرام فقال : لبيك اللهم لبيك، قال الله له : لا لبيك ولا سعديك  
حجك مردود عليك).

الحقيقة الخطيرة التي في هذا التحليل : أن العبادات الشعائرية ومنها الصلاة  
والصيام، والحج، والزكاة، لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادات التعاملية، هذه  
حقيقة نحتاجها جميعاً، ونحن نؤدي العبادات، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:  
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، (سورة  
العنكبوت الآية : ٤٥).

أما الكلية الثالثة في التعريف فهي (كلية جمالية) فهي العبادة الحقنة القائمة على  
الحب والشكر، كل ما في الوجود هي أسماء الله الحسنى وتحكي جماله وقدرته ﴿الَّذِي  
خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ  
فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾. الملك - ٤، ٣.

وهذه العبادة كما في التعبير أعلاه تعني أنها طاعة قائمة على الاختيار فالله سبحانه  
ارادنا أن نطيعه محبة، ارادنا أن نأتيه بمبادرة منا، اراد أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة  
حب، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ سورة المائدة: ٥٤، وهي تختلف عن طاعة الأقوياء  
والتي تتم قسراً لذلك فهي لا ترقى بالإنسان.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه      ذاك لعمري في المقال شنيع  
لو كان حبك صادقاً لأطعته      إن المحب لمن يحب يطع

**العبادة في أدق تعريفها:**

إذاً العبادة في أدق تعريفها طاعة طوعية، مزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة

يقينية. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ سورة فاطر الآية: ٢٨.

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، لكن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

إذا هي طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا	فلو شاهدت عيناك من حسننا
خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا	ولو سمعت أذناك حسن خطابنا
عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا	ولو ذقت من طعم المحبة ذرة
لمت غريباً واشتياقاً لقربنا	ولو نسمت من قربنا لك نسمة
تركت جميع الكائنات لأجلنا	ولو لاح من أنوارنا لك لائح

قال الشاعر الكبير جاسم الصحيح :

لغة لا تطال بالإفصاح!	يا إله المدى.. وهل أنت إلا
حيث بوحى لديك غير مباح	حسبي الصمت عالياً يرتقي بي
فتعشرت بالظلال الشحاح	غمر الضوء لوحة الكون حولي
ما أضاعتك نية الملاح	ضاعت البوصلات فيك ولكن
واحتسوا خمرة الكمال المتاح	كل من نادموك في السر قبلي
أسكرتني ثمالة الأقداح	أسكرتهم بكاراة الكأس، لكن





## الله الذي نعرفه

### الماء يروي لك القصة

لتوماس دافيد باركسن

من مقال له في كتاب الله يتجلى في عصر العلم:

«انني أقرأ النظام والتصميم في كل ما يحيط بي من العالم غير العضوي ولا أستطيع ان أسلم بان يكون كل ذلك قد تم بمحض المصادفة العمياء التي جعلت ذرات هذا الكون تتألف بهذه الصورة العجيبة. ان هذا التصميم يحتاج إلى مبدع، ونحن نطلق على هذا المبدع اسم الله.

وبالنسبة إلى الكيميائي يعتبر الترتيب الدوري للعناصر من الأمور التي تثير عجبه ودهشته. وأول ما يتعلمه الطالب عند بدء التحاقه بالجامعة، هو أن العناصر يمكن ترتيبها ترتيباً دورياً معينا، ولهذا الترتيب طرق مختلفة، ولكننا نكتفي هنا بتقسيم (مانداليف)، وهو العالم الروسي الذي ظهر في القرن الماضي.

ولا تقتصر فائدة هذا التنظيم الدوري للعناصر على ما يقدمه من عون وتسهيل في دراسة العناصر المعروفة ومركباتها، ولكنه يدفع العلماء إلى البحث عن العناصر التي لم يتم استكشافها بعد، والتي ساعد هذا التنظيم على التنبؤ بها، وتركت أماكنها في الجدول الدوري للعناصر خالية تنتظر الكشف عنها.

ولا يزال الكيميائيون حتى اليوم، يستخدمون الجدول الدوري للعناصر ليساعدهم في دراسة التفاعلات الكيميائية والتنبؤ بخواص العناصر والمركبات، ولا شك ان نجاحهم في هذا السبيل يعد دليلا على ما يسود العالم غير العضوي من نظام بديع. ولكن هذا النظام الذي نشاهده في العالم من حولنا ليس مظهرا من مظاهر القدرة على كل شيء فحسب، بل انه يتصف فوق ذلك بالحكمة والاتجاه نحو تحقيق صالح الإنسان، مما يدل على ان اهتمام الخالق بنفع عباده (١) لا يقل عن اهتمامه بالسنن والقوانين التي تنظم هذا الوجود. انظر من حولك إلى الحكمة البالغة التي ينطوي عليها خروج بعض الظواهر عن العادة أو المألوف. فالماء مثلا، يتوقع الإنسان من وزنه الجزيئي (١٨) ان يكون غازيا تحت درجة الحرارة المعتادة والنمط المعتاد، فالنوشادر مثلا ووزنها الجزيئي (١٧) تكون غازية عند درجة حرارة ناقص ٧٣ وتحت الضغط الجوي المعتاد، وكبريتور الأيدروجين الذي يعتبر قريبا في خواصه من الماء بحكم وضعه في الجدول الدوري وله وزن جزيئي قدرة ٣٤، يكون غازيا عند درجة حرارة ناقص ٥٩.

ولذلك فان وجود الماء على الحالة السائلة في درجة الحرارة المعتادة يجعل الإنسان يقف ويفكر.

وللماء فوق ذلك كثير من الخواص الاخرى ذات الأهمية البالغة والتي إذا نظر الإنسان إليها في مجموعها وجدها تدل على التصميم والتدبير، فالماء يغطي نحو ثلاثة أرباع سطح الارض، وهو بذلك يؤثر تأثيرا بالغا على الجو السائد ودرجة الحرارة. ولو تجرد الماء من بعض خواصه لظهرت على سطح الارض تغيرات في درجة الحرارة تؤدي إلى حدوث الكوارث. وللماء درجة ذوبان مرتفعة، وهو يبقى سائلا فترة طويلة من الزمن، وله حرارة تصعيد بالغة الارتفاع. وهو بذلك يساعد على بقاء درجة الحرارة فوق سطح الأرض عند معدل ثابت ويصونها من التقلبات العنيفة، ولولا كل ذلك لتضاءلت صلاحية الأرض للحياة إلى حد كبير، ولقلت متعة النشاط الإنساني على سطح الأرض بدرجة عظيمة.



وللماء خواص أخرى فريدة في نوعها، وتدل كلها على ان مبدع هذا الكون قد رسمه وصممه بما يحقق صالح مخلوقاته. فالماء هو المادة الوحيدة المعروفة التي تقل كثافتها عندما تتجمد. ولهذه الخاصية أهميتها الكبيرة بالنسبة للحياة، اذ بسببها يطفو الجليد على سطح الماء عندما يشهد البرد، بدلا من ان يغوص إلى قاع المحيطات والبحيرات والأنهار ويكون تدريجيا كتلة صلبة لا سبيل إلى اخراجها وإذابتها. ويكون الجليد الذي يطفو على سطح البحر طبقة عازلة تحفظ الماء الذي تحتها في درجة حرارة فوق درجة التجمد، وبذلك تبقى الأسماك وغيرها من الحيوانات المائية حية. وعندما يأتي الربيع يذوب الجليد بسرعة.

ويمكننا ان نشير إلى كثير من خواص الماء الطريفة الأخرى: فله مثلا توتر سطحي مرتفع يساعد على نمو النبات بما ينقله اليه من المواد الغذائية التي بالتربة، والماء اكثر السوائل المعروفة اذابة لغيره من الأجسام، وهو بذلك يلعب دورا كبيرا في العمليات الحيوية داخل أجسامنا بوصفه مركبا أساسيا من مركبات الدم، وللماء ضغط بخار مرتفع على مدى واسع من درجات الحرارة، ومع ذلك فانه يبقى سائلا على طول هذا المدى المتسع اللازم للحياة.

وقد درس كثير من العلماء هذه الخواص العجيبة للماء، ووضعوا النظريات لتعليل ظواهره المختلفة. وبرغم ما نبذله من جهود لمعرفة كيف تحدث هذه الظواهر، علينا ان نتساءل ايضا لماذا تحدث هذه الظواهر؟ وليس الماء هو المادة العجيبة الوحيدة. فهناك ما لا يحصى من المواد ذات الخواص المذهلة التي لا تستطيع عقولنا او ادراكنا المتواضع، إلا ان تقف مشدوهة أمامها.

وأني أجد شخصا ان تفسير هذه الظواهر والعجائب بنسبتها إلى قدرة إله حكيم خبير وتصميم خالق علوي، يعد تفسيرا مرضيا للنفوس ومقنعا للعقول.

انني أرى في كل ظاهرة من هذه الظواهر اكثر من مجرد الخلق والتدبير المجرد عن العاطفة، إنني ألمس فوق ذلك كله محبة الخالق لخلقه واهتمامه بأمورهم. انتهى

فسبحان من قال:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا  
سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ  
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٧).





## الله الذي نعرفه

### الزهر وطيور بالتيemor

من مقال لسيسل هامان - عالم بيولوجي - الله يتجلى في عصر العلم

«أينما اتجهت ببصري في دنيا العلوم، رأيت الأدلة على التصميم والابداع، على القانون والنظام، على وجود الخالق الأعلى سر في طريق شمس وتأمل بدائع تركيب الأزهار، واستمع إلى تغريد الطيور، وانظر إلى عجائب الاعشاش، فهل كان محض مصادفة ان تنتج الأزهار ذلك الرحيق الحلو الذي يجتذب الحشرات فتلقح الأزهار وتؤدي إلى زيادة المحصول في العام التالي؟ وهل هو محض مصادفة ان تهبط حبوب اللقاح الرقيقة على مبسم الزهرة فتنبت وتسير في القلم حتى تصل إلى المبيض فيتم التلقيح وتكون البذور؟ فليس من المنطق ان نعتقد بان يد الله التي لا نراها هي التي رتبت ونظمت هذه الأشياء تبعاً لقوانين ما زلنا في بداية الطريق نحو معرفتها والكشف عنها؟ وهل من الممكن ان يغرد الطير، لا لأن له أليفاً فحسب، بل لأن الله يحب تغريده ويعلم اننا نظرب بتغريده.

وكما ان هنالك ما لا يحصى من أغاريد الشناء التي تشدوها الطيور كل يوم، والتي لا تصل إلى آذاننا القاصرة الفانية، فان هنالك ما لا يحصى من نعم الله وأفضاله يسبغها على عباده، وهي تنتظر من الأنسان ان يفتح عينيه لكي يراها وماذا عن عش طائر بالتيemor؟ من الذي علم هذا الطير ذلك الفن الرفيع؟ ولماذا تشابه جميع

الاعشاش التي تبنيها الطيور من هذا النوع؟ اذا قلت الغريزة، فان ذلك قد يعد مخرجا من السؤال ولكنه اجابة قاصرة. فما هي الغرائز؟ يقول البعض: انها السلوك الذي لا يتعلمه الحيوان. اليس من المنطق ان نرى قدرة الله تتجلى في هذه الكائنات التي خلقها فسواها تبعا لقوانين خاصة لا نكاد ندري عن كنهها شيئا؟

نعم انني اعتقد بوجود الله؟ وأعتقد انه هو القدير الذي خلق الكون وحفظه، وليس ذلك فحسب، بل هو الذي يرعى درة خلقة وهو الإنسان. ولا يرجع هذا الاعتقاد الراسخ الذي يمتلئ به قلبي إلى تأثير الثقافة الامريكية الدينية عليّ فحسب، ولكنه يرجع ايضا إلى مشاهداتي العلمية لعجائب الكون، كما يرجع إلى شعوري به وإحساسي بوجوده داخل نفسي... انتهى

سبحان من قال:

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ (فصلت - ٤٧).





## الله الذي نعرفه

### الله والكون المعقد

من مقال لجون وليام كلوتس - الله يتجلى في عصر العلم  
(عندما حاولت ان اكتب في هذا الموضوع جالت بخاطري حكمتان قديمتان  
من الحكم المقدسة، وهما:  
(السموات تشهد بجلال الله، وإحكامها يدل على بديع صنعته).  
(يقول الأحق في نفسه: ليس هناك إله).

ان هذا العالم الذي نعيش فيه، قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من  
المحال ان يكون قد نشأ بمحض المصادفة. انه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي  
تحتاج إلى مدبر، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى. ولا شك ان العلوم قد ساعدتنا  
على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة. وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله  
ومن ايماننا بوجوده.

ومن التعقيدات الطريفة في هذا الكون، ما نشاهده من العلاقات التوافقية  
الاضطرابية بين الأشياء احيانا. ومن أمثلتها العلاقة الموجودة بين فراشة اليوكا  
ونبات اليوكا وهو احد النباتات الزنبقية. فزهرة اليوكا تتدلى إلى أسفل ويكون عضو

التأنيث فيها أكثر انخفاضا من عضو الذكر أو السداة. أما الميسم وهو الجزء الذي يتلقى حبوب اللقاح، فانه يكون على شكل الكأس وهو موضوع بطريقة يستحيل معها ان تسقط فيه حبوب اللقاح. ولا بد ان تنتقل هذه الحبوب بوساطة فراشة اليوكا التي تبدأ عملها بعد مغيب الشمس بقليل، فتجمع كمية من حبوب اللقاح من متك الأزهار التي تزورها وتحفظها في فمها الذي بني بطريقة خاصة لأداء هذا العمل. ثم تطير الفراشة إلى نبات آخر من نفس النوع وتثقب مبيضا بجهاز خاص في مؤخر جسمها، ينتهي بطرف مدبب يشبه الإبرة وينزل منه البيض. وتضع الفراشة بيضة او اكثر ثم تزحف إلى أسفل الزهرة حتى تصل إلى القلم، وهنالك تترك ما جمعته من حبوب اللقاح على صورة كرة فوق ميسم الزهرة. وينتج النبات عددا كبيرا من الحبوب يستخدم بعضها طعاما ليرقة الفراشة وينضج بعضها لكي يواصل دورة الحياة.

وهنالك كثير من الأزهار التي تسجن الحشرات داخلها، ومن أمثلتها الزهرة المسماة (جاك في المقصورة) jack - in - the - pulpit ولهذا النبات نوعان من المجموعات الزهرية، ذكور وإناث. وهي تكون داخل مقصورات تضيق عند منتصفها.

ويتم التلقيح بوساطة ذبابة دقيقة تدخل إلى المقصورة ولا تكاد تجتاز المنطقة الضيقة الوسطى حتى تجد نفسها سجيئة، ليس بسبب الضيق فحسب، بل بسبب تغطية الجدران الداخلية بمادة شمعية منزقة يتعذر معها على الحشرة ان تثبت اقدامها، وعندئذ تدور الحشرة بصورة جنونية داخل المكان، فتعلق هبوات اللقاح بجسمها. وبعد قليل تتصلب جوانب المقصورة بعض الشيء فتستطيع الحشرة الخروج بعد ان يكون جسمها قد تغطى بهبوات اللقاح. فإذا زارت الحشرة مقصورة مذكورة اخرى تكررت العملية السابقة، أما إذا دخلت مقصورة انثى فإنها تسجن في داخلها سجننا

دائماً حتى تموت هي، وعند محاولتها اليائسة للخروج، تقوم بتلقيحها الأزهار الأنثى.  
ان النبات في هذه الحالة لا يهتم بخروج الحشرة لأنها تكون قد أدت رسالتها،  
اما عند زيارتها للمقصورات المذكرة، فانه يسمح لها بالخروج لأنها لا تكون قد أدت  
رسالتها بعد.

أفلا تدل كل هذه الشواهد على وجود الله؟ انه من الصعب  
على عقولنا ان نتصور ان كل هذا التوافق العجيب قد تم بمحض  
المصادفة، انه لا بد أن يكون نتيجة توجيه محكم احتاج إلى قدرة وتدبير.  
ونستطيع ان نلمح أدلة أخرى على وجود الله وقدرته في تلك الحالات العديدة التي  
حاول الإنسان فيها ان يتدخل في توازن الطبيعة او يعمل على تعديله.....انتهى

فسبحان من قال:

﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل - ٨٨).









## حق النفس

### رحلة حقوقية

لا زالت رحلتنا تسير بتؤدة نحو تبين الحقوق التي ذكرها لنا الإمام الكبير  
زين العابدين هذا الإمام الذي هو سليل اكبر بيتين في ذلك العصر بيت النبوة  
والوحي والهدى خاتم الأنبياء محمد ﷺ وبيت الملك الكسروي يزدجرد ولذا  
قال أبو الأسود:

وان غلاما بين كسرى وهاشم  
لأفضل من نيطت عليه التمام  
وقال الفرزدق:

هذا ابن خير عباد الله كلهم  
هذا التقي النقي الطاهر العلم  
من جده دان فضل الأنبياء له  
وفضل أمته دانت له الأمم  
ولا زلنا في حقوق الله سبحانه وتعالى حيث بينا في الرحلة الأولى حق الله الأكبر

وفي الرحلة الثانية إليكم الحق الثاني من حقوق الله :

### حق النفس

(وَأَمَّا حَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ فَإِنَّ تَسْتَوْفِيَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَتُؤَدِّي إِلَى لِسَانِكَ حَقَّهُ وَإِلَى سَمْعِكَ حَقَّهُ وَإِلَى بَصَرِكَ حَقَّهُ وَإِلَى يَدِكَ حَقَّهَا وَإِلَى رِجْلِكَ حَقَّهَا وَإِلَى بَطْنِكَ حَقَّهُ وَإِلَى فَرْجِكَ حَقَّهُ وَتَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ).

أفضل تعبير في أفضل سبك فكما تبين لنا هذه الكلمات على إيجازها حقوق جوارحنا تجاه الله فهي توجهنا إلى محامد ومحاسن الأفعال إذ أن لكل جراحة حق تجاه الله وتجاه أنفسنا وتجاه الآخرين.

تكررت كلمة «نفس» في القرآن الكريم على ما يقارب ٢٩٠ مرة بمختلف صيغها، سواء معرفة أو منكرة، منها قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٧ - ١٠).

هذه الآية على قصرها فيها من البيان والإشارة لهداية وتكامل هذه النفس بسلوك طريق التقوى والطاعة والتزكية، واجتناب طريق الفجور والمعصية والإفساد. وهذا ما أشار إليه إمامنا زين العابدين عليه السلام.

وسيكون حديثنا ضمن ثلاثة محاور:

- تعريف النفس

- تزكية النفس

- الطاعة طريق النجاة

### - تعريف (النفس) عند ملا صدرا

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

إن علم النفس من الموضوعات الهامة في البحوث الفلسفية.

وقد اهتم الفلاسفة ببحث النفس منذ أقدم العصور، والحكمة المعروفة: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) رواها حكماء اليونان كما رواها الأئمة عليهم السلام.

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الإسراء: ٥٨).

ونقل عن أرسطو: (من عرف ذاته قوي على معرفة الله).

كانت الفلسفة القديمة منذ عصر اليونان تبحث عن عدة حقول معرفية كالطبيعيات وغير ذلك. ثم انفصلت العلوم تدريجياً وتفرعت الفلسفة، ومن تلك العلوم دراسة النفس وتقسيمها إلى نفس نباتية وحيوانية وإنسانية، وتوسع أرسطو طالعيس في دراسة النفس وتقسيمها وتعريفها وهل هي مجردة أم مادية؟ قديمة أم حديثة؟ خالدة أم زائلة؟ إلى غير ذلك. ولما ترجمت الفلسفة اليونانية في العصر الإسلامي، أطلع العلماء المسلمين وفلاسفتهم على الأفكار اليونانية ومزجوا ثقافتهم بما درسوه وترجموه فأبدعوا في هذا المجال، فبرز منهم علماء وفلاسفة كبار كالفارابي وجابر بن حيان والكندي وابن سينا الذي توسع في بحوثه الفلسفية ومن ضمنها بحث في النفس من كتاب «الشفاء» المشهور.

وقد نقلوا نفس تعريف «أرسطو» للنفس بأنها: «إنطلاشيا» كمال «وهو أول جرم طبيعي ذي حياة بالقوة».

وجاء تعريف ابن سينا وصدر الدين الشيرازي بما هذا نصّه: «كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة».

ولا يعني أن نظرية ابن سينا في النفس لا تختلف عن نظرية الملا صدرا. إن نظرية

النفس تعتمد على أسس فلسفية أعمّ منها، وبما أنّ هناك بعض الاختلاف بين نظرية المشائين<sup>(١)</sup> بصورة عامّة ونظرية صدر المتألهين في المرتكزات الفلسفية لكلّ منهما، مع وجود منطلقات متشابهة، فقد بحث جميع الفلاسفة موضوع النفس من حيثة علاقتها وتديرها للجسم، يقول ابن سينا: «واسم النفس ليس يقع عليها من حيث جوهرها بل من حيث هي مدبرة للأبدان ومقيسة إليها، فلذلك يؤخذ البدن في حدها». إذن فالبحث في جوهر النفس وكنهها خارج عن نطاق الدراسات الفلسفية. وقال محي الدين بن عربي: «ولهذا ما عثر أحدٌ من الحكماء والعلماء على معرفة النفس وحقيقتها إلا الإلهيون من الرسل والأكابر من الصوفية».

ومن الجدير بالذكر أن بحث النفس يتّجه ويتأثر بنظرية الحركة، ومن المعروف إنّ الحركة عند المشائين يقتصر على المقولات العرضية فحسب، أما عند الملا صدرا فإنه يشمل أيضاً حركة الجوهر، وهذا هو الخط الفاصل والمفترق الأهم بين الفلسفة المشائية وفلسفة صدر الدين الشيرازي في دراسة النفس. وهذه من مبتكرات الملا صدرا، فأدّى إلى توصيله بأن النفس «جرمانية الحدوث، روحانية البقاء» وهذه العبارة ذكرها كثيراً في فلسفته حول النفس، وإنّ الحركة الجوهرية في المادّة أصبحت العمدة في بحث النفس وخلودها ومعادها، والمرتکز الأساس في إبداعاته.

إنّ المدرسة المشائية تذكر أنّ النفس كيان متكامل وفعلي أضيف إلى البدن، فأصبح هذا المركّب إنساناً، فكما تضع الماء في القدح أو يركب الراكب دابته، تكون هذه الإضافة بين النفس والبدن.

(١) المدرسة المشائية (تسمى أحياناً: الحكمة المشائية) هي مدرسة فلسفية في اليونان القديمة، استمدوا أفكارهم من مؤسس تلك المدرسة الفيلسوف اليوناني أرسطو، الذي سماه تلاميذه المشاء. استمدت المدرسة اسمها من كلمة Peripatos، والتي تعني أروقة مدرج الألعاب الرياضية في أثينا، حيث كان أعضاء تلك المدرسة يجتمعون. وهناك كلمة يونانية أخرى ماثلة peripatetikos تشير إلى فعل المشي، والصفة peripatetic التي تعني «المشاء». بعد وفاة أرسطو نشأت أسطورة أنه كان محاضراً «مشاء»، فحلت التسمية «Peripatetikos» محل الكلمة الأصلية «Peripatos».

أما مدرسة الحكمة المتعالية المتمثلة بصدر الدين فإنها رفضت هذه الإضافة الضعيفة وتلك العلاقة الغريبة والواهية بينهما، وقالت: إنَّ النفس لم تحصل على تجرّدها وفعليتها خارج الجسم ثم أضيفت بهذا الشكل القائم بينهما، وإنَّما النفس قامت بمسيرة تصاعدية نحو التجرّد في داخل البدن والمادّة لا في خارجها، بحركة جوهرية<sup>(١)</sup> سارت من القوة إلى الفعل بشكل تدريجي تكاملي نحو الوجود والتحقّق. وبهذا يمكن القول: إنَّ هناك نقلة نوعية حصلت عليها المادة فأصبحت مجرّدة ناقصة التجرّد ما دامت في إطار البدن، بعدها يمكن أن ترتقي إلى مستوى العقول في دار غير دار الدنيا، والعقول المجرّدة تحظى بالخلود والسعادة. إنَّ النفس عند ابن سينا مجرّدة عن المادّة من أوّل فطرته «وليس كذلك... بل أنها في أوائل الأمر خيال بالفعل» قبل التجرد التام «عقل بالقوة...»، ويقول الشيرازي: «...إن الإنسان له هوية واحدة ذات نشأة ومقامات ويتبدى وجوده أولاً من أدنى المنازل، ويرتفع قليلاً إلى درجه العقل والمعقول...».

ويعزو الملا صدرا هذا الاختلاف بينه وبين المدرسة المشائية إلى اختلافهم في مسألة الوجود. يقول: «وأكثر المتأخرين من الفلاسفة كالشيخ وأتباعه لما لم يحكموا أساس علم النفس لذهولهم عن مسألة الوجود وكماله ونقصه ومبادئه وغاياته أنكروا هذا المعنى». إنَّ القوى الحوية لدى الكائن البشري - كما يعتقد صدر المتألهين - لها وجهتان، الأولى ماديّة والثانية مجرّدة عن المادة، وهذه القوى الماديّة لا تفارق تلك القوى المجرّدة، وبعد الموت ينتقل الإنسان إلى عالم أكثر تجرّداً وأقلّ تعلّقاً بالمادّة.

وبالحركة الجوهرية التي آمن بها ملا صدرا تتطوّر المادة وترتقي نحو وجوديّة أشدّ من وجوديتها السابقة. يقول الشيخ مرتضى المطهري: «فهذا الفكر المجرد الذي في ذهنك الآن، كان يوم من الأيام لحماً، ثم تبدل لفكر مجرد. إن المادة في حركتها الجوهرية ترتقي نحو الأعلى، وكلما تحركت كذلك اتجهت نحو التركيز الوجودي

(١) نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي حاولت تفسير ازالة المادة وعلة الوجود من خلال التوفيق بين الفلسفة والدين. والمقدمة الاساسية لهذه النظرية تتأسس على مبدأ أن العالم المادي في تغير وتبدل مستمر. فالمادة تتغير وتتجدد في كل آن. وعلة تغير الأعراض الظاهرة للمادة (الآلن، الكيف، الكم، الوضع) تكمن في تغير جوهرها.

وكلما اتجهت كذلك، سارت تلقاء التجرد، حتى تبلغ الوعي والشعور الإرادي».

إنّ هذه المراتب التي ترتقي إليها النفس الإنسانية نحو الأكثر تدرّجاً والأشدّ وجوديّة ليست هي عبارة عن محطّات تمرّ بها النفس مروراً متصاعداً فحسب، ليس الأمر أنها تمرّ بالنقطة «ب» ثم تغادرها إلى النقطة «ج» ثم إلى «د»... الخ، وإنّما تأخذ معها تلك النقاط التي مرّت بها، لهذا قال الملا صدرا أنّ للنفس الإنسانية شخصية جمعية تحوي جميع مراتبها من أدناها إلى أعلاها مرتبة، أو كما يقول الفلاسفة، إنها عندما تلبس درجة من الوجود لا تنزع الدرجة السابقة، أي ليست في حالة نزاع ولبس، وإنّما هي في لبس بعد لبس، فالنفس في ذاتها سمع وبصر وشم وذوق ولمس وإدراك وخيال.

وهذا الرأي وافق فيه بعض العرفاء كابن عربي.

وقد يرد السؤال: هل النفس في خروجها من القوّة إلى الفعل تفعل ذلك بذاتها؟ أو بأمر خارج عنها؟ وإذا عرفنا أنّ فاقد الشيء لا يعطيه كما يقال، نعرف أنّ النفس في حالة كونها «بالقوة»، لا تمتلك «الفعليّة»، وكل ما لا يمتلك الفعليّة، لا يمكن أن يصل إليه إلا بأمر خارج عن ذاته، فالنفس تخرج من الفعل إلى القوة بأمر خارج عن ذاتها.

يقول الشيرازي: «إن مخرج النفس من القوة إلى الفعل في كمالها العقلي ليست بذاتها إذ الشيء لا يخرج ذاته من النقص إلى الكمال... فمخرجها إلى الكمال ملك كريم».

إن دراسة النفس عند صدر المتألهين يحتاج الى مجال أوسع بحيث يتم استعراض الجوانب من فلسفته التي لها علاقة بحثه في علم النفس، كذلك في بحث الجوانب الأخرى كقدم النفس أو حدوثها، مادّيّتها، خلودها تجرّدها وغير ذلك<sup>(١)</sup> وقد قيل في حديث من عرف نفسه عرف ربه، قيل فيه وجوه نختم به هذا الفصل مما أورده العلامة سماحة الشيخ باقر بوخمسین في الكشكول الهجري:

(١) صادق محمد علي المسلم: ابداعات الشيرازي الفلسفية نموذجاً - رسالة ماجستير

**الأول:** أن النفس محركة البدن ومدبرة له، فإذا كان هذا البنيان الحقيقير يحتاج الى مدبر ومحرك فكيف لا يحتاج اليه عالم الكون فيكون من الدلائل الموصولة إلى معرفة الرب ولعله قيم دليل الآفاق في قوله ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

**الثاني:** من عرف أن نفسه واحدة وأنه لو كان معها غيرها لزمها الفساد في تدبير الكون، علم أن الرب المدبر واحد «لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا».

**الثالث:** من عرف أن النفس المدبرة للبدن بإختيار، عرف أن المدبر للعالم بالإختيار لا بالإضطرار ولا بالإجبار.

**الرابع:** من عرف أنه لا يخفى على النفس من أحوال البدن شيء، عرف أن الله سبحانه عالم بجزئيات العالم وكيالاته لا يخفى عليه شيء. لإمتناع علم المخلوق وجهل الخالق لا كما يقول الحكماء أنه تعالى لا يعلم بالجزئيات.

**الخامس:** من عرف أن النفس موجودة قبل البدن باقية بعده، عرف أنه سبحانه كان موجودا قبل العالم وباق بعده.

**السادس:** من عرف انه لا يعرف كنه نفسه عرف أن ربه كذلك بطريق أولى لا يعرف كنه ذاته لأن معلومة الوجود مجهولة الكيفية والرب سبحانه كذلك.

**السابع:** من عرف أن النفس ليس لها مكان وأنها لا تمس ولا تحبس، عرف أن ربه كذلك.

بعد هذه المقدمة الجميلة المختصرة ومعرفة النفس رأينا هذا الإهتمام من الشارع المقدس بتزكية النفس ووجوب سلوكها مسالك التقوى.

### تزكية النفس:

وحديث النفس حديث طويل وقد تطرقنا الى جزء منه في حق الله حيث انها مرتبطان ببعضهما البعض «حيث أن من عرف نفسه عرف ربه» ولقد مارس الأئمة في حياتهم أحسن السبل التي تهذب هذا الإنسان وتقومه وتجعل منه عضوا صالحا في

المجتمع الإنساني وقد تركزت دعواهم إلى إصلاح هذه النفس البشرية وصياغتها صياغة ربانية كي تؤدي دورها في طاعة الله وإعانة عباده لأنها وحدها المنطلق في عملية الإصلاح الشاملة.... منها تبدأ الإستقامة كما يبدأ الإعوجاج.. فمتى صلحت واستقامت صلح غيرها واستقام، وأنها تصبوا إلى الإثرة والأناية وتتجاوز الحق والعدل وتحاول أن تبرر كل فعل يصدر منها مهما كان منحرفا أو معوجا كما تحاول في المقابل أن تسلب محاسن الناس وترى معائبهم على صورة أوسع وشكل أضخم مما هي عليه... إنها على الدوام تميل مع شهواتها ومصالحها وما يحقق لها قسطا من الراحة ونصيبا من اللذة دون النظر إلى ما يتركه ذلك على حياة الناس وراحتهم وسعادتهم وبقائهم.

قال البوصيري :

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تَهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى	حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمُهُ يَنْفَطِمَ
فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تُؤَلِّيَهُ	إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُصِمُّ أَوْ يَصِمُ
وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ	وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمُ
كَمْ حَسَنْتَ لَذَّةَ لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً	مَنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
وَإِخْشِ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ	شَبَعٍ قُرْبٍ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ
وَاسْتَفْرِغِ الدَّمَغَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ أَمْتَلَأَتْ	مِنْ الْمَحَارِمِ وَالزَّمَّ حِمِيَةَ النَّدَمِ
وَخَالَفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِمَا	وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصَحَ فَاتِهِمَا

غير أن اصلاح النفس وفطامها عن الشهوات يحتاج الى ارادة قاهرة وعزم شديدين فمن دون ارادة لا يستطيع الواحد منا ان يفظم نفسه عن الرضاعة رضاعة الذنوب من ثدي الشيطان.

ان النفس تستلذ ارتضاع الشهوة لأنها امارة بالسوء وميالة الى الهوى وكل رضعة تجر ورائها رضعات الى نهاية الشوط الذي ينتهي بصاحبه في ضياع وحرمان ومعاناة ومشقة.

أين يكمن الحل ؟

الحل ينطلق من داخلنا وليس من الخارج فكل واحد منا يمتلك الحل بيده لأنه



يملك الارادة التي يصنع بها قراراته في الحياة وعندما تموت الإرادة يموت الإنسان -كإنسان- ويتحول الى كتلة متحركة تتلاطم فيها الشهوات والاهواء الحيوانية.

صحيح ان الإنسان لا يشكل سوى ذرة تافهة بالنسبة لهذا الكون الهائل ولكنه يستطيع في لحظة من لحظات الإيمان ان يصبح اعظم زعيم في الارض، ذلك عندما يربط نفسه باكبر واعظم قوة في هذا الكون «بقوة الله الذي بيده ملكوت كل شيء».

هذه النفس تقرب البعيد إن أرادته وتبعد القريب إن كرهته، ولذا ورد الحث من الأئمة لهذا الإنسان أن يقف منها موقف الحذر واليقظة، والمحاسب والمراقب يترصدها في ميولها وحرركاتها ويحاسبها في كل خطوة من خطواتها وخطرة من خطرات ذاتها. يحملها على الحق وان كانت كارهة له ويدفعها نحو الخير وان كانت غير راغبة فيه.

وجهاد النفس هو الطريق الذي يقود الإنسان إلى مرضاة الله وطاعته، وهو الجهاد الأكبر على حد تعبير النبي الأكرم فقد ورد انه صلوات الله عليه بعث سرية من الجيش فلما رجعوا قال: مرحبا بكم قضاة الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر.

فقل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟

قال: جهاد النفس.

ومعنى جهاد النفس: أن يلزمها المرء بأحكام الإسلام والسير على خطى الدين فلا ينحرف لهوى ولا يميل لمصلحة وقتية على حساب الدين، ولا يضعف أمام حرام، ولا يتهاون بترك واجب، وهذا هو بعينه ما فسرته الإمام الصادق حيث يقول:

«من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب، وإذا اشتهى وإذا غضب وإذا رضي حرم الله جسده على النار».

وان رياضة هذه النفس وحملها على الخير يكون في أوله عسيرا وصعبا ولكن على المداومة والتكرار يتحول الخير إلى عادة سهلة ميسورة من عادات هذه النفس وطباعها وهذا هو الحق الذي جعله الإمام زين العابدين للنفس بأن يحملها على طاعة الله ومرضاته ويجعل كل جندي من جنودها في موضعه المعد له.

من هنا كان الإنسان هو صاحب القرار وهو بالتالي المسؤول عن قراره والقرار يبدأ من داخله فالله سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وهذا كله يتوقف على الإرادة القوية والإرادة القوية يمكن للإنسان أن يفجرها في أعماقه عندما يتوجه إلى الله ويستمد منه العون والمدد.

فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٣). وهناك آيات كثيرة.

وقد ورد في الشعر المنسوب لأمر المؤمنين عليه السلام إلى ذلك:

دواءك فيك وما تشعر      ودائك منك وما تبصر  
وتحسب أنك جرم صغير      وفيك انطوى العالم الأكبر  
وانت الكتاب الممين      الذي بأحرفه يظهر المضمهر  
فلا حاجة لك في خارج      يخبر عنك بما يسطر  
فانظر كيف قيامك على نفسك في معالجة ادوائها وان قصرت فلا تلومن إلا نفسك.

قال أبو عبد الله عليه السلام:

(اقصر نفسك عما يضرها من قبل أن تفارقك واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك فان نفسك رهينة بعملك).

يقول الشاعر:

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى      فإن أطمعت تاقت وإلا تسلت  
ويقول الآخر:

والنفس راغبة إذا رغبتها      وإذا ترد إلى قليل تقنع  
بناء على ذلك نفهم من قول الإمام السجاد عليه السلام (وأما حق نفسك عليك

بأن تستوفيها في طاعة الله) وذلك بالتزكية والمحاسبة والطاعة وتسخير جميع جوارح البدن بإعطائها حقوقها.

ولقد تكلمنا في المحور السابق عن تزكية النفس، وحيث ان للنفس بعدان بعد حيواني والذي يسمى أيضا بالرغبات والغرائز، والفلاسفة يسمونه: الجسم، والعرفاء يسمونه: البعد البهيمي والناسوتي، والبعد الآخر المعنوي، ولذا فإن هاذان الجانبان في صراع مستمر.

فإذا استطاع الإنسان أن ينتصر في هذا الصراع وأن يأسر هذا العدو كما قال رسول الله ﷺ (اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) ويروضه ويهذب، حينذاك يستطيع أن يصل الى سعادة الدنيا والآخرة وهذا هو الانتصار والسيطرة على النفس الأمارة بالسوء.

ورد في الحديث: قال النبي ﷺ «أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه». وعن الإمام علي عليه السلام «إن المجاهد نفسه في طاعة الله وعن معصية الله سبحانه بمنزلة شهيد»

ومن موارد الطاعة تأتي (محاسبة النفس):

فقد قال رسول الله ﷺ: الا أنبئكم بأكيس الكيسين وأحمق الحمقاء؟ قالوا بلى يا رسول الله! قال: أكيس الكيسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت، وأحمق الحمقاء من اتبع نفسه هواء وتمنى على الله الأمانى، فقال الرجل: يا رسول الله وكيف يحاسب الرجل نفسه؟ قال: إذا أصبح ثم أمسى رجع الى نفسه وقال: يا نفس إن هذا يوم مضى عليك لا يعود أبدا والله سائلك عنه فيما أفنيتة فما الذي عملت فيه.

وعن ابي حمزة الثمالي قال: كان علي ابن الحسين عليه السلام يقول: ابن آدم إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همك من همتك وما كان الخوف لك شعارا والحزن لك دثارا، يا ابن آدم إنك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله فأعد جوابا.

وعن محمد بن عمران البجلي قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من لم يجعل من نفسه واعظا فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئا.

ولم يعني سيدنا زين العابدين بالطاعة العبادة فقط وإن كان هي طريق من طرق الطاعة بل الطاعة هي الإمتثال لله سبحانه وتعالى بما أمر ونهى. وهو يشمل جميع العبادات التي لها اثر روحي ومادي على النفس والجسد في آن واحد كالعبادات اليومية ومنها الصلوات اليومية، والعبادات الموسمية كالصوم والحج والجهاد، وسيأتي التفصيل عن فوائد هذه العبادات في محلها عند ذكر حقوقها.

كما وتشمل البعد عن الأشياء المضرة بالروح والبدن كالخمر والحشيش والأفيون وغيرها من الأشياء المسكرة وعن الميتة والدم ولحم الخنزير وغيرها من الحيوانات النجسة والضارية، ولا يخفى ما لهذه الأشياء من ضرر على صحة الإنسان وأخلاقه وقواه العقلية.

وليعلم أن طاعة الله لا يلزم حرمان النفس والجسد من التمتع بها بما قد انزل الله من الزينة في هذه الدنيا، وهي تحت على كسب الرزق، والسعي بالطرق المشروعة لنيل ما قد خلق الله في الأرض والسماء من الوسائل والأسباب للراحة والترية.

ولقد ورد أن أصحاب الإمام السجاد علي بن الحسين، أو الإمام محمد بن علي عليه السلام سألوه: أليس الله يقول يا عبادي ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. قال: صدق الله العظيم بلى هو قائل ذلك، قالوا فما بالناس ندعوه ليل نهار فلا يستجيب لنا؟ قال: لأنكم تدعون من لا تعرفون. قالوا: وكيف نعرفه؟ قال: أعرفوا نفوسكم تعرفوه ثم ادعوه يستجب لكم. قالوا: وكيف نعرف نفوسنا؟ قال: فكروا في أعينكم كيف تبصر؟ وفي آذانكم كيف تسمع؟ ثم في قلوبكم كيف تفكر؟ فإذا عرفتم ذلك شعرتم بعظمة الله في نفوسكم فدعوتوه فاستجاب لكم.

جاء في وصية الإمام الحسن عليه السلام لجنادة:

(يا جنادة من اراد عزا بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته).



## حق اللسان

### رحلة حقوقية

ما قال لا قط الا في شهاده لولا التشهد كانت لائه نعم  
دعا الإمام زين العابدين عليه السلام مملوكه مرتين فلم يجبه فلما أجابه في الثالثة قال  
له: يا بني أما سمعت صوتي؟

قال: بلى.

قال: فما لك لم تجبني.

قال: أمتك.

قال: الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني.

إنها حادثة رائعة وأدب رفيع، وأخلاق نبوية. هل يملك المسلمون مثل هذه  
الأخلاق؟!

وهل يستطيع العالم أن يقدم لنا نموذجا شبيها بهؤلاء الأئمة الكبار؟! بل  
تعدى الإمام في معاملته الطيبة وحسن أخلاقه من الإنسان إلى الحيوان وتخطى كل  
الأعراف التي كانت سائدة في زمانه، وبذلك سجل سبقا على كل المتشدين بقانون  
الرفق بالحيوان وهم يذبحون الإنسان، وإنما يدعون ما يدعون كذبا وزورا وشعارا  
للإستغلال والمكاسب.

يذكر أهل السير أن علي ابن الحسين حج على راحلته عشر حجج ما قرعها بسوط ولقد بركت به سنة من سنواته فما قرعها بسوط.... ويقول الراوي في حديث آخر : حججت مع علي ابن الحسين عليه السلام فالتأثت الناقه «أي بطئت» في سيرها فأشار إليها بالقضيب ثم قال : آه لولا القصاص ورد يده عنها.

هذا هو الإمام المربي صاحب رسالة الحقوق وصاحب زبور آل محمد الصحيفة السجادية، فهلما معنا نجد السير في رحلتنا والتي لا زلنا فيها في حقوق الله وموعدنا مع الحق الثالث:

### حق اللسان

«وَأَمَّا حَقُّ اللِّسَانِ فَأَكْرَامُهُ عَنِ الْخُنَى  
وَتَعْوِيدُهُ عَلَى الْخَيْرِ وَحُمْلُهُ عَلَى الْأَدَبِ وَإِجْمَامُهُ  
إِلَّا لِمَوْضِعِ الْحَاجَةِ وَالْمُنْفَعَةِ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا  
وَإِعْفَاؤُهُ عَنِ الْفُضُولِ الشَّنِيعَةِ الْقَلِيلَةِ الْفَائِدَةِ  
الَّتِي لَا يُؤْمَنُ ضَرَرُهَا مَعَ قَلَّةِ عَائِدَتِهَا وَيَعْدُ  
شَاهِدَ الْعَقْلِ وَالدَّلِيلَ عَلَيْهِ وَتَزِينُ الْعَاقِلِ  
بِعَقْلِهِ حُسْنَ سِيرَتِهِ فِي لِسَانِهِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ  
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

تكررت كلمة لسان في القرآن الكريم بصيغها المختلفة «١٥» مرة، ومن غرر الآيات في ذكر اللسان: قوله تعالى وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ «٨٤» الشعراء، يلاحظ أنه أضاف الصدق الى اللسان لتأكيد الإتيان به، أي الذكر الجميل والثناء الحسن بعده.

يقول الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق إلا صورة اللحم والدم

ولننظر الآن إلى هذا اللسان العجيب الذي يحتوي على (١٧) عضلة للحركة، وعلى غشاء مخاطي يغلفه، وعصب خاص لتحريكه في كل نصف، أي عصبان رأسيان هما العصب تحت اللسان الكبير في كل جانب، و(٦) ستة أعصاب لنقل الحس، ثلاثة في كل جانب هي: «العصب اللساني لنقل الحس من مقدمة اللسان) و(العصب البلعومي اللساني من مؤخرة اللسان) و(العصب المبهم من البلعوم والمزمار)، وهذا اللسان ترقد فيه من التواءات والبراعم الذوقية الآلاف، ويحس بالاطعمة من شتى المأكولات، وهو بعد كل هذا يستخدم في المضغ، والبلع، والذوق، والتصويت فأى مثل عجيب الذي يقوم بكل هذه الأدوار، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولَ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدًا أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (سورة البلد)، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فيا أيها القارئ العاقل انظر وتأمل، ان القلب ليخشع، وان العين لتدمع، وان العقل ليركع، أمام هذه الآلاء العظيمة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ سورة الرحمن. (١)

ولا بأس في رحلتنا هذه أن نعرف أجزاء وعضلات وأعصاب ووظيفة اللسان هذا الجزء العجيب في جسم الإنسان بشكل تفصيلي أكثر:

اللسان (Tongue) هو عضو عضلي متحرك يستطيع القيام بعدة حركات والوجود بعدة وضعيات. بعض من اللسان موجود في الفم، والبعض الآخر منه في الحلق. وظيفة اللسان الأساسية هي اللفظ - أي تكوين الكلمات خلال الحديث، وبلع الطعام. يمكن تقسيم اللسان لعدة أجزاء، وله عدة سطوح، كما يحوي كتلة عضلية تقوم بحركات اللسان الضرورية لوظائفه.

(١) الطب محراب للإيمان ص ٢٢، د. خالص جليبي كنجو.

## أجزاء اللسان

\* جذر اللسان (Root Of Tongue): يمتد من الفك السفلي وحتى الفم، وهو الجزء الذي يشكل نقطة استناد اللسان.

\* جسم اللسان (Body Of Tongue): هو الجزء الذي نراه في جوف الفم، ويشكل حوالي ثلثي اللسان، ويمتد جسم اللسان من الجذر وحتى قمة اللسان.

\* قمة اللسان (Apex Of Tongue): النهاية الأمامية للسان، ويلامس الأسنان الأمامية. بعكس الجذر، فإن جسم اللسان وقمة اللسان هي أجزاء متحركة.

## سطوح اللسان

١ - سطح اللسان الظاهر (Dorsum Of Tongue) - هو السطح العلوي للسان. شكله يشبه شكل حرف V، ويتميز بوجود نتوءات صغيرة تبرز نحو جوف الفم. في الوسط شق يفصل اللسان الى جزء أيمن وأيسر. تسمى النتوءات في اللسان بحليّات اللسان (Lingual Papillae) ولها عدة أنواع:

\* الحليّات الكاسية (Vallate Papillae): تقع في طرف اللسان ومن كلا الجانبين، وتحتوي خلايا حاسة الذوق.

\* الحليّات الورقية (Foliate Papillae): تقع في جانبي اللسان وتحتوي خلايا حاسة الذوق، ولكنها بدائية لدى الإنسان.

\* الحليّات الخيطية (Filiform Papillae): وردية اللون وتميل للرمادي أحياناً، وتحتوي أطراف الأعصاب في اللسان ومسؤولة عن حاسة اللمس في اللسان.

\* الحليّات فطرية الشكل (Fungiform Papillae): يشبه شكلها الفطريات، ولونها زهري أو أحمر وتحتوي خلايا حاسة الذوق.



في الجزء الخلفي من اللسان، وعند الاقتراب من جذر اللسان تبدأ الحليجات بالاختفاء حتى انعدامها في جذر اللسان.

٢- سطح اللسان السفلي (Inferior Surface Of Tongue) - والذي يتجه نحو أرضية الفم. مغطى بغشاء مخاطي دقيق، والذي يتضخم في الوسط ويشكل خط الوسط مع أرضية الفم - ويسمى علمياً لجام اللسان (Frenulum Of Tongue). واللجام يسمح للجزء الأمامي من اللسان بالحركة بحرية.

### عضلات اللسان

كما ذكر من قبل فان اللسان هو كتلة عضلية كبيرة، وتغطيها الطبقة المخاطية التي تحوي خلايا حاسة الذوق. رغم وجود عدة عضلات في اللسان، إلا أن هذه العضلات لا تتحرك كل منها على حدة إنما تتحرك بتوافق تام فيما بينها. بعض العضلات تحدد شكل اللسان، والبعض الآخر يحدد موقع اللسان. يوجد نوعين من عضلات اللسان:

\* عضلات اللسان الخارجية (Extrinsic Muscles Of Tongue):

هي العضلات التي تمتد من خارج اللسان وترتبط به. تقوم هذه العضلات بتحريك اللسان. توجد أربعة عضلات خارجية للسان.

\* عضلات اللسان الداخلية (Intrinsic Muscles Of Tongue):

هي العضلات الموجودة داخل اللسان وتنشأ وتنتهي داخل اللسان. توجد عضلات داخلية طويلة، عرضية وأفقية. تقوم هذه العضلات بتحديد موقع اللسان، وتستطيع تحريكه بحيث تزيد أو تقلل من سمكه أو طوله.

### الدورة الدموية في اللسان

شرايين اللسان - أو شريان اللسان، أو الشريان اللساني (Lingual Artery)

هو الشريان الرئيسي الذي يمد اللسان بالدم، وهو تفرع للشريان السباتي الظاهر (External Carotid Artery). يتفرع الشريان اللساني داخل اللسان لعدة شرايين صغيرة، والتي تلتقي فيما بينها داخل اللسان.

أوردة اللسان - ترافق أوردة اللسان شرايينه، وهما:

\* الوريد اللساني الظهرى (Dorsal Lingual Vein): يصرف السطح الظاهر للسان، ويوازي الشريان اللساني في مساره.

\* الوريد اللساني العميق (Deep Lingual Vein): يبدأ في طرف اللسان ويصرف جسم اللسان وعضلاته.

تصب الأوردة مباشرة في الأوردة الكبيرة للرأس والرقبة، أو أنها تتجمع لتشكيل الوريد اللساني (Lingual Vein) الذي يصب في الأوردة الكبيرة.

### أعصاب اللسان

جميع عضلات اللسان يمدّه بالأعصاب العصب الحرقفي الثاني عشر (Cranial Nerve 12) - العصب تحت اللسان (Hypoglossal Nerve). ويسمى كذلك نسبةً لمساره من تحت اللسان.

أما الأعصاب المسؤولة عن حاسة اللمس والحرارة في اللسان تنشأ من العصب اللساني (Lingual Nerve) وهو تفرع للعصب الحرقفي الخامس (Cranial Nerve 5). في حين الأعصاب المسؤولة عن حاسة الذوق فانها تمتد من العصب الحرقفي السابع مباشرة (Cranial Nerve 7) - العصب الوجهي (Facial Nerve).

## وظيفة اللسان

عدة وظائف للسان وهي:

- \* **اللفظ:** والمقصود هو النطق وتكوين الحروف، المقاطع والكلمات. قدرة الإنسان على الكلام هي نتيجة لاشتراك عدة أجهزة في الجسم. في البداية تقوم الرئتان بنفخ الهواء نحو الأوتار الصوتية في الحنجرة، والتي تتحكم بكمية الهواء الصادر منها وسرعة مروره. بناءً على ذلك تُصدر الحنجرة أصواتاً مختلفة، ويأتي دور اللسان عند الحاجة لتحويل هذه الأصوات إلى حروف. يقوم اللسان بلفظ معظم الحروف عدا الأحرف العلة (و، ي، آ)، وبذلك يستطيع الإنسان أن يركب كلمة مبنية من عدة أحرف.
- \* **البلع:** يساهم اللسان في بلع الطعام، فبعد مضغ الطعام بواسطة الأسنان يقوم اللسان بحركة دفع الطعام نحو الحلق. والتي تتم بتوافق مع الحلق.

- \* **الذوق:** ان اللسان مسؤول عن حاسة الذوق من خلال خلايا حاسة الذوق الموجودة في الطبقة المخاطية، وحاسة الذوق - كما نعلم - هي إحدى الحواس الخمس في جسم الإنسان. إذ بواسطة خلايا حاسة الذوق الموجودة في الطبقة المخاطية في سطح اللسان الظاهر، يستطيع الإنسان أن يميز بين أربعة أشكال: (الحلو، المر، المالح والحامض). فالطعم الحلو يُذاق في قمة اللسان، والمالح في جانبي اللسان. أما المر والحامض في جسم اللسان الخلفي، وتبلغ دقة التأثير في الذوق أن اللسان يحس بالطعم المر ولو بلغ تركيزه على اللسان أربعة أجزاء من مائة ألف، وهو مع ذلك المكان الذي تخرج منه حروف كثيرة للنطق.

بعد هذه الرحلة مع أجراء ووظائف اللسان الحسية، نتقل إلى وظائفه المعنوية:

الكلمة سكين ذو حدين باحدهما نبني صرح الحضارة الإنسانية ونساهم في توفير السعادة للناس والرفاهية لهم وبالأخر نقضي على كل المعالم الشائخة من تراث

هذا الإنسان وحضارته كما نقضي على وجوده بالذات.

قال الشاعر:

وَقَدْ يُرْجَى لِحَرْحِ السَّيْفِ بُرٌّ  
وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وقال الآخر:

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَدْمِلُهُ فَيَبْرَأُ  
وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وقال غيره:

جِرَاحَاتُ السِّنَانِ لَهَا التَّأَمُّ  
وَلَا يَلْتَأَمُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وقالوا: اللسان أجرح جوارح الإنسان

الكلمة إذا كانت واعية هادفة منطلقة عن إرادة خيرة ونفس صالحة وفكر سليم تستطيع أن توجه الناس نحو الخير والبناء فتهدى التائه وترد الضال وتأخذ بيد الحيران إلى شاطئ الأمن والسلام وأما إذا كانت الكلمة فاسدة طائشة غير مسؤولة، إذا كانت منطلقة عن رؤية منحرفة ونفس ملتوية وروح مأكرة فإنها بدون شك تقضي على كل صلاح وسعادة وتنشر الخراب والدمار في ربوع البلاد وبين العباد.

والإسلام عندما يأتي إلى الكلمة يجعل لها الدور الكبير والمهمة العظمى ويضمها أعمق المعاني وأسلمها، انه يريد من هذا الإنسان أن يكون صالح المنطق، مهذب الكلام، فلا فحش ولا لغو ولا عبث بل الجدية المثمرة ذات الأهداف الربانية التي تزرع في نفوس الناس الخير والسعادة، انه يريد من كل واحد منا أن يكون نظيف الكلمة لأنها تحمل المعنى، والمعنى في نظر الإسلام يجب أن يكون نظيفا وإذا كان المعنى نظيفا يجب أن يكون وعاءه نظيفا، ووعاء الكلمة فيجب أن

تكون نظيفة ولذا قال تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، ﴿وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾  
إبراهيم: ٢٦ .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ الأحزاب: ٧٠.

فان هذه الآيات الكريمة تدل بوضوح على أن الإنسان يجب أن يكون مستقيم اللسان طيب الكلمة، بل الإسلام يدعو أبناءه ليوجهوا من الكلام الجاهل بالمنطق السوي فيقول (سلاما سلاما) ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان: ٦٣.

وهذا منطوق الترفع عن الإسفاف والإبتذال إلى منطوق المسامحة والعفو فليس في قاموس المسلم إلا الألفاظ الطيبة ذات المدلول الطيب ولذا لا يفحش في كلامه ولا يتجاوز الأدب في منطقه ولا يقول إلا الحق في حديثه ومن خرج عن ذلك وتعداه فليس حديثه من مقولات الإسلام، بل ذلك من علامات النفاق وعدم الإيمان.

ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام : «ان الفحش والبذاءة والسلطة من اللسان».

وقال الرسول الأعظم ﷺ : «ان من شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه».

وقال أيضا صلوات الله عليه: «إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فهو شرك الشيطان».

وفي حديث آخر عنه صلوات الله عليه: «إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء، قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فانك إذا فتشته لم تجده إلا لغية أو شرك شيطان، قيل يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ فقال ﷺ أما تقرأ قول الله عز وجل ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.

بل في حديث النبي ﷺ حمل اللسان من الأوزار والعذاب ما لم يحمله لغيره من جوارح البدن ذلك من قوله:

يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً فيقول: أي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً؟ فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بها الدم الحرام وانتهب المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام، وعزتي وجلالي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من الجوارح.

إذا ما ذا سيكون عقاب اصحاب الفتاوي التكفيرية التي يستحلون بها دماء المسلمين في كل مكان، حمى الله المسلمين منهم ومن فتاويهم.

وفي مقابل هذا يجعل الإسلام الكلمة الطيبة صدقة كما جاء في حديث رسول الله ﷺ بل جعل الكلمة الطيبة أفضل من الصدقة مع الأذية قال تعالى ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى﴾.

### حفظ اللسان:

قال رسول الله ﷺ: الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فرب كلمة سلبت نعمة.

وقالوا: لسانك حصانك.. إن صنته صانك.. وإن خنته خانك...

وقيل اجتمع أربعة حكماء: من الروم، والفرس، والهند، والصين

فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل

وقال الآخر: إذا تكلمت بالكلمة ملكتنى، ولم أملكها، وإذا لم

أتكلم ملكتها ولم تملكني.

وقال الآخر: عجبت للمتكلم، إن رجعت عليه كلمته ضرته،  
وإن لم ترجع لم تنفعه

وقال الرابع: أنا على رد ما لم أقل، أقدر مني على رد ما قلت.

فاحذر زلات اللسان وسقطات المنطق فإنك تحكم الكلمة ما دامت  
لم تخرج منك فإن خرجت فإنها تحكمك وإلى هذا الغرض قال ابن عباد:

حِفْظُ اللِّسَانِ رَاحَةُ الْإِنْسَانِ  
فَاخْفِظْهُ حِفْظَ الشُّكْرِ لِلْإِحْسَانِ

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ وَكَمُلَ نَقَصَ الْكَلَامُ».

• وجاء عن لقمان رحمه الله تعالى: «إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ  
الْحَجَرِ فِي وَقْعِهِ، وَأَنْفَذُ مِنَ وَخْزِ الْإِبْرِ، وَأَمَرُّ مِنَ الصَّيْرِ، وَأَحَرُّ مِنَ  
الْجَمْرِ».

• وجاء عن سيد البلغاء والمتحدثين علي بن أبي طالب عليه السلام: «مَا أَضْمَرَ  
أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَاتٍ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتٍ وَجْهِهِ».

وورد عن علي بن الحسين عليه السلام أنه سئل عن الكلام والسكوت أيهما  
أفضل؟ فقال عليه السلام: لكل واحد منهما آفات فإذا سلما من الآفات فالكلام  
أفضل من السكوت، قيل: وكيف ذاك يا بن رسول الله ﷺ؟ فقال: لأن الله  
عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا  
استحقت الجنة بالسكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا  
وقيت النار بالسكوت، ولا تجنب عن سخط الله بالسكوت، إنما ذاك  
كله بالكلام. وبناء على ذلك فينبغي حفظ اللسان عن اللغو والسب والشتم وإثارة  
الفتن، وقصره على الحكمة والقول الحسن.

## آفات اللسان:

والآفات المترتبة على اللسان كثيرة اُشار الى بعضها سيدنا زين العابدين، تقتصر على جملة منها:

**الفحش:** قال رسول الله ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ فَحَّاشٍ بَذِي قَلِيلٍ الْحَيَاءِ، لَا يَبَالِي مَا قَالَ وَلَا مَا قِيلَ لَهُ، فَإِنَّكَ إِنْ فَتَشْتَهُ لَمْ تَجِدْهُ إِلَّا لَغِيَةً أَوْ شَرَكَ شَيْطَانٍ.**

وقال ﷺ: **لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلَا بِاللَّعَانِ، وَلَا بِالْفَاحِشِ وَلَا بِالْبَذِي.**  
**السخرية والشماتة:** وهي محاكاة أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم وخلقهم، قولاً أو فعلاً أو إيماءاً أو إشارة، على وجه يضحك منه وهو يوجب الإيذاء بحضرة المزمتهزء به، أو غيبة في غيابه.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (الحجرات: ١١).

وعن رسول الله ﷺ قال: **ومن استخف بفقر مسلم فقد استخف بحق الله، والله يستخف به يوم القيامة إلا أن يتوب.**

**النميمة:** والنميمة قرينة الكذب، فالنمام لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والحسدة والإفساد بين الناس. ولقد حذر القرآن الكريم وبين صفاته.

قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٌّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٌ﴾ (الفلم - ١١-١٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال قال رسول الله ﷺ: **«ألا انبئكم بشراركم؟**



قالوا بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء والمعائب.

- ذكر عيوب الناس: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور: ١٩.

قال امير المؤمنين عليه السلام: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: إن أسرع الخير ثوابا البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عنه، وأن يعير الناس بما لا يستطيع تركه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه»

ستر العيوب: ورد في الحديث: إن الله تبارك وتعالى إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة»

وفي عهد أمير المؤمنين عليه السلام الى مالك الأشر: «وليكن أبعد رعتك منك وأشنائهم عندك أطلبهم لمعايب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعتك».

الكذب: قال الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل: ١٠٥).

والكذب قسمان عملي وقولي والأول كالرياء والتعظيم في غير محله والثاني هو ما قصده الروايات الآتية:

عن النبي ﷺ ويل للذي يحدث ويكذب ليضحك به القوم، ويل

له، ويل له، ويل له.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب جده وهزله.

**الغيبة : قال تعالى :**

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

روي عن رسول الله ﷺ انه قال: «هل تدري ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل له: أرايت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته».

وعنه عليه السلام أنه قال «ما عمر مجلس بالغيبة إلا خرب بالدين، فنزهوا أسماءكم من إستماع الغيبة، فإن القائل والمستمع لها شريكان في الإثم».

**البهتان: قال تعالى :**

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (النساء: ١١٢).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أن تقول في أخيك ما قد ستره الله عليه، فأما إذا قلت ما ليس فيه فذلك قول الله عز وجل ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾».

وعنه عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً».

سوء الظن : قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات : ١٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام : إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله، ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله، فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر.

كثرة الكلام: عن سليمان بن مهران قال: دخلت على الصادق عليه السلام وعنده نفر من الشيعة، فسمعتة وهو يقول: معاشر الشيعة! كونوا لنا زينا ولا تكونوا علينا شينا، واحفظوا ألسنتكم، وكفوها عن فضول وقبيح الكلام».

وفي وصية للنبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر: يا أبا ذر! كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع، يا أبا ذر! إنه ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان، يا أبا ذر! إن الله عند لسان كل قائل، فليتنق الله المرء وليعلم ما يقول».

السعاية: عن رفاعة بن أعين قال لي الصادق عليه السلام : ألا أخبرك بأشد الناس عذابا يوم القيامة؟ قلت بلى يا مولاي، قال: أشد الناس عذابا يوم القيامة من أعان على مؤمن بشطر كلمة»

النفاق: قال تعالى :

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح : ١١).

عن الباقر عليه السلام قال: بئس العبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهدا ويأكله غائبا، إن أعطى حسده، وإن ابتلى خذله».

وهذا كله يوجزه الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته فقد جعل من إكرام اللسان وحقه على الإنسان أن يكرمه ويجله عن الخنى ويعوده على الخير من ذكر

الله وتسبيحه ويحمله على الأدب مع الناس فيخاطبهم باللين والعطف والأدب  
 والتهذيب، يلجمه ويريحه إلا إذا كان في منفعة الدين والدنيا ويبعده عن  
 الزوائد الكلامية وفضولها التي لا فائدة منها إلا للقضاء على الوقت وتعطيل  
 العمر وإفساده وإضاعته وهذا لا يليق بانسان له دور في الحياة وكرامته عند  
 الله، ثم ينبه الإمام إلى أن حسن اللسان ولينه وطيبه يدل على عقل صاحبه  
 ووعيه وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام يقول: وزكاته النصيح للمسلمين  
 والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره...





## حق السمع

### رحلة حقوقية

يغضي حياء ويغضى من مهابته

فما يكلم إلا حين يتسم

رأى الزهري علي ابن الحسين عليه السلام في ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيقا وهو

يمشي.

فقال: يا ابن رسول الله ما هذا ؟

قال: أريد سفرا اعد له زادا احمله إلى موضع حريز.

فقال الزهري: فهذا غلامي يحمله عنك، فأبى قال: أنا احمله عنك فاني أرفعك

عن حمله.

فقال علي ابن الحسين: لكني لا ارفع نفسي عما ينجي في سفري ويحسن ورودي

على ما أرد عليه، أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتني فانصرف عنه فلما كان

بعد أيام قال له: يا ابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثرا ؟!

قال يا زهري ليس ما ضننت ولكنه الموت وله استعداد إنما الاستعداد للموت

تجنب الحرام وبذل الندى في الخير.

ما أجمل الترحال والسفر في رحاب أهل بيت الوحي ومعدن العلم ومختلف

الملائكة، نعم ففصل الخطاب عندهم كما قال إمامنا الهادي عليه السلام، وفي مقطع آخر «كلامكم نور وأمركم رشد ووصيتكم التقوى وفعلكم الخير». تلك الرحلة التي ليس تبهر بنا في حقوق هذه الدنيا بل تصعد بنا إلى تلك الشجرة المثمرة التي تؤتي أكلها كل حين، إنها سدرة المنتهى.

لا زلنا أحبتي في حق الله الأكبر والحق الرابع وهو حق السمع.

### حق السمع

«وَأَمَّا حَقُّ السَّمْعِ فَتَنْزِيهِهُ عَنْ أَنْ تَجْعَلَهُ طَرِيقًا إِلَى قَلْبِكَ إِلَّا لِفُوهَةٍ كَرِيمَةٍ تُحَدِّثُ فِي قَلْبِكَ خَيْرًا أَوْ تَكْسِبُ خُلُقًا كَرِيمًا فَإِنَّهُ بَابُ الْكَلَامِ إِلَى الْقَلْبِ يُؤَدِّي إِلَيْهِ ضُرُوبُ الْمُعَانِي عَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

من نعم الله الجليلة على الإنسان نعمتا السمع والبصر اللتان نوه الله بهما في كتابه العظيم وامتن بهما على عباده في كثير من آياته كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٢٣).

ذكرت كلمة السمع ومشتقاتها وتصاريدها في القرآن الكريم ١٨٥ مرة بينما وردت فيه كلمة البصر ومشتقاتها وتصاريدها ١٤٨ مرة فقط.

وحيثما وردت كلمة السمع في القرآن عنت دائما سماع الكلام والأصوات وإدراك ما تنقله من معلومات. وقد توافقت كلمتا السمع والبصر في ٣٨ آية كريمة.

ومن الملاحظ في آيات السمع والبصر أن كلمة السمع قد سبقت كلمة البصر وبلا استثناء، فلا بدا وان تتسائل هل لهذا السبق دلالة خاصة؟ أيضا نلاحظ أن الإمام زين العابدين قدم حق السمع على حق البصر، هل لهذا التقديم صدفه أم أن الكتاب

والعبرة شيء واحد وأنها لا يفترقان، الواقع أنها مشكاة واحدة فهذا القرآن الصامت وهم القرآن الناطق.

اجل هناك دلالة علمية تتعلق بخلقه هاتان الحاستان عضويا، ودلالة معنوية تتعلق بهدايته فكريا وهذا ما سنتناوله باختصار.

**وللإجابة على الفقرة الأولى:** من المعلوم فزيولوجيا وتشريحيا أن العصب البصري يحتوي على أكثر من مليون ليف عصبي بينما لا يحتوي العصب السمعي إلا على ثلاثين ألف ليف فقط كما أن من المعروف فزيولوجيا أن ثلث الأعصاب الحسية في الجسم هي أعصاب بصرية ولا يرد إلى الجسم من مجموع المعلومات الحسية عن طريق الجهاز السمعي أكثر من ١٢٪ بينما يرد إلى الجسم عن طريق الجهاز البصري حوالي ٧٠٪ من مجموع المعلومات الحسية.

لا بد من وجود سبب لم نعرفه بعد، ولكن لو تبصرنا في الحقائق العلمية التي عرفت حديثا في علوم الأجنة والتشريح الفيزيولوجي والطب لتمكنا من إيجاد الأجوبة ولأتضح لنا الإعجاز العلمي في هذه الآيات، وأما الحقائق فهي:

أ- جهاز السمع يتطور جنينا قبل جهاز البصر، ويتكامل وينضج حتى يصل حجمه في الشهر الخامس من حياة الجنين الحجم الطبيعي له عند البالغين بينما لا يتكامل نضوج العين الا عند السنة العاشرة من العمر.

ب - يبدأ الجنين بسماع الأصوات وهو في رحم أمه وفي الشهر الخامس من حياته الجنينية ولكنه لا يبصر النور والصور الا بعد ولادته.

ج - تتطور وتنضج كل المناطق والطرق السمعية العصبية قبل تطور ونضوج مثيلاتها البصرية بفترة طويلة.

### حاسة السمع في القرآن الكريم:

تتناول هذه المقالة الكلام عن حاسة السمع في القرآن الكريم.

والحواس في اللغة: المشاعر الخمس وهي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. وفيها الكلام عن أذن الإنسان.

واختلف العلماء في أذن الإنسان هل هي من الرأس؟ أم أنها عضو مستقل لا من الرأس ولا من الوجه؟

### مقدمة :

الأذن هو العضو الحسي الذي يُمكننا من السمع، والذي هو أحد أهم الحواس. ومن فوائد السمع أنه يحذرننا من الأخطار كسماعنا أصوات تحذير أبواق المركبات أو أجهزة التحذير من الحريق، كذلك يمنحنا السمع المتعة عند تغريد الطيور، وأصوات الأمواج التي تنكسر على الشاطئ.

فكل شيء يتحرك يحدث صوتاً، والصوت يتكون من اهتزازات لجزيئات الهواء التي تنتقل في موجات، ثم تدخل هذه الموجات إلى الأذن، حيث تتحول إلى إشارات عصبية تُرسل إلى الدماغ الذي يقوم بدوره بترجمة هذه الموجات إلى أصوات.

وللأذن وظيفة أخرى بالإضافة للسمع وهي حفظ التوازن، فهي تحتوي على أعضاء خاصة تستجيب لحركات الرأس فتعطي الدماغ معلومات عن أي تغيير في وضع الرأس، فيقوم الدماغ ببعث رسائل إلى مختلف العضلات التي تحفظ الرأس والجسم ثابتين، كما في حال الوقوف، أو الجلوس، أو السير، أو أي حركة أخرى.

ولكثير من الحيوانات آذان مشابهة لآذان الإنسان، ويملك بعضها حاسة سمع قوية جداً، والسمع مهم أيضاً لأمان وبقاء العديد من الحيوانات، فالأصوات تحذرها من اقتراب الأعداء أو أي خطر آخر، كما يقوم بعضها بالغناء أو الهسهسة أو الدندنة أو إصدار أصوات أخرى للتفاهم فيما بينها.



## السمع في القرآن الكريم:

يتضمن السمع ثلاث درجات معروفة في علم وظائف الأعضاء، وهي مذكورة في كتاب الله تعالى:

**الدرجة الأولى:** الإحساس بالصوت دون فهم، وذلك مثل الطفل الوليد الذي يحس بالصوت لكنه لا يفقه معناه، أو كالدواب السارحة التي إذا نعت بها راعيها، أي دعاها إلى ما يرشدها فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه، فلا تفهم ما يقول، بل إنما تسمع صوته فقط، وهذا مذكور في قول الله تعالى:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾ (البقرة: ١٧١).

**والثانية:** هي الإحساس بالصوت مع الفهم وعدم الطاعة وذلك في قوله تعالى:

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥).

**والثالثة:** هي الإحساس بالصوت مع الفهم بالإضافة إلى الاقتناع والإيمان والطاعة وهي أعلى درجات السمع التي تُمنح للمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ...﴾ (الأنعام: ٣٦).

هذه المعاني أو الدرجات الثلاثة تتوافق مع ما هو معروف في علم وظائف الأعضاء من الإحساس بالصوت والتمييز والفهم والوظائف العليا الأخرى للمخ التي تتضمن العواطف والإرادة والتصرفات.

والقرآن العزيز فرّق بين السماع والاستماع والإصغاء والإنصات بطريقة بليغة ودقيقة ومناسبة للموقف:

- فالسمع يكون بقصد ومن دون قصد، ومثاله في كتاب الله العزيز قوله تعالى:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ (القصص: ٥٥).

- والاستماع يكون بقصد من أجل الاستفادة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ (الأحقاف: ٢٩).

- والإصغاء: حيث التركيز وتفاعل القلب والمشاعر، قال تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ (الأنعام: ١١٣).

وجاء معنى صغى في مختار الصحاح ص غ ا: صَغَا مال وبابه عدا وسما ورمى وصدي و صُغِيًّا أيضا قلت ومنه قوله تعالى ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمُ﴾ وقوله تعالى ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وأصغى إليه مال بسمعه نحوه وأصغى الإناء أماله.

- والإنصات هو ترك الأشغال والسكوت والتفرغ للاستماع، وذلك مصداق قوله جل شأنه ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

### أهمية السمع :

إن السمع أهم وسيلة من وسائل التعلم والإدراك، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨).

ومن العجيب في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قال فيها: ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾. لذلك قد يقال: كيف خرج من بطن أمه وهو لا يعلم شيئا ولا يفقه معناه؟ والجنين داخل بطن أمه يحس بالصوت !

فيجاب عن هذا:

أن الجنين في بطن أمه يدرك ولا يعلم، والإدراك غير العلم، فالله تعالى جعل

لهم السمع والأبصار والأفئدة قبل الخروج من بطون الأمهات، وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج.

وحين يبدأ الله سبحانه وتعالى بشيء ويقدمه على غيره يكون لذلك دلالة على الأهمية، والنبى ﷺ لما بدأ بالسعي بين الصفا والمروة بدأ بالصفا وقال: أبدأ بما بدأ الله به، فالبدء بما بدء الله به يدل على أهميته وتقدمه كما جاء التقديم للسمع.

وقد برهنت الاكتشافات الطبية أن السمع أهم من البصر وذلك من كل الجوانب، فإذا أخذنا مقارنة بسيطة بين الأذن والعين نلاحظ أن:

- ١- البصر يحتاج إلى النور فنحن لا نستطيع أن نرى في الظلام.
- ٢- البصر حاسة شعورية يخضع لإرادة صاحبه بمعنى أنه بإمكاننا أن نرى أو لا نرى حسب إرادتنا الشخصية وبإمكاننا أن نلفت نظرنا عن شيء لا نرغب في رؤيته.
- ٣- العين تنام وتستريح بالليل لأننا لا نرى شيئاً بالليل إلا في الرؤى والأحلام.
- ٤- الأذن تمكننا من السمع وحاسة السمع لا شعورية، أي أننا نسمع في الليل والنهار وفي النوم واليقظة، لأن الأذن لا تنام.

### نشأة حاسة السمع وتطورها:

يقول العلم الحديث: إن الجهاز السمعي يبدأ تخلقه منذ بداية الأسبوع الثاني للجنين، وهو في رحم أمه، ويكون ذلك على هيئة حفرة على جانبي الرأس، ثم تصبح حويصلة ثم تستطيل، ثم تتكون الأذن الداخلية، وبعد ذلك يتكون الدهليز السمعي، ثم تتصل بالعصب السمعي، ويتقدم وسائل العلم ثبت أنه بإمكان الجنين أن يسمع الأصوات منذ الشهر الرابع، فهذا عالم آخر تكفل به العليم الخبير.

فالأذن هي أول عضو من أعضاء البدن في التخلق.

ومن إعجاز القرآن أيضاً ذكره وظائف الجسم الحيوية كلها تتقهقر بتقدم العمر كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ (يس: ٦٨).

وكان من دعائه ﷺ اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوراث منا. قال العلماء: إن معنى عبارة معنى اجعله الوراث منا: تعني (أبقها صحيحة سليمة إلى أن أموت).

وكان النبي ﷺ إذا سجد يقول: اللهم لك سجدتُ وبك آمنتُ ولك أسلمتُ، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين.

وهو النبي ﷺ يلخص لنا علم الأجنة البشري في كلمة واحدة في خلق الأذن حين يقول: «شق سمعه وبصره»، وليس هناك كلمة أبلغ ولا أخصر من هذه الكلمة في وصف تخلق الأذن. حيث الأذن تتكون من ثلاثة أجزاء: أذن خارجية، ووسطى، وداخلية.

الأذن الداخلية هي العضو الرئيس في السمع وهي التي تبدأ في التخلق أولاً، وهي تبدأ بصحيفة ثخينة من الأذين الظاهر، هذه الصحيفة تبدأ وتغطس داخل الجسم حتى تفقد اتصالها بالسطح ثم تتشكل بعد ذلك على هيئة قنوات محفورة بعناية وإحكام وإتقان وزوايا محسوبة بدقة حتى تخدم وظيفة السمع ووظيفة التوازن، ولكن تبقى هذه الأذن معزولة عن السطح وتريد أن تتصل بالهواء الخارجي كي تستقبل الأصوات، وتريد أن تتصل بتجويف الإنسان كي يتعادل الضغط على جانبي الطبلة ومن ثم تبدأ الأذن الخارجية على هيئة شق وتبدأ كتلة خلوية في التكون لتصبح الأذن الخارجية وهي عبارة عن شق من الخارج إلى الداخل، وهناك شق آخر من الداخل إلى الخارج هو قناة ستاكس وتجويف الأذن الوسطى وهذه تقابل الشق الداخلي وقبل الشق الخارجي، ويفصل بينهما غشاء واحد رقيق هو غشاء الطبلة.

ولما كانت الأذن كاملة التكوين قبل وعند نزول الإنسان بل وقبل نزول الإنسان، فالأذن الداخلية تصل إلى كمالها وحجمها حتى في البالغ في الأسبوع الثاني والعشرين في منتصف فترة الحمل تقريباً .

ولما كانت الأذن هي الحاسة المكتملة وحدها عند الولادة كان من سنته ﷺ (وبتوجيه الهي) أنه يؤذن في أذن المولود، كما في الحديث الذي رواه الترمذي عن عبيد الله أبي رافع عن أبيه قال: «رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة».

وما يلفت النظر أن التعليم هنا بدأ مبكراً جداً، بدأ بعد الولادة حيث أثبتت الدراسات أن خلايا المخ تتكون بينها الاتصالات العصبية بحسب المؤثرات الخارجية، وليس هناك ما هو أهم من الأذن بما فيه من معاني من إعلامه بالتوحيد أول ما يقرع سمعه عند قدومه إلى الدنيا.

والشيء الآخر اللافت للنظر أن النبي ﷺ أذن في أذن المولود! ولم يؤذن في المكان الذي يوجد فيه المولود مع أن الأذن تكون مكتملة من الناحية التشريحية ومن الناحية الوظيفية، وذلك لأن من المعروف عند الولادة أن سائل الأمنيوسي amniotic fluid يملأ كل تجاويف الجنين بما فيها تجويف الأذن الخارجية والوسطى ومن ثم يحدث ضعف في السمع يقدر من ٢٠ - ٤٠ ديسيبل، لذلك لا يسمع الطفل - في تلك الفترة - أي صوت غير الهمس الذي يصل إلى أذنه، لذا لو حدث الأذن في المكان وليس في أذنه فلن يسمع المولود ومن ثم لا تكون الفائدة.

### قصور الأذن البشرية:

يتكون الصوت من ذبذبات تسير في موجات عبر الهواء أو الأرض أو مواد وأسطح أخرى. وتختلف الأصوات من حيث التردد والشدة، فالتردد هو عدد

الذبذبات التي تحدث كل ثانية وتقاس بالهرتز، والهرتز يساوي ذبذبة واحدة كل ثانية، والصوت ذو التردد العالي له درجة نغم عالية. وبالمقابل فإن الصوت ذا التردد المنخفض له درجة نغم منخفضة. ويتراوح مدى السمع الطبيعي للإنسان ما بين ٢٠ و٢٠,٠٠٠ هرتز. وتقل قدرة الإنسان على سماع الأصوات ذات التردد العالي مع التقدم في العمر، أما شدة الصوت فهي كمية الطاقة في موجة الصوت، وهي تقاس بالديسيبل.

لكن أذن الحيوانات كما هو معروف تتفوق على أذن الإنسان كثيراً حتى إن الخفافيش والدلافين تستطيع أن تسمع لغاية ١٢٠,٠٠٠ ذبذبة لكل ثانية.

فالخفافيش تستطيع سماع الأصوات ذات التردد العالي جداً بدرجة أفضل من الإنسان، فالخفافيش هو حيوان ليلي يعيش في الكهوف، وينشط أثناء الظلام، ولذلك فإن الرؤيا عنده لا قيمة لها. ويعتمد الخفافيش على السمع في حركته وذلك من خلال الاستعانة ببروز يسمى محدد موقع الصدى، إذ يُطلق نبضات فوق صوتية تنعكس من أي شيء يقع في طريقه أثناء الطيران فيسمعها بأذنيه الكبيرتين، ويقرر بكل دقة بُعد الأشياء والفريسة تماماً، وكذلك يحدد بشكل رائع اتجاهها، وقد قلده البشر، وقلده العلماء بعد أن درسوا هذه الظاهرة، وكانت هي القاعدة الأساسية التي أقاموا عليها فكرة الرادار في اكتشاف الطائرات، ﴿سُبْحَانَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨).

### حاسة السمع أثناء النوم:

قد قدمنا أن الحواس عند النوم تتعطل، لكن تبقى حاسة السمع تعمل، ومن ثم

ذكر الله عز وجل وربط بين النوم والسمع في آيات عديدة منها:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَآ تَسْمَعُونَ﴾ (القصص: ٧١).

فربط بين السمع والليل، ومعنى سَرْمَدًا: أي دائماً.

وفي سورة الكهف قال تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمُ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف: ١١).

فربط بين الضرب على الأذن وبين النوم دون استيقاظ هذه الفترة الطويلة.

والضرب هنا التعطيل والمنع، والمراد: من ذلك هو أننا عطلنا حاسة السمع عندهم مؤقتاً والموجودة في الأذن والمرتبطة بالعصب القحفي الثامن. قال صاحب تفسير الكشف في تفسير هذه الآية، أي ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبهم فيها الأصوات كما ترى المستقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال: بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة. وجاء في المجمع: ومعنى ضربنا على آذانهم أي سلطنا عليهم النوم، وهو من الكلام البالغ في الفصاحة.

وأيضاً تم تعطيل الجهاز المنشط الشبكي (ascending reticular activating system) الموجود في الجذع من الدماغ والذي يرتبط بالعصب القحفي الثامن أيضاً (فرع التوازن) حيث إن هذا العصب له قسمان: فأما الأول: مسؤول عن السمع، وأما الثاني: مسؤول عن التوازن في الجسم داخلياً وخارجياً ولذلك قال الله سبحانه ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ ولم يقل (فضربنا على سمعهم) أي إن التعطيل حصل للقسمين معاً وهذا الجهاز الهام مسؤول أيضاً عن حالة اليقظة والوعي وتنشيط فعاليات أجهزة الجسم المختلفة والإحساس بالمحفزات جميعاً وفي

حالة تعطيله أو تخديره يدخل الإنسان في النوم العميق وتقل جميع فعالياته الحيوية وحرارة جسمه، فسبحان اللطيف الخبير.

ودل القرآن الكريم على أن الصوت العالي ضار على الأذن وعلى البدن فأما ضرره على الأذن فهو في قول الله تعالى عن يوم القيامة: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ (عبس: ٣٣).

قال المفسرون: إن الصَّاعَةُ هي الصيحة تُصم الأذان لشدها، أي تصيها بالصمم، ومنه سُميت القيامة الصَّاعَةُ. وهذا يعتبر أول توثيق علمي بأن الصوت العالي يصيب الأذن بالصمم، كما قال صاحب القاموس المحيط: الصَّمَمُ: انسداد الأُذُنِ وَثَقُلَ السَّمْعُ.

وأما ضرره على البدن: فيتمثل الإعجاز بأن الصوت العالي لا يؤثر فقط على الأذن وإنما يؤثر إذا زاد عن المدى السمعي للأذن على بقية أعضاء البدن، ومن ثم فقد أهلك الله سبحانه أقواماً بالصيحة كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (يس: ٢٩). وكما في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (الأعراف: ٧٨).

ومن المعروف أن الصوت عبارة عن نوع وشكل من أشكال الطاقة وهو عبارة عن تضاعفات وتخلخلات في الهواء إذا زادت عن الحد المسموح به بالنسبة للأذن أضرت الأذن، وإذا زادت عن طاقة احتمال الأذن تضر بقية الأعضاء فيصاب الإنسان بالإجهاد والضغط والتوتر العصبي وعدم التركيز ويؤثر على القلب والجهاز الدوري فيصاب بسرعة النبض وارتفاع ضغط الدم وتزايد هذه التأثيرات حتى تصل إلى ذروتها في الانفجارات المصاحبة للقنابل الضخمة وذلك لأن هذا الانفجار يطلق طاقة عظيمة جداً في وقت قصير جداً، يتبدد جزء من هذه الطاقة على صورة حرارة عالية تصل إلى أربعمئة درجة مئوية والجزء الآخر يطلق على هيئة زيادة في الضغط الجوي،



وهذا الضغط الشديد والمتنشر خلال الأرض يمكن أن يحدث رجفة مشابهة للزلازل ذات المدة القصيرة، ومن هنا عبّر القرآن العظيم تارة بالصيحة وتارة بالرجفة.

وهذا الأثر الذي تتركه الصيحة يصل إلى تدمير الأعضاء الرئيسية والأوعية الدموية وانفجار الرئتين يصاحبه توقف للقلب والدورة الدموية مما يؤدي إلى وفاة الإنسان.

والقرآن الكريم قد سبق كل المعارف البشرية حين قرر إهلاك بعض الأمم بالصيحة، والمتأمل في الآيات التي ذكرت هلاك بعض الأوام بالصيحة يعجب من دقة الوصف لوسيلة العذاب ولأثرها على المعذنين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (يس: ٢٩).

ويبقى الشرف العظيم للأذن حين وصف الله تبارك وتعالى نبيه محمد ﷺ بأذن الخير عندما أراد المنافقون أن يؤذوا رسول الله ﷺ فقالوا عنه هو أذن أي سماع لكل قول يجوز عليه الكذب والخداع ولا يفتن إلى ذلك، فأخذ الله من قولهم رداً عليهم فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أٌذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١).

نعم هو نبي الرحمة محمد ﷺ أذن خير للناس يستمع إلى الوحي ثم يبلغه لهم وفيه خيرهم وصلاحتهم ويصدق الله فيما يقول له، ويصدقكم فيما تعتذرون إليه.<sup>(١)</sup>

أما وقد تعرضنا للحقائق العلمية والفيزيولوجية لهذه اللاقطة العجيبة، فستعرض الآن لوضيفتها المعنوية والفكرية وأثرها على هداية الإنسان.

قال إمامنا الصادق عليه السلام في حديث الزكاة: وزكاة الأذن استماع العلم والحكمة

(١) بقلم عبدالقادر شحرور من موقع صيد الفوائد «مع بعض التصرف».

والقرآن وفوائد الدين من الحكمة والموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك بالإعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة وأشباهها.

هذا الجهاز الذي ينقل المعلومات فيبدل كيان هذا الإنسان ووضعه ويحوله من صف إلى صف آخر ومن جهة إلى جهة أخرى، فإذا سمع فكرة ذات قيمة رسالية وتفاعل معها قد تحوله إلى ملاك في شكل إنسان كما انه إذا سمع فكرة هدامة ملحدة قد تحوله إلى مجرم وقاطع طريق.

فعليه يجب علينا أن ننزه إسماعنا عن اللغو والمجون وكل ما هو مفسد لأن هذه الأذن ستنقل ما تسمع وعن طريقها سيتأثر الإنسان ويهتك، أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٠).

وفي المقابل الآخر يجب أن تكون هذه الأذن مفتاح الخير والهدى وعن طريقها يتلقى الإنسان كل ما يصلحه ويسعده من كلام وحديث وأخبار ومحاضرات بشتى أنواعها وفي جميع الميادين وكل ما فيه حكمة وفائدة كما قال زين العابدين «تحدث في قلبك خيرا أو تكسب خلقا كريما». وأفضل ما تتلقاه إسماعنا كلام الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).





## حق البصر

### رحلة حقوقية

مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبَعَتْهُ  
طَابَتْ مَغَارِسُهُ وَالْخَيْمُ وَالشَّيْمُ  
يَنْشَقُّ ثَوْبُ الدُّجَى عَنْ نَوْرِ غُرَّتِهِ  
كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ  
مِنْ مَعَشَرِ حُبِّهِمْ دِينَ وَبُغْضِهِمْ  
كُفْرَ وَقُرْبِهِمْ مَنْجَى وَمُعْتَصَمُ

عن عبد الله بن المبارك قال : حججت في بعض السنين، فبينما أنا أسير في عرض  
الحاج، إذا أنا بشاب وسيم الوجه يسير ناحية عن الحاج بلا زاد ولا راحلة، فتقدمتُ  
إليه وسلمت عليه، فردَّ عليَّ السلام، فقلتُ : مع مَنْ قطعت البر؟ قال : «مع الباري».   
فعظم في عيني، فقلتُ له : أين زادك وراحتك؟ قال : «زادي تقواي، وراحتي  
رجلاي، وقصدي مولاي». فكبر في نفسي، فقلتُ له : مَنْ تكون أيُّها الشاب؟ قال :  
«هاشمي». قلتُ : أفصح؟ قال : «طالبي». قلتُ : أوضح؟ قال : «فاطمي». قلتُ  
له : يا سيدي، هل قلت شيئاً من الشعر؟ قال : «نعم». قلتُ : أنشدني من شعرك.  
فأنشأ يقول:

نحنُ على الحوضِ ذَوادُهُ      وتُسْقَى بنا منه وِرادُهُ

وما فازَ مَنْ فازَ إلّا بنا      وما خابَ من حَبنا زاده  
ومن سرنا نال منا لسرور      ومن سائنا ساء ميلاده  
ومن كان غاصبنا حقنا      فيوم القيامة ميعاده

ثمّ غاب عن عيني، فلم أره حتّى أتيت مكّة المكرمة وقضيت الحجّ وأتيت الأبطح، فإذا أنا بحلقة مستديرة، فاطّلت لأنظر مَنْ فيها، فإذا أنا بصاحبي الشاب الهاشمي، فسمعتة يقول:

نحنُ بنو المُصطفى ذُوو عُصصٍ      يجرعُها في الأنامِ كاظمُنا  
عظيمة في الأيامِ محنتنا      أولنا مبتلى وآخرنا  
يفرح هذا الوريّ بعيدهم      ونحن أعيادنا مآتمنا  
والناس بالأمن والسرور ولا      يأمن طول الزمانِ خائفنا  
يحكمُ فينا والحُكمُ فيه لنا      جاحدنا حقّنا وغاصبنا

فسألت عنه ف قيل لي : هو زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام.

أيها الأحبة رحلتنا لا زالت تمخر عباب الحقوق لتعطي لكل ذي حق حقه ولا زلنا في مدار حقوق الخالق وقد بينا حقوق السمع سابقا ونبين الآن حقوق البصر وهاتان الجارحتان متلازمتان في القرآن الكريم ولذلك اتبع الإمام زين العابدين حق البصر مباشرة بعد حق السمع ولننظر ما يقول.

### حق البصر

(وَأَمَّا حَقُّ بَصَرِكَ فَعُضُّهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ وَتَرَكُ  
ابْتِدَالِهِ إِلَّا لِمَوْضِعِ عِبْرَةٍ تَسْتَقْبِلُ بِهَا بَصَرًا أَوْ  
تَسْتَفِيدُ بِهَا عِلْمًا، فَإِنَّ الْبَصَرَ بَابُ الْإِعْتِبَارِ).

النصوص القرآنية تفرق بين السمع والبصر من ناحية، والعين والأذن من ناحية أخرى، فما سر هذه الظاهرة؟

فعندما تذكر الآيات القرآنية السمع والبصر، والعين والأذن نلاحظ مايلي:

١ - يأتي السمع والبصر في معان حول الفكر والفهم والتدبر، بينما تأتي العين والأذن مرادباها الأعضاء الناقلة للمؤثرات الحسية.

مثال على الإدراك والفهم التدبر: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨).

مثال على الأعضاء: ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ (المائدة: ٨٣) ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ (لقمان: ٧).

٢ - وعندما يأتي السمع مع البصر في آية واحدة فإن السمع يتقدم على البصر في معظم القرآن الكريم، كما في الآية من سورة النحل ٧٨، وعندما تأتي العين مع الأذن في آية واحدة فإن العين تتقدم على الأذن في معظم القرآن الكريم، أيضا مثال: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٥)، ومن هنا يتبين الآتي:

- ومن هنا يتبين أن القرآن الكريم يفصل بين أداي الحس (العين والأذن) وقوة الإدراك (السمع والبصر)، أما الحقيقة العلمية هي أن العملية الحسية للسمع والبصر تتكون من أعضاء للإستقبال (العين والأذن) ومركز السمع في الفص الصدغي، ومركز الإبصار في الفص المؤخر من الرأس.

- العين والأذن تشير إلى الأعضاء الحسية، أما السمع والبصر فإنهما يشيران إلى معان حول الفهم والعقل والتدبر أو الإدراك العاقل. أما الحقيقة العلمية فهي ما العين والأذن إلا أدوات لنقل الإشارات الحسية السمعية والبصرية إلى حيث يتم إدراكها وفهمها داخل مركز السمع والبصر داخل المخ.

- العين تتقدم على الأذن في كلام الله غالبا. أما الحقيقة العلمية فهي أن العين تقع أمام الأذن في صنعة الله في رأس الإنسان.

- السمع يتقدم على البصر غالباً في كلام الله. أما الحقيقة العلمية فإن مركز السمع يتقدم على مركز البصر داخل المخ البشري.

فحري بنا الإهتمام بهذه الجارحة ومعرفة اجزائها والمحافظة والعناية بها، ولننظر الى الطب وما يقول فيها :

### تركيبة العين:

#### القرنية

تشبه زجاجة الساعة، تشكل الغطاء الشفاف الحامي لمقدمة العين والذي يسمح للضوء بالنفاذ خلاله دون انكسار ويغطي الجزء الملون (القزحية) وتقوم القرنية بوظيفة هامة تتمثل في السماح للأشعة البصرية للدخول إلى الحجرة الأمامية للعين وفي حماية العين من العدوى بسبب طبقة الدموع الخفيفة التي تغطي القرنية والتي تعطي حماية كبيرة للعين ضد البكتيريا والتلوث والأتربة.

#### الملتحمة:

هي الغطاء الشفاف للجزء الأبيض من العين، الملتحمة، وعندما تهيج أو تلتهب يحمر لونها وهذه الحالة تسمى التهاب الملتحمة، والتي يمكن أن تكون ناتجة عن تحسس أو التهاب. ووظيفتها انها تساهم الملتحمة في ترطيب وتزليق العين من خلال إنتاج المخاط والدموع (بكميات قليلة مقارنة مع الغدد الدمعية)<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى ذلك فأن للملتحمة دوراً مناعياً يتمثل في ترصد الأجسام الغريبة والجراثيم ومنع دخولها إلى العين.

(١) من موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

### الصلبة (Sclera):

لونها أبيض وهى الطبقة الأولى الخارجية من طبقات العين الثلاث ولكنها غير شفافة لتحمي العين، وهى لا تمتص الضوء بل تعكسه.

### العدسة:

يجب أن تحتوي كل كاميرا على عدسة لتوضح الصورة جيدا، تحتوي العين على عدسة صغيرة، وهى صافية وشفافة، توضح الصور على الشبكية والتي تعمل عمل الفيلم الذي يسجل الصور والتي يتم توصيلها بواسطة العصب البصري للدماغ حيث تترجم الصورة، إلى الدماغ الذي يؤدي وظيفة الرؤيا الحقيقية وتقوم عدسة العين بتثبيت الصورة المارة عبر القرنية إلى الشبكية، لذلك يجب أن تكون صافية وثابتة الشكل لتعطي رؤيا جيدة، ثم يتم تحويل هذه الصور بواسطة العصب البصري الى الدماغ حيث تترجم الصور. لذلك فإن خدش القرنية عند تمزق الطبقة السطحية يسبب ألما شديدا.

### البؤبؤ:

هو المركز الأسود من القرنية، وهو المسؤول عن تحرير كمية الضوء اللازمة للرؤيا للعين، حيث يتغير حجمه تبعا لذلك.

### وظيفة البؤبؤ:

تتسع الحدقة في الظلمة لتستقبل أكبر كم من الضوء وتضيق في النور لتستقبل كم صغير ومناسب للضوء

وتتحكم عضلتان في القُرْحِيَّة في تعديل حجم بؤبؤ العين لمستوى الضوء المناسب تلقائياً حيث تقوم العضلة الموسعة بتوسيع البؤبؤ في الضوء الخافت. وفي

هذه الحالة، يمكن أن يدخل العين أكبر قدر ممكن من الضوء. أما في الضوء الشديد، فإن العضلة العاصرة تضيق ببؤبؤ العين لمنع الضوء الشديد من دخول العين. كما يضيق البؤبؤ أيضا عندما تنظر العين إلى جسم قريب لكي تتكون صورة واضحة.

### الشبكية:

إنها الجزء الحساس للضوء في العين، تحتوي على شريان رئيسي واحد، ووريد رئيسي واحد، والذي يسمى الورد الشبكي المركزي. وتعمل الشبكية على تحويل الأشعة الضوئية إلى نبضات عصبية يتم نقلها عبر العصب البصري إلى مراكز الدماغ العليا ويتم ذلك في المستقبلات الضوئية.

### العنبية:

الجزء الأوسط من العين، وتشتمل على ثلاثة أجزاء، وهي (القزحية وهو الجزء الملون من العين والجسم الهدبي، والمشيمه)، وأن التهاب أو انتفاخ أي من هذه الأجزاء أو الأنسجة المجاورة لها يسمى التهاب العنبية.

### مركز الإبصار:

وهو الجزء من العين الذي يحتوي على خلايا خاصة حساسة للضوء، والتي تؤهلنا لرؤية التفاصيل الدقيقة بوضوح وهي موضوعة في الشبكية، وهي جزء مهم من أجزاء العين بحيث أن أبسط التغيرات فيها تؤدي إلى نقصان كبير في الرؤية.

### السائل الزجاجي:

هو المادة الهلامية الشفافة التي تعبئ الجزء الأوسط من العين.



### العصب البصري:

انه الطريق التي تربط العين بالدماغ، وهو الوسيلة التي بها يتم التقاط الصور الواقعة على الشبكية بواسطة الدماغ حيث المكان الذي تترجم فيه الصور.

### الجفون:

تشكل الجفون للعين عنصرا أساسيا للوقاية البصرية، فهي تحافظ على الرؤية بالمحافظة على الرطوبة الداخلية، ومنع دخول الأجسام الغريبة للعين، فبدونها تجف عيوننا بسرعة لتعرضها للهواء أو يمكن أن تتأذى بشدة من الرماد أو الحصى أو أي جسم غريب آخر، لاحظ السرعة التي تغمض وتفتح عينيك بها عندما يقترب شيء من عينك يوجد عدة طرق يمكن أن تتأذى بها الجفون، يمكن أن تجرح، أو تحترق في حادث ما، أو أن تلتهب، أو أن تتعرض للأورام والتي يمكن أن تكون خبيثة أو حميدة. ويوجد مشكلتان جفنيان أخريان هما الإرتخاء والترهل. إن الجفون المترهلة يمكن أن تكون مكتسبة أو وراثية، حيث تظهر عند الكبار، إلا أن كلا الحالتين يمكن تصحيحها بنجاح كبير.

### الجهاز الدمعي:

يشكل هذا الجهاز نظام صرف مائي مصغر والذي يمنع الدموع من التدحرج على الوجنتين بشكل مستمر، تفيض الدموع من على سطح العين إلى حافة الجفنين باتجاه الأنف، وقبل وصولها إلى زاوية العين تنحدر في انبوين صغيرين ومنها إلى انبوب كبير والذي يحمل الدموع إلى الأنف هذا ما يفسر لماذا عندما نبكي ننظف انوفنا. الكثير من المشاكل تؤدي إلى أن يخرج هذا النظام الدموع بشكل دون المطلوب، فقد يمزق حادث ما ايا من انبوي الدمع الصغيرين، كما يمكن لأي التهاب مزمن أن يجرح هذه الأنابيب، أو يمكن أن تقوم بعض الأورام بسد الأنبوين جزئيا، كل ذلك

يمكن أن يؤدي إلى عدم انسياب الدموع بشكل جيد مما يؤدي إلى تجمع الدموع في العينين وخروجها الى الوجنتين، ولحسن الحظ فإن الطب بات بإمكانه أن يحل مثل هذه الحالة المزعجة ويعيد للجهاز الدمعي وظيفته.

يولد حوالي ٢٠ ٪ من الأطفال بأنابيب دمعية مغلقة مما يؤدي إلى التهاب حاد أو مزمن نسبيا في النظام الدمعي مما يسبب في ايجاد خليط من المخاط والصديد الذي يترسب في زاوية العينين وبين الجفنين مما يتوجب على الوالدين أن ينظفاه بالمسح بمنديل نظيف. يمكن تخفيف من هذا الترسيب باستخدام قطرة المضاد الحيوي في العين المصابة تقريبا فيفتح هذا الإنسداد على سن سنة وإذا لم تفتح القناة عند مرور السنة الأولى للطفل فإن أخصائي العيون يقوم بفتحها بطريقة بسيطة تدعى فتح الجهاز الدمعي الأنفي هذه الطريقة المختصرة تتطلب تحذيرا مختصرا ودخولا للمريض في المستشفى لفترة قصيرة.

### محجر العين:

هو المكان العظمي الذي تقع فيه كرة العين، فلو وضعت اصبعك على حاجبك وضغطت فسوف تشعر بحافة المحجر وإذا حركت اصبعك حول دائرة محجر العين فستشعر الحماية التي يوفرها المحجر لكرة العين من كل الجوانب - ما عدا الأمام حيث الجفون - كما يوجد بين كرة العين والبيت العظمي بعض التركيبات مثل (الشحوم، العضلات، الأوعية الدموية والغدد)، حيث تعرف هذه بالمكونات المحجرية، ويمكن لهذه المكونات أن تتورم مما يدفع بالعين للأمام، وكثيرا ما يتوجب إزالة هذه الأورام للمحافظة على وظائف العين بشكل طبيعي ويمكن أن يصاب المحجر بالكسر عندما تتعرض العين للرض، بناء عليه فمن الضروري أن ترتدي واقيات العيون عند الدراجات النارية أو بعض الألعاب الخطره.

بعد هذه المقدمة القرآنية والعلمية ندرك أن مطلب الإمام زين العابدين في حق

البصر هو استخدامها للعبارة أو تحصيل علم أو غرض طرف عن محرم لأنها هي المطلب الطبيعي أولاً ولأن البصر مسؤولاً ثانياً قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) (الإسراء).

فالنظر إلى آثار الأولين تفيد العبرة وتصحح مسار الإنسان دنيا وآخرة، وأما استعمالها في الحرام والعياذ بالله ففيها خيانة لهذه الأمانة، فعن إمامنا الصادق عليه السلام: النظره سهم من سهام ابليس مسموم وكم نظرة أورثت حسرة طويلة. وفي حديث المناهي عن جعفر ابن محمد عن آبائه قال: من ملأ عينه من حرام ملأ الله عينه يوم القيامة من النار إلا أن يتوب أو يرجع.

بل عد الإسلام النظره المحرمة زنا العين ففي الحديث (ما من أحد إلا وهو يصيب حظاً من الزنا، فزنا العينين النظر، وزنى اليدين اللمس) ومن هنا أمر الله المؤمنين بغض الأبصار حيث يقول: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) النور.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصية لابنه محمد ابن الحنفية: وفرض على البصر أن لا ينظر الى ما حرم الله عز وجل عليه، فقال عز وجل من قائل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: النظر سهم مسموم من سهام ابليس، فمن تركها خوفاً من الله أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه.

بهذا الجرم الصغير يطل الإنسان على الدنيا فيرى حسناتها وزينتها ويقف بواسطتها على الجمال والقبح وعلى الآثار والأطلال، والمدنية والتقدم، ولا تعرف نعمة البصر إلا عند من فقدتها حيث يتلمس الطريق والإستعانة. لذا يتوجب علينا أن نحمد هذه النعمة ونعطيها حقها كما امرنا زين العابدين وإلا هذا الأعمى هو أحسن حالا من المبصر حيث لن يكون مسؤولاً عن تجاوزات البصر كمن هو مبصر، فعلياً أن

لا نتبع عورات الناس وأعراضهم وكشف ما هو مستور عنهم.

فعن أبي عبدالله عليه السلام الخير كله في ثلاث خصال: في النظر والسكوت والكلام، فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو، وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو، فطوبى لمن كان نظره إعتباراً، وسكوته فكرة، وكلامه ذكراً، وبكى على خطيئته، وأمن الناس شره.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: من إعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم.

وقال أيضاً عليه السلام: ما أكثر العبر وأقل الإعتبار.

وما أجمل هذه اللفتة اللطيفة التي أوردها السيد حسن القبانجي في كتابه شرح رسالة الحقوق وهي لفضيلة الشيخ محمد الخليلي:

«ثم لا يخفى أن لهذه الآلة «العين» البديعة الخلقة، العظيمة الفائدة» فعدا الإبصار»، توجد وظائف أخرى تجعل العقل المحدود في إدراكه في حيرة وإندهاش، فإنها هي المرأة التي تنعكس فيها جميع المشاعر الحياتية وصروفها، وهي تلك النقطة الصغيرة التي تتجمع فيها ثم تشع منها مختلف العواطف التي تجول في خاطر الإنسان، فإذا كان مسرور الخاطر بان في عينيه قبل أن يرسم على وجهه، وإذا كان غضبانياً تطاير الشرر منهما، وإذا كان خائفاً زاغ بصره، وإذا كان خجولاً قرىء الخجل في عينيه، بل وحتى المحب الذي ينطوي على كبد حري فيكتم هواه لا يخفى أمره بل تتكلم عيناه، كما قال الشاعر:

وللعيون أحاديث بلا كلم      وكم لها في الهوى شرح وتبيان

وكم تناجي المحبون، وتفاهم الشعراء بلغة النظر وحديث العيون إذا ما تعذرت عليهم لغة الكلام كما قال أحدهم:

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت      عيني في لغة الهوى عيناك

إذا فالعين هي المرآة الصافية التي تنعكس فيها كل الخلجات الحيوية، والمؤثرات النفسية، أما إذا انطفأت جذوة الحياة تعتمت قرنية العين، وانطفأ مصباح نورها كما ينطفئ المصباح الكهربائي حينما ينقطع عنه التيار.

وهي أيضا تنم عن شخصية الإنسان من عزيمة أو ضعف أو تردد أو همة أو أي صفة جبل عليها أو اعتادها، كما تضيء على الوجه نوعا من الرقة والجمال لا يجهله الكثير من الناس.

وهي عنوان الصحة والمرض، ودليل انحراف المزاج واستقامته، بل المقياس الدقيق لدى الأطباء للتشخيص ومعرفة الصحة والداء.

وأخيرا فإنها دون سائر الأعضاء جزء من المخ تكونت منه ثم تطورت الى وضعها المرئي. وإن العصب البصري خاصة ممتد من خلايا نفس المخ فلا غرابة إذا ما أصبحت تعرب عن كل ما يجري فيه من انطباعات وإحساسات، فهي مترجمة له حاكية عما فيه، إذا فالمخ مبعث العواطف والإحساسات، والعين لسانه الناطق وترجمانه الصادق.

وجماع القول أن من وصل الى معرفة ما أودع الله تعالى في هذا العضو من القدرة والإعجاز الباهر، يعرف عند ذاك مدى قول الإمام عليه السلام واهتمامه به، وأنه يجب بذل العناية فيه ووقايته وصيانتة من الطوارئ، وحفظه مما يزي به من النظر إلى ما لا يحل النظر إليه، لأنه من النعم الجليلة، وليس في مقابل النعم أن نستخدمها في معصية الله. لذلك قال علي أمير المؤمنين عليه السلام : «ليس في الحواس الظاهرة شيء أشرف من العين، فلا تعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله».

أما من الناحية الأدبية فحدث ولا حرج فلقد اهتم الشعراء كثيرا في وصف العيون وابدعوا في ذلك لما لها من سحر، فكم صادت من عاشق وكم القت بفارس في حبال الهوى وللعيون أسماء وصفات عديدة منها (الخوراء) وهي الأجل بينها ومنها

جاءت تسمية الحور بذلك لاتساع عيونهن و(البرجاء) وهي الواسعة و(الكحلاء) التي كأنها مكحولة و(الدعجاء) كثرة السواد وغير ذلك كثير.

وقد قال الأصمعي وهو من أشهر علماء النحو واللغة: «ما وصف أحد العيون بمثل ما وصف به عدي بن الرقاع حيث يقول:

لولا الحياء وإن راسي قد عسا      فيه المشيب لزرت أم القاسم  
فكأنها بين النساء أعارها      عينه احور من جاذر جاسم  
وسنان أقصده النعاس فرنقت      في عينه سنة وليس بنائم  
وهذا جرير الشاعر الذي يقول:

إن العيون التي في طرفها حور      قتلنا ثم لم يحيين قتلانا  
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به      وهن أضعف خلق الله أركاناً  
وقال علي بن الجهم القرشي:

عيون المها بين الرصافة والجسر      جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري  
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن      سلوت ولكن زدن جمرأعلى جمر  
وقال امرؤ القيس وهو جندح بن حجر الكندي:

لها مقلة لو أنها نظرت بها      إلى راهب قد صام لله وابتهل  
لأصبح مفتوناً معنى بحبها      كأن لم يصم لله يوماً ولم يصل  
وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

ولمّا التقينا بالثنية أومضت      مخافة عين الكاشح المتنم  
أشارت بطرف العين خيفة أهلها      إشارة محزون ولم تتكلم  
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً      وأهلاً وسهلاً بالحبيب المقيم  
ويقول أبو فراس الحمداني:

ويض بالحاظ العيون كأنما      هززن سيوفاً واستلن خناجرا  
تصدين لي يوماً بمنعرج اللوى      فغادرن قل بالتصبر غادرا  
سفرن بدوراً وانتقبن أهلة      ومسن غصوناً والتفتن جاذرا

قال الثعالبي في «يتيمة الدهر» إن البيت الأخير للزاهي والشاعر يشبههن عندما اعترضن طريقه بالبدور. إذا اسفرن بمعنى كشفن وجوههن وبالأهلة إن جعلن النقاب على وجوههن والغصون إذا تمايلن. ويشبههن بالجاذر ومفردها جوذر وهو ولد البقرة الوحشية إذا التفتن كناية عن سعة وجمال أعينهن.

وجاء في قصيدة اليتيمة هذه الأبيات:

وَكَاَنَّهَا وَسْنَى إِذَا نَظَرْتَ      أَوْ مُدْنَفٌ لَمَّا يُفِيقُ بَعْدُ  
بِفَتْوَرِ عَيْنٍ مَا بِهَارَمَدُ      وَبِهَاتُ دَاوَى الْأَعْيُنِ الرُّمْدُ  
اللهم متعنا بأبصارنا وأساعنا واجعله الوارث منا انك أنت السميع العليم.









## حق الرجلين

### رحلة حقوقية

إذا رآته قريش قال قائلها  
إلى مناقب هذا ينتهي الكرم  
وليس قولك من هذا ؟ بضائه  
العُرب تعرفُ من أنكرت والعجمُ

كان ابن النبي إذا أراد التوجه لأداء فريضة الحج يأبى الذهاب مع قافلة يعرفونه فكان يترقب مرور قافلة من مكان بعيد بحيث لا يعرف فيها فيدخل فيهم غريباً، فالتحق يوماً بإحدى هذه القوافل وطلب الإذن في أن يخدمهم فوافقوا وكان السفر في تلك الأيام على الفرس والجمال ونحوه والمسافة تمتد إلى اثنتي عشرة يوماً والإمام في هذه المدة يبدو كخادم لهذه القافلة لكن أثناء الطريق التقى رجل بهذه القافلة وكان يعرف الإمام عليه السلام فما أن تعرف عليه حتى ذهب إليهم وليسألهم من هذا الذي أتيتم به لخدمتكم ؟ قالوا شاب لا نعرفه من المدينة وهو شاب شهم جدا قال: لا تعرفونه ولو عرفتموه لما اتخذتموه خادماً ولما أصدرتم له أمراً، قالوا: ومن هو ؟ قال: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ابن النبي ﷺ، حينئذ أسرعوا إليه وارتعوا تحت أقدامه قائلين: مولانا ما هذا الذي قمت به ؟ كان يمكن أن ينالنا عذاب الله بعملنا هذا إن حصلت منا جسارة بحقك وأنت العزيز ونحن خدامك فأبى وقال: أنا اعلم أنني

عندما اذهب في قافلة تعرفني فلن يقبل احد منهم أن اخدم، لهذا أريد السفر في قافلة لا يعرفني فيها احد حتى أوفق وأنال سعادة خدمة المسلمين و الأصحاب.

أيها الأحبة كما يرتحل إمامنا زين العابدين مع الحاج ليعدمه، نواصل رحلتنا نحن مع رسالة هذا الإمام الحقوقية التي كلها عطاء ومنفعة وفائدة وخدمة، وللتذكير ما زلنا في باب حقوق الخالق العظيم:

### حق الرجلين

(وَأَمَّا حَقُّ رَجُلَيْكَ فَإِنْ لَا تَمُتْنِي بِهِمَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ وَلَا تَجْعَلْهُمَا مَطِيَّتَكَ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَخَفَّةِ بِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِنَّهَا حَامِلَتُكَ وَسَالِكَةُ بَيْتِكَ الْمُسَلَّكِ الدِّينِ وَالسَّبْقِ لَكَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

والناس شخصان: ذا يسعى به قدم  
هذا إلى الموت، والأحداث ساخرة  
ما كل فعل يجلب الناس فاعله  
من القنوط، وذا يسعى به الأمل  
وذا إلى المجد، والدنيا له خول  
مجدا فإن الوري في رأيهم خول

جاءت لفظة الأرجل في القرآن الكريم في ١٦ آية، في مضامين مختلفة أهمها الأمر باستخدام هذه الجارحة والنعمة في الطاعة والنأي بها عن المعصية، ذلك لأن الرجلين وسيلتنا للمشي والتنقل فيها نسعى إلى القنوط والى التمرد والمعصية، أو نسعى بها إلى الأمل والعبادة والخير والمسجد، كما قال شاعرنا الكبير «قاسم الشابي» في ابياته الآنفة الذكر. ولأن هذه الأرجل سوف تشهد علينا في يوم من الأيام. فلننظر إلى هذه النعمة الإلهية العظيمة ولنقف على بعض اسرار هذا الجزء من جسمنا، في اطلالة سريعة نحاول فيها معرفة عظمة الخالق من خلال تركيبة رجل الإنسان والذي يمثل «الطرف السفلي من جسم الإنسان» ووظيفة كل جزء

حسب الإمكان:

## تركيبة رجل الإنسان :

يتصل الطرفان السفليان بالهيكل المحوري بواسطة الحزام الحوضي الذي يتركب من عظام الحوض وهي العجز والعصعص في الخلف وعظم الورك في الجانب والأمام، ويوجد بالسطح الخارجي على جانبي عظم الورك تجويفان يعرف كل منهما بالتجويف الحقي ويستقر فيه رأس عظم الفخذ. ويتركب الطرف السفلي من عظم الورك الذي يتصل به عظم الفخذ ثم الساق ثم رسغ القدم ثم القدم.

عظم الورك أو عظم الحوض يسمى أيضاً العظم غير المسمى أو العظم اللائسَمَّى هو عظم كبير عريض مسطح غير منتظم الشكل، يتكون من اجتماع ثلاثة عظام: (عظم علوي يسمَّى الحَرْقَفَة، وعظم أمامي يسمَّى العانة، وعظم سفلي ويسمَّى الإسك)، حيث تكون هذه العظام واضحة عند الأطفال، ولكنها عند البلوغ، تندمج في تجويف صغير مقعر في الحوض يسمى «الحُق»، حيث يلتقي رأس عظم الفخذ مع عظم الورك من خلال هذا التجويف، الذي يتألف من اندماج هذه العظام الثلاثة.

وبناء على ذلك، يشكل عظم «الورك» الجدار الأمامي والجانبى للحوض عند الإنسان، بينما يشكل عظم «العجز والعصعص» الجدار العظمي الخلفي للحوض، وفي الأمام يتصل العظامان الوريكان بواسطة مفصل غضروفي يسمى: الارتفاق العاني.

■ عظم الفخذ هو عظم طويل قوي رأسه مستدير يستقر في التجويف الحقي وبطرفه الأسفل نتوءان كبيران يتصلان بعظم الساق الذي يطلق عليه (الظنبوب) اتصالاً مفصلياً، يكونان معاً المفصل الركبي أو مفصل الركبة.

■ الساق يتركب من عظمتين هما الظنبوب وهي كبراهما والشظية وهي الصغيرة منهما، ويوجد أمام المفصل الركبي (الذي يتألف من اتصال الظنبوب وعظم الفخذ) عظم صغير مستدير يسمى (الرضفة). وظيفته حماية هذا المفصل

ومنع انثناء الساق للأمام. ويتكون من سبعة عظام إحداها كبيرة ممتدة إلى الخلف وتكون عقب القدم.

■ الأمشاط والسلاميات يتكون من الأمشاط والسلاميات. والأمشاط خمسة رفيعة طويلة (راحة القدم)، وتتصل بكل مشط أصبع مكونة من ثلاث سلاميات ماعدا الإبهام فهو مكون من سلاميتين. وإبهام القدم لا يتحرك بسهولة كإبهام اليد.

### اما تفاصيل ذلك :

■ العَجْز (os sacrum) عظم كبير مثلث الشكل يقع في قاعدة العمود الفقري في الجزء الخلفي العلوي من الحوض ويأتي بشكل يشبه الإسفين بين العظمين الوركين ويرتبط في الأسفل مع العصعص وفي الأعلى مع الفقرة القطنية الخامسة.

■ العصعص (COCCYX) عظم ناتج عن اندماج الفقرات السفلية الأربع من العمود الفقري يلي العجز، ويقوم العصعص بعدة وظائف، فهو يربط عددًا مهمًا من العضلات والأربطة والأوتار، مما يجعل الأطباء يدققون كثيرًا في حال قرروا استئصاله، كما أنه بنية داعمة لحمل وزن جسم الإنسان عند الجلوس، وبالأخص عند ميله إلى الخلف إذ يتلقى العصعص الجزء الأهم من الوزن، كما يدعم العصعص من جهته الداخلية اتصال عدد من العضلات المهمة للعديد من الوظائف في أسفل الحوض، إذ يؤدي دورا مهما في إخراج البراز، فضلا عن دعمه لتثبيت الشرج في مكانه، ويدعم كذلك من جهته الخلفية أيضا العضلة الكبرى التي تمد الفخذ إلى الأمام عند المشي.

عظم الفخذ (Femur) والجمع (femora) يُصنّف كأحد العظام الطويلة، وهو أطول عظام الهيكل العظمي عند الإنسان، ويكوّن أكثر من ٢٥٪ من طول الإنسان، وهو أيضاً أقوى عظام الجسم وأصلبها في البشر. ويتكون من ثلاثة أجزاء:

١ - نهاية علوية.

٢ - جدل (جسم أو جذع).

٣- نهاية سفلية.

تشتمل النهاية العلوية على:

١- الرأس.

٢- العنق.

٣- المَدَوْرُ (المدور الكبير والمدور الصغير).

والرأس من النهاية العلوية لعظم الفخذ يتصل مع الحُق (Acetabulum) ليشكل مفصل الورك.. وفي مركز الرأس نقرة صغيرة يتصل بها رباط (يسمى رباط الرأس) يمر منه شريان يروي رأس الفخذ، واما «الجلد» فهو مدور وناعم على السطح الأمامي، وله حافة في الثلث الأوسط على السطح الخلفي تسمى الخط الحشن لعظم الفخذ، يصل بها عضلات وجدران عضلية، يتفرع الخط الحشن لعظم الفخذ علوياً إلى طرفين، فتصل الطرف الإنسي (الداخلي) إلى المدور الصغير، بينما تصل الطرف الوحشي (الخارجي) إلى المدور الكبير.

يرتبط الرأس مع الجلد من خلال «العنق» الذي يتجه إلى الأسفل والخلف، ويصنع زاوية ١٢٥° مع الجلد (تكون الزاوية أقل في الإناث)، وتكون كبيرة عند الولادة وتصغر مع تقدم العمر، وكسور العنق منتشرة عند كبار السن من النساء خاصة، نظراً لتحلل العظام، ويؤدي الكسر إلى تنخر لا وعائي، نظراً لانقطاع أوعية رباط الرأس. والمدوران الكبير والصغير (وكلاهما جزء من النهاية العلوية لعظم الفخذ)، هما نتوءان يوصلان العنق بالجلد، ويربط المدورين من الأمام الخط بين المدورين، والعرف بين المدورين من الخلف، وهناك بروز مدور، حوالي ثلث المسافة بين المدورين، يسمى الحديبة المربعة، تنغرز فيها العضلة المربعة وتنفصل الشفتان سفلياً لتصبح الحافتان فوق القمة، وتحيط هاتين الحافتين بمنطقة منخفضة مثلثة الشكل تسمى السطح المأبضي. النهاية السفلية للفخذ عريضة، وتوجد بها لقمة إنسية (داخلية) ولقمة وحشية (خارجية)، تتمفصل السطوح المحدبة المفصليّة مع هضبة

الظنبوب لتكوين مفصل الركبة، وتنفصل اللقمتان من الخلف بواسطة حفرة عميقة تسمى الثلمة بين اللقمتين، وتتقابل سطوحها المفصلية أمامياً لتكوين سطح ناعم يتمفصل مع الرضفة.

### الوظيفة:

عظم الفخذ يعد بمثابة نقطة المركز لجميع العضلات التي تبذل قوى على مفصليّ الورك والركبة، كما أن بعض العضلات الثنائية المفصل (Biarticular muscle) أي العضلات التي تتصل بمفصلين، مثل عضلة الساق و العضلة الأخرسية تنشأ أيضاً من عظم الفخذ، ويوجد حوالي اثنان وعشرون عضلة إما تنشأ من أو ترتكز على عظم الفخذ.

عند النظر في مقطع عرضي للفخذ، نرى أن الفخذ ينقسم إلى ثلاثة أحياز لفافية منفصلة، (أمامي، داخلي، خلفي)، يحتوي كل حيز منها على عضلات يفصل بين كل منها نسيج ضام (لفافة)، ولكل منها إمداداته الخاصة من الدم و العصب الخاص به.

- الساق (crus)، وجمعها سيقان وسُوق هو جزء من الجسم بين الكاحل والركبة، يتكون الساق من عظمين هما: قصبة الساق أو عظم الظنبوب (Tibia) (الجمع: ظنابيب)، وهي أحد العظام الطويلة في البشر في الجانب الإنسي أي الداخلي للساق، والعظم الثاني هو الشظية (fibula)، الموجود على الجانب أي الخارجي للساق (الوحيثي).

- الرُصُغ (arsus) أو رسغ القدم أو عظام العرقوب هي مجموعة عظام صغيرة في مفصل القدم هي

١ - عظم العقبي أو (العقب)

٢ - عظم الكاحل

٣- العظم النردي

٤- العظم الزورقي

٥- الإسفيني الإنسي (الداخلي)

٦- الإسفيني الأوسط

٧- الإسفيني الوحشي (الخارجي)

■ تتمفصل النهاية الأمامية لعظم الكاحل مع العظم الزورقي.

■ تتمفصل النهاية الأمامية لعظم العقب مع العظم النردي.

■ تتموضع العظام الإسفينية الثلاثة بين العظم الزورقي من الخلف والعظام المشطية الثلاثة الأولى من الأمام.

■ يقع العظم النردي وحشي العظم الزورقي والعظم الإسفيني الوحشي، ويتمفصل في الأمام مباشرة مع المشطين الرابع والخامس.

القدم هي العضو الواقع في نهاية الساق، والتي يقف عليها الإنسان، وبعض الحيوان. تحوي القدم عند معظم الثدييات والطيور وبعض الزواحف على المخالب بالإضافة إلى الأظافر، أما الإنسان فإن لديه أظافر فقط. عند الحيوان الذي يمشي على أربع، تكون الأطراف الأمامية والخلفية متشابهة. وأما عند الإنسان، والطيور، وحيوانات مثل الكنغر الذي يمشي على طرفيه الخلفيين، فإن القدم تكون أثقل وأقوى مما يقابلها على الطرف الأمامي، أي اليد. ستركز هذه المقالة عن قدم الإنسان، والتي هي أدنى جزء من الهيكل العظمي عند الإنسان، تقع أسفل الساق، لذلك تكون القدم القاعدة التي يستقيم عليها الجسم ومن أهم أجزائه القدم والكاحل عند الإنسان يمثلان بنية ميكانيكية قوية ومعقدة، حيث تحتوي القدم على ستة وعشرين عظماً، وثلاثة وثلاثين مفصلاً (عشرون منهم يكونون مفاصل نشطة)، وأكثر من مائة عضلة ووتر ورباط.

يمكن تقسيم القدم تشريحياً إلى ثلاث مناطق:

١ - مؤخر القدم (hindfoot)

٢ - أوسط القدم (midfoot)

٣ - مقدم القدم (forefoot)

■ يتكون مؤخر القدم من عظمي الكاحل والعقب. وترتبط النهايتان السفليتان لعظمي الساق (وهما الشظية والظنبوب) مع أعلى عظم الكاحل لتشكيل منطقة الكاحل. وتتصلان بها من خلال المفصل «تحت الكاحل»، أما عظم العقب فهو أكبر عظام القدم حجماً، يكون مستنداً على طبقة من الدهون.

■ يتكون أوسط القدم من خمسة عظام غير منتظمة الشكل، وهي: النردي، الزورقي، وثلاث عظام إسفينية، تشكل هذه العظام الخمسة أقواس القدم التي تعمل على امتصاص الصدمات. يتصل أوسط القدم مع مؤخر ومقدم القدم بواسطة العضلات واللفافة الأخصية. (plantar fascia)

■ يتكون مقدم القدم من تسعة عشر عظماً موزعة كالتالي:

١٤ عظم تشكل الأصابع الخمسة للقدم، بشكل مشابه لأصابع اليد، تسمى عظام أصابع القدم بالسلاميات، يحتوي كل إصبع من أصابع الرجل على ثلاث سلاميات عدا الإصبع الكبير، فهو يحوي على سلاميتين فقط. وخمسة عظام تشكل مشط القدم.

تسمى المفاصل بين السلاميات بـ المفاصل بين سلاميات القدم (interphalangeal joint of the foot)، وتسمى المفاصل بين مشط القدم والسلاميات بـ المفاصل المشطية السلامية (metatarsophalangeal) وتعرف اختصاراً بالأحرف (MTP) (أم تي بي).

كل من أوسط القدم ومقدم القدم يشكل ظهر القدم (dorsum) (الوجه



المتجهة للأعلى عند الوقوف) و**سطح القدم** (planum) (الوجه المتجهة للأسفل عند الوقوف).

**عَرُشُ القَدَم** (instep) هو الجزء المقوس من القسم العلوي للقدم ما بين الأصابع والكاحل.

### الهيكل العظمي للقدم

تتكون قدم الإنسان من ٢٦ عظاماً. هذه العظام هي:

- ١ - عظام رسغ القدم مكونة من سبعة عظام أو (عظام العرقوب).
  - ٢ - مشط القدم مكون من خمسة عظام.
  - ٣ - سلاميات القدم الأربع عشرة أو (عظام أصابع القدم).
- أما عظام الرصغ والتي تشكل عقب القدم، والجزء الخلفي من ظهرها، فهي:
- ١ - عظم الكاحل (أو القعب)
  - ٢ - عظم العقب
  - ٣ - العظم الزورقي
  - ٤ - العظم النردي (أو المكعبي)
  - ٥ - العظام الإسفينية الثلاثة (أو العظام الوتدية الثلاثة).

توصّل عظام المشط العظام الوتدية والمكعبي بالسلاميات، فتشكل الجزء الأمامي من مشط القدم. وللإصبع الكبير سلاميتان، ولكل من الأصابع الأخرى ثلاث.

### أقواس القدم

تشكل عظام القدم ثلاثة أقواس، يمتد اثنان منها بطول باطن القدم، والثالث

بعرض باطن القدم. وهي تعطي القدم طبيعتها المرنة في السير أو القفز. فالقوس الرئيسي يمتد من عظم العقب إلى الضَّرة «باطن القدم». وهو يسمى القوس الأوسط الطويل أو القوس الأخصي. ويلامس هذا القوس الأرض عند العقب وتكوين القدم فقط، وبذلك يعمل كمنص للصدمة، حمايةً للساق والعمود الفقري. وتكسو أطراف عظام هذا القوس طبقة سميكة من غضروف مرن. يجعل القوس قادراً على امتصاص الصدمات. ويمتد القوس الجانبي على طول القدم، ويقع قوس المشط وسط تكوين القدم. وقد تحدث الحالة المسماة القدم المسطحة (flat foot)، وهي حالة شائعة تصيب الاقدام وفيها يكون الجزء الداخلي للقدم مسطحاً وملائماً للأرض بعكس القدم الطبيعية التي يكون الجزء الداخلي من مشط القدم فيها مرتفعاً عن الأرض حوالي ١ إلى ٢ سنتيمتر.

### الأربطة والعضلات

وهي تسند أقواس القدم. ورباط أخمص القدم الطويل المسمى اللقافة الأخصية قوي جداً. فهو يثبت عظام القدم في مكانها، ويحمي الأعصاب، والعضلات، والأوعية الدموية في تجويف القدم. وللقدم عضلات كثيرة مثل اليد، غير أن بنيتها تتيح لها مرونة، وطلاقة للحركة أقل مما يتاح لليد.

يغطي أخمص أو أسفل القدم جلد غليظ سميك. ويقع لبد ثخين من نسيج دهني بين الجلد، والعظام، والرباط الأخصي. وتعمل هذه الطبقة الدهنية كوسادة هوائية لوقاية أجزاء القدم الداخلية من الضغط على القدم ومن الصرير. من الممكن أن تحدث أسقام القدم، مثل القرون، نتيجة لبس أحذية غير مناسبة.

### القدم وأمراضها

تحتوي أصابع القدمين أربعة عشر عظماً من أصل ستة وعشرين عظماً في القدمين. وتساعد أصابع القدمين وخصوصاً إبهام القدم على التحرك والتوازن. قد تؤدي الألعاب الرياضية والركض والصدمات التي تصيب القدم إلى أذية أصابع القدم، كما

أن ارتداء الأحذية الواسعة أو الضيقة جداً يمكن أن يسبب مشاكل أصابع القدمين لأن هناك أمراضاً محددة مثل التهاب المفاصل الحاد قد تسبب مشاكل الأصابع والألم، كما يسبب النقرس الألم غالباً في إبهام القدم. ومن مشاكل أصابع القدمين المنتشرة:

■ مسامير القدم وتورم إبهام القدم

■ انغراس أظافر الأصابع في اللحم

■ التواء وخلع مفاصل الأصابع

■ كسور عظام الأصابع

تتنوع علاجات إصابات أصابع القدم واضطراباتهما؛ وقد تتضمن: إدخال بطانة في الحذاء أو ارتداء أحذية خاصة، أو وضع حشوات للحذاء، أو التثبيت بأربطة، أو تناول الأدوية أو تطبيق الأدوية على القدم مباشرة، أو على راحة القدم، أو إجراء عملية جراحية في الحالات الشديدة.

ومن يتأمل في تركيب الرجل وفائدتها الكبرى، تتجلى حكمة الخالق القدير سبحانه وتعالى الذي أتقن كل شيء خلقه، ويظهر له سر استعراض الإمام عليه السلام للرجل بالذكر، وأن لها حقاً كغيرها من الأعضاء تستوجب أن توضع في محلها وأن لا تستخدم في غير ما جعلت من أجله، لأنها ستكون مسؤولة يوم القيامة، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

يس: ٦٥.

وكذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النور: ٢٤.

إن المؤمنين يعرفون أن هذه الأرجل ستشهد عليهم إذا انحرفوا فلذا يجبون أن تشهد عليهم بالخيرات والبركات وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (وفرض على الرجلين أن لا يمشي بهما إلى شيء من معاصي الله وفرض عليهما المشي إلى ما يرضى

الله عز وجل فقال : ولا تمشي في الأرض مرحا انك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. وقال: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩).

فطوبى لعبد عرف مواقع أقدامه أين تقع فاختار لها الطاعة وابتعد بها عن المعصية، وتذكر هذه النعمة العظيمة ممن حرم منها ممن أصابه الشلل وتعطلت رجلاه عن المسير أو ممن فقد جوارحه هذه.

يقول إمامنا الصادق عليه السلام في حديث الزكاة : «وزكاة الرجل السعي في حقوق الله تعالى من زيارة الصالحين ومجالس الذكر وإصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك.

ما أجمله من حديث على قصره فقد بين به زكاة الرجل :

- السعي في زيارة الإخوان سواء عيادة المرضى أو إتيان مجالس الذكر.
- السعي في إصلاح الناس وصلة الرحم .
- السعي في الجهاد في سبيل الله «الجهاد بأنواعه».
- السعي بها الى العبادة كالذهاب الى المساجد لأن فيها راحة القلوب، وتشجيع الجنائز لأن فيه صلة الإخوان.





## حق اليد

### رحلة حقوقية

كان الإمام زين العابدين يتعلق بأستار الكعبة ليلاً ويقول : «إلهي نامت العيون، وعلت النجوم، وأنت الملك الحي القيوم، غلقت الملوك أبوابها، وأقامت عليها حراسها، وبابك مفتوح للسائلين، إلى أن ينشد قائلاً:

يا من يجيب دعا المضطرّ في الظلم

يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت قاطبةً

وأنت وحدك يا قيوم لم تنم

أدعوك ربّ دعاءً قد أمرت به

فارحم بكائي بحقّ البيت والحرم

إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف

فمن يجود على العاصين بالنعم

وصلنا في رحلتنا الحقوقية السجادية العلوية إلى الحق السابع من حقوق الخالق

وهو حق اليد.

## حق اليد

(وَأَمَّا حَقُّ يَدِكَ فَأَنْ لَا تَبْسُطَهَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ  
لَكَ فَتَنَالَ بِهَا تَبْسُطُهَا إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ الْعُقُوبَةَ  
فِي الْآجِلِ، وَمِنَ النَّاسِ بِلِسَانِ اللَّائِمَةِ فِي  
الْعَاجِلِ، وَلَا تَقْبِضْهَا مِمَّا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهَا  
وَلَكِنْ تُوقِرْهَا بِقَبْضِهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَحِلُّ لَهَا  
وَبَسْطِهَا إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ  
عُقِلَتْ وَشُرِّفَتْ فِي الْعَاجِلِ وَجَبَ لَهَا حُسْنُ  
الثَّوَابِ فِي الْآجِلِ)

كلتا يديه غياث عم نفعهما      يستوكفان ولا يعرفهما عدم  
سهل الخليفة لا تخشى بواده      يزينه اثنان حسن الخلق والشيم  
حمال ائقال أقوام إذا افتدحوا      حلو الشمائل تحلو عنده نعم  
تكررت كلمة اليد في القرآن الكريم ثلاثة وستين مرة بصيغ ومعان مختلفة،  
وجاء في المنجد في اللغة والأعلام، اليد بمعنى الكف أو من أطراف الأصابع إلى  
الكف، مثاها يدان والجمع أيدي وأيادي، وأكثر استعمال الأيادي بمعنى النعم، يقال  
له يد بيضاء في هذا الأمر أي حاذق فيه، يقال ذهبت أيادي سبأ أو أيدي سبأ أي  
تفرقوا، يقال ما لك عليه يد أي ولاية وسلطان، ولا يدين لك بهذا أي لا قوة ولا  
طاقة، ومن أمثالهم «يد الله مع الجماعة» أي حفظه ووقايته، واليد لفلان على فلان أي  
القهر والغلبة، ويقال هذا في يدي أي في ملكي، وتأتي بمعنى الندم والذل يقال «سقط  
في يده»، وتأتي بمعنى الحجر ومنع الظلم يقال ضرب القاضي على يده»، وتأتي بمعنى  
المحسن والطريق والجناح إلى غيرها من المعاني... وجاء في فرائد الأدب: «يد الحر  
ميزان»، «وبيدي لا بيد عمرو» وهم عليه يد واحدة، أي مجتمعون، ومهما يكن من  
أمر إنما أتينا بهذه التعريفات لنقف على مختلف معانيها لتقربنا إلى الهدف المنشود وهو

معرفة حق هذه الجارحة تجاه خالقها وتجاه الناس .

وقبل الذهاب الى معرفة حق اليد لنلقي نظرة على مكونات اليد من الناحية الطبية لنرى عظمة الخالق الذي اتقن كل شيء خلقه .

تتركب اليد من العضد فالساعد ثم الرسغ ثم الأمشاط وتسمى راحة اليد . والأصابع . وتفصيله كما يلي :

١ - عظم العَضُد (Humerus) من العظام الطويلة وهو جزء من الهيكل العظمي البشري، ويوجد في الذراع حيث يصل الكتف مع المرفق، ويرتبط مع عظم الكتف علويا ومع عظمي الزند والكعبرة سفلياً، وينقسم تشريحياً إلى ثلاثة أقسام: (الطرف العلوي) ويتكون من رأس عظمة العضد، وعنق العضد التشريحي، وعنق العضد الجراحي، وحديبة عظمة العضد الكبيرة، وحديبة عظمة العضد الصغيرة وثلم بين حديبتي العضد.. و(الجسم) ومنه يتألف الجزء المستقيم من عظم العضد.. و(الطرف السفلي) الذي يتكون من: اللقيمة الخارجية، اللقيمة الداخلية، بكرة عظمة العضد، رؤيس عظمة العضد. بالإضافة إلى ثلاث حُفر من أجل حركة بسط و ثني الذراع: الحفرة الكعبرية، الحفرة الإكليلائية، والحفرة الزجية.

٢ - الساعد: يتركب من عظمتين هما: الزند والكعبرة، والطرف العلوي للزند سميك، ويتصل بالعضد، أما الطرف السفلي فرفيع ويتصل بعظمتين من عظام الرسغ، والزند هو العظم المواجه للخنصر أما الكعبرة فهي عظم أصغر من الزند ومواجه للإبهام، والزند يظل ثابتاً في موضعه إذا قلبت اليد إلى الأسفل، بعكس الكعبرة فهي تتحرك بحيث تقاطع الزند، وهذا يساعد في انطلاق اليد في الأعمال اليدوية التي تؤديها.

٣ - رسغ اليد: وهو يتركب من ثمانية عظام موضوعة في صفين متوازيين يتصل بعضهما مع العظام المجاورة لها بواسطة أربطة تسهل لكل منها حركة انزلاقية تمكن اليد من الانثناء على الساعد وحركة الرسغ مضافة إلى حركة الزند والكعبرة

تعطيان اليد مرونة في حركتها.

■ **الرُسْغُ أو الرُسْغُ** هو عظمة عنقودية توجد لدى الفقاريات رباعية الأطراف تربط ما بين الكعبرة والزند من جهة ومشط اليد من جهة أخرى والرُسْغ لا يعتبر جزء من اليد.

■ **عظام الرُسْغ صغيرة ومكعبة وتصطف بشكل زوجي** تسمح للرُسْغ بالتحرك والدوران بشكل عمودي وأفقي. هذه العظام تنتظم في صفين وعددها ثمانية وهي:

**في الصف الأول وهو المعصم:**

■ **العظم القاري .**

■ **العظم الهلالي .**

■ **العظم المثلي .**

■ **العظم الحمصي .**

**في الصف الثاني:**

■ **العظم المربعي**

■ **العظم شبه المنحرف**

■ **العظم الكبير**

■ **العظم الكلابي**

**ويجمعها بيت الشعر الآتي:**

**قرب الهلالٍ مثلثٌ من حمصٍ      شبه المربع أكبر الكلابي**

٤ - **الأمشاط والسلاميات:** تتكون من عظام راحة اليد وتسمى الأمشاط، وعظام الأصابع وتسمى السلاميات، والأمشاط هي خمسة عظام طويلة رفيعة يتصل بكل منها أصبع مكون من ثلاث سلاميات ماعدا الإبهام فهو مكون من سلاميتين،



ويتحرك الإبهام حركة واسعة لكي يمكنه من مقابلة الأصابع الأخرى وهذا يمكن الإنسان من استعمال أصابعه في القبض (التقاط) الأشياء الكبيرة والتقاط الأشياء الصغيرة.

ولنرجع الى المقطوعة الجميلة للإمام زين العابدين لنرى من الكنايات الجميلة عن معنى اليد فهي تمثل الجود والسخاء والإنفاق والقرض، والترحم على الأيتام والضيافة وطلب الحلال، كما انها ترمز الى البخل والتقتير.

### السخاء: سخاء الإمام الحسين عليه السلام :

وفد أعرابي المدينة فسأل عن أكرم الناس بها، فدلّ على الحسين عليه السلام فدخل المسجد فوجده مصلياً، فوقف بإزائه وأنشأ يقول:

لم يخب الآن من رجائك ومَن حرك من دون بابك الحلقة  
أنت جواد وأنت معتمد أبوك قد كان قاتل الفسقه  
لولا الذي كان من أوائلكم كانت علينا الجحيم منطبقه

فسلم الحسين وقال: يا قنبر!.. هل بقي من مال الحجاز شيء؟.. قال: نعم، أربعة آلاف دينار، فقال: هاتها!.. قد جاء من هو أحق بها منّا، ثم نزع بُرديه، ولف الدنانير فيها وأخرج يده من شق الباب حيّاً من الأعرابي وأنشأ:

خذها فإني إليك معتذر واعلم بأني عليك ذو شفقه  
لو كان في سيرنا الغداة عصا أمست سمانا عليك مندفته  
لكن ريب الزمان ذو غيرٍ والكفّ مني قليلة النفقه

فأخذها الأعرابي وبكى، فقال له: لعلك استقلت ما أعطيناك، قال: لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك.

وعن سحاء علي بن الحسين عليه السلام : عن عمرو بن دينار قال حضرت زيد بن أسامة الوفاة فجعل يبكي، فقال له علي بن الحسين عليه السلام ما يبكيك؟ قال: يبكيني أن علي خمسة عشر الف دينار لم اترك لها وفاءً، فقال له علي بن الحسين عليه السلام لا تبك فهي

عليّ وانت بريء منها ففضاها عنه.

### الإنفاق :

وعن ابو عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ الأيدي ثلاثة سائلة ومنفقة وممسكة، فخير الأيدي منفقة.

جاء عن النبي ﷺ انه قال: دينار أنفقته على أهلك ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقة، ودينار أنفقته على مسكين، وأعظمها أجرا الدينار الذي أنفقته على أهلك.

### قرض الحسنه:

عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ الصدقة بعشرة، والقرض بشمانيه عشر، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربع وعشرين.

### الترحم على الأيتام:

عن غياث بن ابراهيم عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام : مامن مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتييم ترحما له إلا كتب الله له بكل شعرة مرت يده عليها حسنة.

### التقتير:

إن رجلا سأل الصادق عليه السلام فقال: يا بن رسول الله ما حد التدبير والتبذير والتقتير؟ فقال: أن التبذير أن تتصدق بجميع مالك، والتدبير أن تنفق بعضه، والتقتير أن لا تنفق من مالك شيئا، فقال زدني بيانا يا بن رسول الله، فقال فقبض عليه السلام قبضة من الأرض وفرق أصابعه ثم فتح كفه، فلم يبق في يده شيء، فقال: هذا التبذير، ثم قبض قبضة أخرى وفرق بن أصابعه فنزل البعض وبقي البعض، فقال: هذا التدبير، ثم قبض قبضة أخرى وضم كفه حتى لم ينزل منه شيء فقال هذا التقتير.

## طلب الحلال:

رُوِيَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيِّ، عَنْ سَالِمِ بْنِ مُكْرَمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: اشْتَدَّتْ حَالُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتَهُ. فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَنَا أَعْطَيْنَاهُ وَمَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ». فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا يَعْني غَيْرِي. فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَأَعْلَمَهَا. فَقَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَشَّرَ فَأَعْلَمَهُ. فَأَتَاهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَنَا أَعْطَيْنَاهُ وَمَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ». حَتَّى فَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ ثَلَاثًا. ثُمَّ ذَهَبَ الرَّجُلُ فَاسْتَعَارَ مِعْوَلًا، ثُمَّ أَتَى الْجَبَلَ فَصَعِدَهُ فَقَطَعَ حَطْبًا ثُمَّ جَاءَ بِهِ فَبَاعَهُ بِنِصْفِ مِدٍّ مِنْ دَقِيقٍ. فَرَجَعَ بِهِ فَأَكَلَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ مِنَ الْغَدِ فَجَاءَ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَبَاعَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْمَلُ وَيَجْمَعُ حَتَّى اشْتَرَى مِعْوَلًا. ثُمَّ جَمَعَ حَتَّى اشْتَرَى بَكْرَيْنِ «الْفَتَى مِنَ الْإِبِلِ» وَغُلَامًا، ثُمَّ أَثَرَى حَتَّى أَيْسَرَ. فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْلَمَهُ كَيْفَ جَاءَ يَسْأَلُهُ وَكَيْفَ سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُلْتُ لَكَ، مَنْ سَأَلَنَا أَعْطَيْنَاهُ، وَمَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ».

إن الإعتداء على الناس يأخذ أشكالا متنوعة فتارة يكون اعتداء كلاميا وأخرى سمعيا وثالثا بصريا وقد يتخذ أسلوبا أرقى وأشد عنفا فتمتد الأيدي بالضرب أو تمتد إلى أموال الناس وتعبث بالأمن، إن هذه الأيدي التي تتجاوز حدودها ستحمل أصحابها أثارا سيئة تتبعهم في الدنيا والآخرة.

فمن امتدت يده إلى أموال الغير فهو سارق عند الله وعند الناس وهو موسوم بالإزدراء والصغار، وهو ضامن لما سرقه إلى جانب قيام الحد عليه. ومن امتدت يده إلى أجساد الغير تطاولا واعتداء فسوف يؤدب ويعزر. لأن الحق هو سيد الموقف في المجتمع الإسلامي.

أيضا أولئك الذين يكتبون بأيديهم ارضاء لمصالحهم وخلافا لما تمليه ضمائرهم ومصلحة مجتمعاتهم ودينهم، فهم يستخدمون هذه الجارحة فيها يغضب الله سبحانه

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩).

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: (إن اعتمى الناس على الله عز وجل من قتل غير قاتله ومن ضرب من لم يضربه).

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لو أن رجلا ضرب رجلا سوطا لضربه الله سوطا من نار).

وفي حديث المناهي عن النبي ﷺ قال: (ومن لطم خد امرئ مسلم أو وجهه بدد الله عظامه يوم القيامة وحشر مغلولا حتى يدخل جهنم إلا أن يتوب).

نعم يجب استعمال هذه اليد في بسط الخير ومدها لمعونة الآخرين ومساعدتهم وجاء في الأثر أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وجاء في اليد من أمر الصدقة «حتى لا تعلم يمينه ما أنفقت شماله، ولا تعلم شماله ما أنفقت يمينه» كناية عن فعل الخير، وهذا ما رآه الإمام زين العابدين وقصده «ولا تقبضها مما افترض الله عليها» وهما هو عليه السلام يرفع سوطه على الناقة ولا يضربها بل يقول لها ما معناها لولا خوف القصاص لضربتكم، فاليد إذن يجب أن تكون في إطارها المحدد لها وهذا ما بينه الإمام السجاد في رسالته حيث جعل لها حقا أن لا تبسط إلى ما لا يحل لها فان امتدت نالت من الله العقوبة ومن الناس اللائمة وإن هذه اليد لا يجوز أن تقبض وتمتنع عن إعطاء الحق إلى أصحابه ولا تقوم بإعانة الناس والمساكين وقضاء حاجة المحتاجين.





## حق البطن

### رحلة حقوقية

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته  
والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ  
هذا ابن خير عباد الله كلُّهم  
هذا التقي النقي الطاهر العلمُ  
وليس قولك من هذا ؟ بضائه  
العُرب تعرفُ من أنكرت والعجمُ

يا معشر الناس : فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه... بنفسي، أنا  
ابن مكّة ومِنى، أنا ابن مروّة والصفاء، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن من علا فاستعلّى،  
فجاز سدرّة المنتهى، وكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة  
السماء مشى مشى، أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن  
علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المقتول ظلمًا، أنا  
ابن المجزور الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن صريع كربلاء، أنا  
ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت  
عليه الجنّ في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن من رأسه على السنان يُهدى، أنا ابن من  
حرّمه من العراق إلى الشام تُسبى.

إمامنا زين العابدين يفيض بتعاليمه وعلومه على البشرية كلها، ولا زلنا في صحبته الحقوقية ولا زلنا في رحاب حق الخالق العظيم بما أنعمه علينا من جوراح وأدوات وكيف نؤدي شكرها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ \* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ \* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ والحق الثامن من حقوق الخالق وهو حق البطن.

### حق البطن

«وَأَمَّا حَقُّ بَطْنِكَ فَأَنْ لَا تَجْعَلَهُ وَعَاءً لِقَلِيلٍ مِنْ الْحَرَامِ وَلَا لِكَثِيرٍ، وَأَنْ تَقْتَصِدَ لَهُ فِي الْحَلَالِ وَلَا تُخْرِجَهُ مِنْ حَدِّ التَّقْوِيَةِ إِلَى حَدِّ التَّهْوِينِ وَذَهَابِ الْمُرُوَّةِ، وَضَبْطُهُ إِذَا هَمَّ بِالْجُوعِ وَالظَّمْأِ فَإِنَّ الشَّبْعَ الْمُتَّهِيَ بِصَاحِبِهِ إِلَى التُّخْمِ مَكْسَلَةٌ وَمَثْبُطَةٌ وَمَقْطَعَةٌ عَنْ كُلِّ بَرٍّ وَكَرَمٍ وَإِنَّ الرِّيَّ الْمُتَّهِيَ بِصَاحِبِهِ إِلَى السُّكْرِ مَسْخَفَةٌ وَمَجْهَلَةٌ وَمَذْهَبَةٌ لِلْمُرُوَّةِ».

ورد في المنجد في معنى البطن: بطون وأبطن وبطنان: خلاف الظهر جوف كل شيء. بطن الأرض: ما انخفض منها، ويقال ألفت الدجاجة ذا بطنها أي باضت. «صاحت عصفير بطنه» أي جاع. البطن بفتح الباء والطاء داء البطن. يقال: «فلان عريض البطن» أي غني أو رخي البال. و«التفت حلقتا البطنان» أي عظم الخطب واشتد الأمر. البطنة بكسر الباء الإمتلاء المفرط من الأكل والبطين بفتح الباء الملائن. وجاء في فرائد الأدب «البطنة تأفن الفطنة»، يضرب لمن استغنى فغير استغناؤه عقله وأفسده.

وهذا ما أشار إليه زين العابدين عليه السلام «فإن الشبع المنتهي بصاحبه إلى التخم

مكسلة ومشبطة ومقطعة عن كل بر وكرم».

هذا والحال في الوضع الطبيعي والاعتیادي، أما إذا ما أضيف إليه أكل الحرام ونسيان الفقراء والمعوزين وأصحاب الحاجة فإنه لا ريب أنه يقود صاحبه إلى العقاب العاجل من أمراض نفسية وجسدية وعقاب آجل وهو قصاص الآخرة.

وقد أشار إمامنا في حق البطن إلى أمرين مهمين وهما:

**الأول** - «أن لا تجعله وعاء لا لقليل من الحرام ولا كثير» إلى قوله «فإن الشبع»، ويقصد به الإسراف في الأكل، وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام «كم من أكلة منعت أكالات».

**الثاني** - وان الري المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروءة. وكلنا يعرف ما لمعاقرة الخمرة من مساوئ خلقية من ارتكاب الجريمة وذهاب المروءة. ومن هنا نقف على المعنى الحقيقي لقول رسول الله ﷺ «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه فان كان فاعلاً لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»، وكذلك قوله: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش».

إن هذا الحديث يدل على أن الإنسان إذا شبع بطنه وإذا بطنه تحركت شهواته وإذا تحركت شهواته غلبته - إذا كان ضعيف الإرادة - وإذا غلبت عليه قاداته إلى النار فتتحول هذه الشهوات إلى جنود الشيطان تورده نفس ما يورده إليه الشيطان ولا يمكن التغلب على ذلك إلا أن يروض الإنسان نفسه على الجوع والعطش ويتحسس آلام الفقراء والمساكين.

ومن هنا نفهم قول الصادق عليه السلام: إن البطن ليطنغي من أكله وان اقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا خف بطنه وابتغى ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا امتلأ بطنه.

وما أروع سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام: حيث يقول «وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ  
الطَّرِيقَ، إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمَحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، وَلَكِنْ هِيَهَاتَ  
أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ وَلَعَلَّ بِالْحِجَارِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ  
لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّعْبِ أَوْ آيَتِ مِبطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرْنِي وَأَكْبَادُ  
حَرَى، أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَيْتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَحْنُ إِلَى الْقَدِّ  
أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يَقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونُ  
أَسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمُرْبُوطَةِ  
هَمُّهَا عِلْفُهَا، أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يَرَادُ بِهَا، أَوْ  
أَتْرَكَ سُدَى، أَوْ أَهْمَلَ عَابِثًا، أَوْ أَجَرَ حَبْلَ الضَّلَالَةِ، أَوْ أَعْتَسَفَ طَرِيقَ الْمُنَاهَةِ! وَكَأَنِّي  
بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا قُوْتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ  
وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ. أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبَ عُودًا، وَالرَّوَاعِيَ الْخَضِرَةَ أَرْقَ جُلُودًا،  
وَالنَّابِتَاتِ الْعِذِيَّةَ أَقْوَى وَقُودًا، وَأَبْطَأَ حُمُودًا، وَإِيمَ اللَّهِ يَمِينًا أَسْتَشْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ  
لَأَرْوِضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْشُ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ  
مَادُومًا، وَلَا دَعَنَّ مَقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا. أَتَمْتَلِي السَّائِمَةَ  
مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكُ؟ وَتَشْبَعُ الرِّيِضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرِيضُ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ؟  
قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السَّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمُرْعِيَةِ! طُوبَى  
لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا.

كما يرسم لنا أمير المؤمنين صورة رائعة في هذا المعنى:

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَافٍ لَكَ فِي الْأَسْوَةِ، وَدَلِيلٌ لَكَ  
عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّتْ لِعَیْرِهِ  
أَكْنَفُهَا، وَفُطِمَ مِنْ رِضَاعِهَا، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا.



وَأِنْ شِئْتَ ثَبِّتْ بِمُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - إِذْ يَقُولُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، وَاللَّهُ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تَرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، هُزَالِهِ وَتَشْدُبِ لَحْمِهِ وَأِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتَ بِدَاوُدَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِيءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ جِلْسَاءَهُ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْنَهُمَا! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

وَأِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْحَشَنَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانُهُ مَا تُثْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يَذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجَالُهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَإِنْ فِيهِ أَسْوَةٌ لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَرَاءٌ لِمَنْ تَعَزَّى وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصِّ لِأَثَرِهِ. قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا، أَهْضَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَخْصَصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا.

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام أكل من تمر دقل، ثم شرب عليه من الماء، وضرب بيده على بطنه وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم تمثّل:

فإنك مهما تعطي بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا  
وقال عليه السلام «تعسا لمن أدخله بطنه النار».

من هذه المواقف والكلمات النورانية، ومن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٣.

ومن قول رسول الله ﷺ «الصوم جنة» وقوله «صوموا تصحوا» نفهم حكمة الصوم التي بينها الإسلام في قرآنه وعلى لسان المعصومين وندرك الأبعاد الحقيقية

التي تجعل الصائم انسانا مرهف الحس رقيق الشعور يعيش مع الفقراء والمحتاجين يوفر لهم ظروف الحياة السعيدة.

ثم إن الإسلام لا يحرم الطيبات إذا كانت من الباب الحلال بل يبيحها دون إفراط فيها ولا تبذير بحيث يحفظ الاعتدال فلا يطغى جانب على جانب، قال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢).

ثم إن الإنسان لا يهتم بطعامه إلا ليتقوى به على عبادة الله وخدمة عباده وعمارة الدنيا ونشر العدل والحكمة ومن هنا يختلف عن الكافر الذي لا يهتم إلا بطنه وما يدخل فيه من المأكول والمشرب ولذا نرى كيف ذم الله الكافرين وشبههم بالأنعام في غفلتهم قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: ١٢).

وقال مولانا أمير المؤمنين «من كان همه ما يدخل فيه كانت قيمته ما يخرج منه».

ومن هذا البيان كله نعرف مدى كلمة الإمام زين العابدين في هذا المجال وكيف جعل لبطن الإنسان حقا لا يجوز أن يتجاوزه أو يتعداه وأهم هذه الحدود أن لا يدخل بطنه الحرام ما قل منه وما كثر فلا يشرب الخمر ولا يأكل لحم الخنزير ولا يساور النجس ولا يباشر المحرمات بل يقتصر على الحلال، والحلال نفسه يجب أن يكون بقدر، حيث لا يؤدي إلى البطر بحيث يسلبه تفكيره واتزانته فيؤدي ذلك إلى الكسل والتراخي.



## حق الفرج

### رحلة حقوقية

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله      بجده أنبياء الله قد ختموا  
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم      أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم  
يتخيل البعض أن الإمام زين العابدين عليه السلام لما عاش فترة بعد أبيه ولم يقم  
بالسيف فهذا يعني أن القضايا صارت منسية. أبدا ليس الأمر كذلك فإنه عليه السلام كان  
يستفيد من أي مجال ليحفظ ويبقى آثار ثورة أبيه عليه السلام حية، وإلا فلماذا كان ذلك  
البكاء الذي كان عليه السلام يبكيه وتلك الذكرى؟ هل أنها مجرد حالة رجل يحترق قلبه  
وبيكي بلا هدف؟ أم انه كان يريد إبقاء الواقعة حية وأن لا ينسى الناس لماذا ثار  
الإمام الحسين عليه السلام؟ ومن هم الذين قتلوه؟.

كان عليه السلام يبكي يوما بكاء شديدا فقال له أحد خدامه: ألم يئن الوقت يا مولاي  
كي تتوقف عن البكاء (ضنا منه أن بكاء الإمام لمجرد فقد عزيزه) فقال له: ما تقول؟  
لم يكن ليعقوب أكثر من يوسف والقرآن يصف حالته بـ ﴿وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾  
وأنا قد رأيت بأم عيني ١٧ يوسف يسقط كل منهم تلو الآخر على الأرض.

وصلنا في رحلتنا الحقوقية إلى الحق الأخير من حقوق الخالق العظيم وهو حق  
«الفرج» وبذلك نكون قد ختمنا الباب الأول من رسالة الحقوق للإمام زين العابدين.

## حق الفرج

«وَأَمَّا حَقُّ فَرْجِكَ فَحِفْظُهُ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ  
وَالِاسْتِعَانَةُ عَلَيْهِ بِغَضِّ الْبَصَرِ - فَإِنَّهُ مِنْ  
أَعْوَنِ الْأَعْوَانِ - وَكَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالتَّهَدُّدِ  
لِنَفْسِكَ بِاللَّهِ وَالتَّخْوِيفِ لَهَا بِهِ، وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةِ  
وَالْتَّأْيِيدُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ».

كن في الطريق عفيف الخطى شريف السمع كريم النظر  
وكن رجلا إن أتو بعده يقولون من، وهذا الأثر

ورد في المنجد في اللغة والأعلام كلمة «فرج» الشيء فتحه، وسعه. الفرج وجمعه  
فروج: الخلل بين الشيئين - ومن الثوب: الفتق، ومن الإنسان: العورة ويطلق على  
القبل والدبر، فرج الوادي بطنه - والطريق: متنه، والفروج بضم الفاء والراء: القوس  
البائنة عن الوتر، والفرجة كل منفرج بين شيئين، والمفرج: المشط. ولها معاني أخرى.  
وجاءت لفظة الفرج في القرآن الكريم في سبع مواضع والملفت للإتنباه أنها  
جاءت إما مسبوقه أو ملحوقه بكلمة أحصنت أو حافظون ويحفظن.

كما جاءت كلمة محصن بمختلف ألفاظها في عشرة مواضع، ولفظة فاحشة في  
ثلاثة عشر آية ولفظة زنى وزاني في ستة مواضع، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على  
أهمية هذا الموضوع.

إن هذه الغريزة التي أودعها الله في هذا الإنسان إنما أودعها لفائدته وحفظه  
ولسعادته، ومتى ما نصبت واكتملت ثارت وتحركت وأعلنت عن وجودها متحدية في  
كثير من الأحيان العادات والتقاليد بل الإيمان والدين وتتخذ سبلا متنوعة هذا إذا ترك  
لها العنان حتى طغت ولم يأخذ بما يلجمها ويكبح جماحها ويردها إلى طريقها الطبيعي.

والإسلام لا يريد القضاء على هذه الشهوة ولا إعدامها لأن فيها حفظ الوجود  
الإنساني بل يريد تهذيبها وضبطها لكي تحفظ أعراض الناس وتحفظ الأنساب وتقل

الجرائم والآثام، ووضع الزواج على الطريقة الإسلامية سواء الدائم منه أو المنقطع ووضع لهذا الزواج معايير لإختيار الزوج والزوجة وفيما جاء في الأثر:

إذا جائكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا ذلك يكن فساد في الأرض كبير وورد أيضا «أفضل نساء أمتي أصبحن وجها واكلهن مهرا» تشجيعا للزواج. وحذر من نكاح الزانية والمشركة والزاني والمشرک وان كانوا جميلين. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢).

وقال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٣).

كما أن عواقب هذه الشهوة إذا ما كبحت وتعدت حدودها كما في اقتراف جريمة اللواط والعياذ بالله لربما تصل إلى حد العقاب الجماعي ولربما يصل إلى حد الإستئصال كما حدث لقوم لوط وقصة قرية سدوم.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ \* قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٢).

وها هو الإمام زين العابدين يقول «إن أفضل الجهاد عفة البطن والفرج» فإنما يدعو إلى ترسيخ أعظم القيم في النفوس، أي إلى تهذيب هاتين الشهوتين اللتين بسببهما تعلن الحروب وتشب المعارك وترفع رايات الإقتتال على مستوى الأفراد والشعوب.

ولنرجع الآن إلى كلام مولانا زين العابدين لنرى انه عندما ذكر هذا الحق في رسالته نرى انه يضع للإنسان ثلاثة أمور لكي يستعين بها على حفظ فرجه :

الأول: أن يغض بصره، فان البصر مفتاح الإثارة بل أهم المفاتيح لهذه الشهوة فإذا نظر تحركت شهوته وإذا تحركت شهوته سعى لإتباعها فإذا لم يجد المنفذ الحلال سوف تخرج به إلى الحرام ومن هنا أمر الله بغض البصر حيث قال:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ \* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا

يُبْدِينَ زِيَّتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴿النور: ٣١﴾.

الثاني: ذكر الموت وهو طريق يسلكه الصالحون والراغبون في طاعة الله، فإن ذكر الموت يذكر الإنسان بمصيره ومآله وقبره وما يلاقيه من حساب عن كل صغيرة وكبيرة وبذلك يحتقر الملذات والشهوات فيعود إلى نفسه ليحدثها بمصيره فإن الموت منغص للذات.

ولذا ورد عن النبي ﷺ قوله: «اذكروا هادم اللذات ومنغص الشهوات».

الثالث: أن يجعل الله عليه رقبيا فلا يهم بفاحشة إلا ويتذكر الله وعقابه وما أعدّه للعاصين والمتجاوزين على حدوده فيقف عندها عن ارتكاب المعاصي والمحارم وان لا يهم بفعل شيء إلا ويتذكر الله عنده وقبله وبعده كما كان يفعل أمير المؤمنين علي عليه السلام وورد عنه في دعاء كميل «وكنت أنت الرقيب علي من ورائهم والشاهد لما خفي عنهم».

وقد وردت الأحاديث الكثيرة في حفظ الفرج والبطن وأنها يوردان الإنسان النار إذا لم يحفظهما ويقوم برعايتهما.

عن أبي جعفر عليه السلام قال «ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج».

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلم من أمتي أربع خصال فله الجنة: «من الدخول في الدنيا، وإتباع الهوى، وشهوة البطن، وشهوة الفرج».

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى النبي ﷺ أعرابي فقال له: أوصني يا رسول الله فقال: نعم أوصيك بحفظ ما بين رجليك.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: مَا الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَعْظَمَ أَجْرًا مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ، لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ.



## حق الصلاة

### رحلة حقوقية

ينمى إلى ذروة الدين التي قصرت  
عنها الأكف وعن إدراكها القدم  
ينشق ثوب الدجى عن نور غرته  
كالشمس تنجأ عن إشراقها الظلم

ما سر كون رجل مثل علي كله إيمان.

كل أهل البيت عليه السلام كانوا كذلك وهذا من عجائبهم. والإنسان عندما يرى ذلك الخوف من الله عند علي ابن الحسين عليه السلام تلك الصلوات التي كانت في الواقع مناجاة - وحسب تعبير الكسيس كارل - كانت تحليق الروح نحو الله (فلم تكن صلاته مجرد أن يقف ببدنه مستقبلاً القبلة وتسرح الروح في مكان آخر أبداً. كانت كأن الروح قد انفصلت عن هذا البدن) أجل عندما يرى المرء علي ابن الحسين عليه السلام يسأل نفسه ما هذا الإسلام؟ ما هذه الروح؟

من أين تأتي كل ذي النعمات وان تكن من خلق عبد الله  
عندما يرى المرء علي ابن الحسين عليه السلام يرى كأن النبي ﷺ في محراب عبادته  
في الثلث الأخير من الليل أو كأنه النبي ﷺ في غار حراء.



ففي ليلة كان الإمام مشغولاً بالمناجاة والدعاء الذي كان يليق به عليه السلام فوق أحد أولاده عليه السلام من مكان فانكسر عظمه بحيث احتاج إلى جبر فلم يأت أهل بيته عليه السلام إليه يقطعون عليه عبادته بل ذهبوا وجبروا الكسر وربطوا يد الطفل وقد اشتد صراخه حتى ارتاح الولد وانتهت المسألة. وفي الصباح يرى الإمام يد ابنه فيسأل عنه؟ فقالوا له حدث كذا وكذا فسأل متى فقالوا ليلة أمس في الساعة الفلانية حيث كنت منشغلاً بالعبادة فاتضح أن الإمام عليه السلام في حالة انجذاب بشكل كانت روحه محلقة نحو الله حتى انه لم يسمع صوت من تلك الأصوات.

قد ذكرنا في الرحلة السابقة أننا انتهينا من حقوق الخالق، والآن نبدأ المرحلة الثانية من رحلتنا الحقوقية وهي الرحلة إلى حقوق الأفعال وأول هذه الحقوق هو حق الصلاة.

### حق الصلاة

«فَأَمَّا حَقُّ الصَّلَاةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وَفَادَةٌ إِلَى اللَّهِ وَأَنَّكَ قَائِمٌ بِهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَقُومَ فِيهَا مَقَامَ الدَّلِيلِ الرَّائِبِ الرَّاهِبِ الْخَائِفِ الرَّاجِي الْمُسْكِنِ الْمُتَضَرِّعِ الْمُعْظَمِ مَنْ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسُّكُونِ وَالْإِطْرَاقِ وَخُشُوعِ الْأَطْرَافِ وَلَيْنِ الْجُنَاحِ وَحُسْنِ الْمُنَاجَاةِ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَالطَّلَبِ إِلَيْهِ فِي فَكَالِكَ رَقَبَتِكَ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُكَ وَاسْتَهْلَكَتَهَا ذُنُوبُكَ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

أما معنى الصلاة فيمكن أن يكون مأخوذاً من صلى بالفتح، من صليت العود على النار، ومن المصلى، ومن الوصلة، أو بمعنى الزيارة، كما ورد عن علي عليه السلام في



تفسير قد قامت الصلاة، أي حان وقت الزيارة، أو الرحمة، وكل هذه المعاني لها مناسبة مع هذا المعجون الإلهي.

وردت لفظة صلاة في القرآن الكريم في ثلاثة وستين آية ومما يلفت الانتباه أن معظم الآيات الواردة فيها كلمة صلاة قد سبقت ب: يقيمون أو أقاموا وأقم... الخ وهذا يدل على أهمية هذه الفريضة التي هي أحد أركان الإسلام بل هي عمود الدين. إنها الصورة المبدعة التي يرسمها الإسلام بريشة الإمامة الرشيدة المسددة المعصومة، أنها صورة الصلاة كما يريد الله وكما يجب أن يكون عليها صاحبها، صورة يرسم فيها هذا العبد كادحا إلى ربه وافدا عليه موجهها وجهه نحوه، انه الإنسان الصغير المحدود الضعيف الهزيل يقف أمام الله الكبير المطلق القوي العزيز، صورة توحى بكثير من المعاني المختلفة العميقة.

صورة توحى بعظمة الله وجلاله وموقف فيه من الخشوع والخضوع والإنابة والتوبة ما لا يمكن التعبير عنه لأنه من الأسرار الوجدانية التي يعيشها الفرد لذة روحية لا تفني بترجمتها الكلمات.

انه لقاء المحبة والشوق والصبابة، لقاء يقف فيه الإنسان أمام الله ليعترف له بالربوبية وبكمال الأوصاف الإلهية من رحمة وحكمة وعلم وقوة، لقاء فيه طلب المدد والإستعانة لهذا الإنسان كي يستمر في الطريق المستقيم الذي يريده الله ويرسمه لعباده على لسان أنبيائه.

هذه الصلاة لها عشاق وأحباب عرفوا دورها ومكانتها ولمسوا إيجابياتها وخيراتها فحافظوا عليها وأتقنوا أفعالها واتوا بمستحباتها وآدابها.

- عرفوا أنها العروج إلى الله.

- عرفوا أنها عمود الدين.

- عرفوا أنها إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها.

- عرفوا أنها وجه الدين.

- عرفوا أنها أول شيء يسأل العبد عنه يوم القيامة.

- عرفوا انه ما بين الكفر والإيمان إلا تركها.

- عرفوا أنها قربان كل تقي.

- عرفوا أنها تنزيه لهم عن الكبر.

فالإنسان إذا أداها قائماً بوظائفها التي رتبت معها تخلّى عن كل رذيلة وتخلّى بكل فضيلة وزكا ظاهره وصفي باطنه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، وإنما أعارها هذا الاهتمام لأنها وإن كانت عملية بسيطة لكنها في الحقيقة ذات نظام دقيق ورموز عالية كما إنها في نفس الوقت فضيلة من أسمى الفضائل ونعمة من الله بها على عباده من أغلى النعم كما قال رسول الله محمد ﷺ: «أحب من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني الصلاة» وقرة العين لا تكون إلا في حصول نعمة أو دفع نقمة والصلاة من الأولى.

أوجب الشارع المقدس للصلاة وظائف أولها إزالة النجاسة وإشعار العبد بأنه يريد منه إزالة الأخلاق الشيطانية كالكفر والبغض والحسد وما غيرها من الرذائل التي ينهى عنها والتخلق بالأخلاق الروحية ليعلم أن تنظيف الباطن هو موضع نظر الحق فهو وأن أوجب عليه من تطهير الظاهر بغسل الأطراف وتنظيفها واشترط عليه إباحة المكان واللباس ليعرف أن عليه حدوداً يجب عليه أن يحافظ عليها فلا يتعدها فلو كان المكان للغير ولم يجز لك أن تتصرف فيه فلا صلاة لك، وكذلك اللباس لو كان للغير. فإذا فهمنا أن حق الغير لا يجوز لنا أن نتصرف فيه حتى في حاجة العبادة ففي غيرها بالأولى.

وأنت ترى أنه جعلها في أعمال مخصوصة وأقوال معقولة ودعوات ترجع إلى إشعار القلب بعظمة خالق هذه الأكوان فجعل في آخرها التسليم يميناً وشمالاً لتذكر الصالحين المصلحين استحضاراً لهم بالقلب كما جعل في أولها التكبيرة وسماها تكبيرة الإحرام إشعاراً للعبد بأنه انتقل بقلبه إلى عالم الروح وأن كان هو بجسده في عالم المادة فيجب عليه وهو في هذه الحال أن لا يفكر في شيء من عالم المادة إلا ما كان له مساس بعالم الروح. من هنا قال رسول الله محمد ﷺ وليس لك من صلواتك إلا ما حضرت فيه بقلبك.

وأمر بقراءة الحمد في جميع الفرائض لأن المصلي إذا قرأ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ شعر فؤاده ما أبدع الله في العالم من الرحمة واللفظ وكيف أن كل شيء خلقه برحمته من التدريج في التربية ويتصور أنه أمامه يناجيه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، أي لا أحد يستحق العبادة غيره ولا أحد يرجى للمعونة غيره. ويدعوه أيضاً فيقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، إرشاداً له بدعائه كأنه قال وأدعوك لتهديني الطريق التي ترضاها لعبادك الذين سبقت منك لهم العناية فلذا قال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧)، وجعل الوضوء مراتب لأسرار فيه، فغسل الوجه كشف غطاء الوجه للتعرف بما في عالم الروح من إبداع، وغسل اليدين إشارة عن الفصل بالأعمال الدنيوية للدخول في عالم الملكوت الحق، ومسح الرأس استئزال الرحمة لطلب المعونة من الحق تعالى، ومسح الرجلين انفصالاً عن أغراض الشهوة والغضب. وشرط فيه الماء أو بدله التراب لأن البشرية أولها ماء مهين وآخرها تراب ليذكر الإنسان نفسه دائماً ليستنزل الكبر ويتدرع بالتواضع واشترط عليك في المكان الطهارة لتعرف أن بدنك أولى بها واشترط عليك فيه الاعتدال لتعرف أنك أولى به واشترط عليك في اللباس الطهارة وضميرك أولى بها.

أوجب على الإنسان في الصلاة نفسها أن يدخلها بالنية ليفصل بين عالين ويكبر فيها بالتعظيم والإجلال وأن يقرأ بالترتيل ويركع بالخضوع لترجع النفس فيها إلى عالمها المقدس ويرفع نفسه بالتواضع ويسجد بالذل لأنه تمكين أشرف الأعضاء، وهو الوجه من أذل الأشياء اعني التراب الذي تعود أن يطأه برجله ليذكره بأصله وإن منه بدنه وإليه عوده مهما طال به الزمن قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه: ٥٥)، ويجلس للتشهد فيتشهد بالإخلاص إلى بارئه قاطعاً جميع العلائق المادية بقطع كل رابطة بينه وبين من هو دون خالقه، لا يأمل سواه ويسلم بالرحمة راجياً وبالرغبة ويتصرف بالخوف والرجاء كل ذلك بحضور القلب وإفراغ الجوارح وذل المقام بين يديه فيجعل اللجنة عن يمينه والنار عن شماله والصراط بين يديه.

من هنا صارت معراجاً للمؤمن ولا تكون معراجاً من دون هذا، يقول الاستاذ «أوجست سباتيه» إننا لا نستطيع الآن أن نستخلص أصل الدين وأن نضع له تعريفاً فهو صلة وعلاقة معروفة ومرارة تنشئها الروح المكروبة بينها وبين القدرة الخفية التي تشعر هي أنها تابعة لها وأن مقدراتها تحت مشيئتها، فالصلاة هي الدين في حالة العمل أو هي الدين الحق، والدين لا يكون شيئاً يعتد به إذا لم يكن عملاً حيوياً بواسطة تحاول النفس أن تنجو من الهلاك بالتجائها إلى أصلها الذي تنزلت منه وهذا العمل هو الصلاة وهي كما أعنيها ليست التلفظ بكلمات أو ترديد عبارات ولكنها الحركة التي تقوم بها النفس لتضع نفسها في علاقة شخصية واتصال مباشر بالقدرة الخفية التي يحس الإنسان بوجودها حتى قبل أن يستطيع أن يطلق عليها أسماً فحيث لا توجد هذه الصلاة الباطنية فلا يكون هناك دين، ويقول الدكتور «كاريل» (إنها تحدث بعض النشاط في أجهزة الجسم وأعضائه بل هي أعظم مولد للنشاط عرف) إلى يومنا هذا وقد رأيت بوصفي طبيباً كثيراً من المرضى أخفقت العقاقير في علاجهم فلما رفع الطب يديه عجزاً أو تسليماً تدخلت

الصلاة فأبرأتهم من عيلهم.

يقول علي ؑ تعاهاوا أمر الصلاة وحافظوا واستكثروا منها وتقربوا بها فإنها كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ما سلككم في سقر قالوا لم نكن من المصلين وأنها لتحت الذنوب حت الورق وتطلقها.

اولئك الذين عرفوا الصلاة، عرفوا عنها الشيء الكثير فلذا وقفوا منها تلك المواقف الإيجابية الرائعة التي تمثلت في مسلكهم العملي تارة وفي مسلكهم القولي والتوجهي تارة أخرى.

قال بعض أزواج النبي ﷺ : كان النبي ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضر الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه.

وهذا هو أمير المؤمنين إذا أخذ في الوضوء تغير وجهه من خيفة الله. وكان إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل، ويتلون، وقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين، فقال جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

وكانت فاطمة ؑ تنهج - النهج تتابع النفس - في الصلاة من خيفة الله. وها هو الحسن ؑ إذا فرغ من وضوئه تغير لونه، فقيل له في ذلك، فقال: حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه.

وكان علي ابن الحسين ؑ إذا قام إلى الصلاة تغير لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقا.

وعن الصادق ؑ كان أبي يقول كان علي ابن الحسين إذا قام إلى الصلاة كأنه ساق شجرة، لا يتحرك إلا ما حركت الريح منه.

نعم هناك أيضاً أمر مهم يشير إليه الإمام زين العابدين لتكون الصلاة كاملة وهي :

حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياة.

فعن أبي جعفر عليه السلام : يقول بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام فصلى فلم يتم ركوعه ولا سجوده فقال رسول الله ﷺ : نقر كنقر الغراب لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتن على غير ملتي.

واسمع الصادق في مقام التوجيه التكاملي حيث يقول : إذا صليت فريضة فصلها لوقتها صلاة مودع يخاف أن لا يعود أبداً.

ثم اصرف نظرك إلى موضع سجودك فلو تعلم من عن يمينك وشمالك لأحسنت صلاتك واعلم انك بين يدي من يراك ولا تراه.

إن الإمام زين العابدين في هذه اللوحة الجميلة يريد أن يصلنا بالله ويوقفنا أمامه ومن خلال هذه الصلة وهذا الموقف يريد أن يعلمنا الأدب معه. الأدب الجوارحي والأدب الجوانحي، كيف نكون في مقامنا معه وعلى أي هيئة يجب أن نكون؟. فالأطراف خاشعة والجوانح لينة والعيون مطرقة فلا حركة من يد تخرج عن المرسوم لها ولا نظر يمتد إلى خارج دائرة الصلاة والصلة بالله.

يجب علينا أن نعيد النظر في صلاتنا وان نقف عند كل كلمة وذكر وحركة وندخل في عمقها وما هي فلسفتها وآثارها لا مجرد تتمتات نرددها بألستنا لأننا تعودنا عليها. ولتكتمل الصورة فلنخرج على كيفية صلاة النبي ﷺ وأهل البيت :

ورد في الكافي للشيخ الكليني الجزء : « ٣ » رقم الصفحة : « ٣١١ / ٣١٢ » .

- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام يوماً : يا حماد تحسن أن تصلي ؟ قال : فقلت : يا سيدي أنا أحفظ كتاب حريز في الصلاة

فقال: لا عليك يا حماد<sup>(١)</sup>، قم فصل قال: فقامت بين يديه متوجهاً إلى القبلة فاستفتحت الصلاة فركعت وسجدت، فقال: يا حماد لا تحسن أن تصلي ما أقبح بالرجل منكم يأتي عليه ستون سنة أو سبعون سنة فلا يقيم صلاة واحدة بحدودها تامة، قال: حماد فأصابني في نفسي الذل، فقلت: جعلت فداك فعلمني الصلاة فقام أبو عبد الله عليه السلام مستقبل القبلة منتصباً فأرسل يديه جميعاً على فخذه، قد ضم أصابعه وقرب بين قدميه حتى كان بينهما قدر ثلاث أصابع منفرجات واستقبل بأصابع رجليه جميعاً القبلة لم يحرفهما عن القبلة وقال بخشوع: الله أكبر ثم قرأ الحمد بترتيل<sup>(٢)</sup> وقل هو الله أحد ثم صبر هنية<sup>(٣)</sup> بقدر ما يتنفس وهو قائم ثم رفع يديه حيال وجهه وقال: الله أكبر. وهو قائم ثم ركع وملا كفيه من ركبتيه منفرجات ورد ركبتيه إلى خلفه حتى إستوى ظهره حتى لو صب عليه قطرة من ماء أو دهن لم تنزل لإستواء ظهره ومد عنقه وغمض عينيه ثم سبح ثلاثاً بترتيل فقال: سبحان ربي العظيم وبحمده.

ثم إستوى قائماً فلما إستمكن من القيام قال: سمع الله لمن حمده، ثم كبر وهو قائم ورفع يديه حيال وجهه ثم سجد وبسط كفيه مضمومتي الأصابع بين يدي ركبتيه حيال وجهه فقال: سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاث مرات ولم يضع شيئاً من جسده على شيء منه وسجد على ثمانية أعظم الكفين والركبتين وأنامل إبهامي الرجلين والجبهة والأنف وقال: سبعة منها فرض يسجد عليها وهي التي ذكرها الله في كتابه

(١) أي لا بأس عليك بالعمل بكتاب حريز.

(٢) قال شيخنا الهائي: الترتيل: التأنى وتبيين الحروف بحيث يتمكن السامع من عدها، مأخوذة من قولهم ثغر رتل ومرتل إذا كان مفلجاً وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه حفظ الوقوف وبيان الحروف، أي مراعاة الوقف والحسن والإتيان بالحروف على الصفات المعبرة من الهمس والجهر والإستعلاء والإطباق والغنة وأمثالها والترتيل بكل من هذين التفسيرين مستحب ومن حمل الأمر في الآية على الوجوب فسر الترتيل بإخراج الحروف من مخارجها علي وجه يتميز ولا يندمج بعضها في بعض.

(٣) -هنية- بضم الهاء وتشديد الياء بمعنى الوقت اليسير.

فقال: وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً<sup>(١)</sup> فخذها وهي الجبهة والكفان والركبتان والإبهامان ووضع الأنف على الأرض سنة، ثم رفع رأسه من السجود فلما إستوى جالساً قال: الله أكبر، ثم قعد على الأيسر وقد وضع ظاهر قدمه الأيمن على بطن قدمه الأيسر وقال: أستغفر الله ربي وأتوب إليه، ثم كبر وهو جالس وسجد السجدة الثانية وقال: كما قال في الأولى ولم يضع شيئاً من بدنه على شيء منه في ركوع ولا سجود وكان مجنحاً<sup>(٢)</sup> ولم يضع ذراعيه على الأرض فصلى ركعتين على هذا ويده مضمومتا الأصابع وهو جالس في التشهد فلما فرغ من التشهد سلم، فقال: يا حماد هكذا صل.



#### (١) الجن - ١٧١ -

(٢) أي رافعا مرفقيه عن الأرض حال السجود جاعلاً يديه كالجنحين فقوله: لم يضع عطف تفسيري، وقوله: وصلى ركعتين على هذا قال الشيخ رحمه الله: هذا يعطى أنه ﷺ قرأ سورة التوحيد في الركعة الثانية أيضاً وهو ينافي المشهور بين أصحابنا من إستحباب مغايرة السورة في الركعتين وكراهة تكرار الواحدة فيهما إذا أحسن غيرهما كما رواه علي بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر ﷺ ما يمال إليه بعضهم من إستثناء سورة الإخلاص عن هذا الحكم وهو جيد ويعضده ما رواه زرارة عن أبي جعفر ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى ركعتين وقرأ في كل منهما قل هو الله أحد، وكون ذلك لبيان الجواز بعيد ولعل إستثناء سورة الإخلاص بين السور وإختصاصها بهذا الحكم لما فيه مزيد الشرف والفضل.





## حق الصوم

### رحلة حقوقية

لا ينقص العسر بسطا من أكفهم  
سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا

في الحديث عن الباقر عليه السلام قال: كان علي ابن الحسين عليه السلام شديد الاجتهاد في  
العبادة، نهاره صائم وليله قائم، فأضر ذلك بجسمه.

فقلت له يا أبه كم هذا الدؤوب؟

فقال له: أتحبب إلى ربي لعله يزلفني. وحج عليه السلام ماشيا في عشرين يوما من  
المدينة إلى مكة.

ودخل أبو جعفر ابنه عليه السلام عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه احد فرآه  
وقد اصفر لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء ودبرت جبهته وانخر انفه من  
السجود وقد ورمت ساقاه من القيام في الصلاة.

فقال: أبو جعفر عليه السلام فلم املك حين رأيته بتلك الحال البكاء، فبكيت رحمة له  
فإذا هو يفكر فالتفت إلي بعد هنيهة من دخولي.

فقال يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب  
عليه السلام فأعطيته فقرأ فيها شيئا يسيرا ثم تركها من يده تضجرا وقال: من يقوى على

عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام.

واسمعه في مناجاته ودعائه فإنك لا تملك نفسك عن البكاء والخشوع وانكسار القلب، إنها ترنيمة ملائكية في ثياب بشرية، اسمعه كما يحدث طاوس اليماني، يقول: رأيته - علي ابن الحسين - يطوف من عشاء إلى سحر ويتعبد فلما لم ير أحد رمق السماء بطرفه وقال: إلهي غارت نجوم سماواتك وهجمت عين انامك، وأبوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدي محمد عليه السلام في عرصات القيامة ثم بكى وقال: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخي علي، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عني؟ فوا سوأتاه غدا من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا، أمع المخفين أجوز؟ أم مع المثقلين أحط؟ ويلى كلما طال عمري كثرت خطاياي فكم أتوب وكم أعود؟ أما آن لي أن استحي من ربي؟

ثم بكى وأنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى      فأين رجائي ثم أين محبتي  
أتيت بأعمال قباح ردية      وما في الورى خلق جنى كجنايتي  
ثم بكى وقال: سبحانك تعصى كأنك لا ترى وتحلم كأنك لم تعصى، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي الغني عنهم ثم خر إلى الأرض ساجدا.

قال: فدنوت منه وثلت برأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده فاستوى جالسا وقال: من الذي شغلني عن ذكر ربي.

فقلت: إنا طاوس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفرع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا، ونحن عاصون، جانون، أبوك الحسين ابن علي وأمك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله عليه السلام قال: فالتفت إلي وقال: هيهات، هيهات، يا طاوس دع عنك

حديث أبي وأمي وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبدا حبشيا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيدا قرشيا أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ والله لا ينفعك غدا إلا مقدمة تقدمها من عمل صالح.

محطتنا الثانية أيها الأحبة من الرحلة الحقوقية من حقوق الأفعال لإمامنا زين العابدين هي مع حق الصوم.

### حق الصوم

«وَأَمَّا حَقُّ الصَّوْمِ فَإِنْ تَعَلَّمَ أَنَّهُ حِجَابٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِكَ وَسَمِعِكَ وَبَصَرِكَ وَفَرَجِكَ وَبَطْنِكَ لِيَسْتَرِكَ بِهِ مِنَ النَّارِ وَهَكَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ «الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ» فَإِنْ سَكَنْتَ أَطْرَافُكَ فِي حَبَابِهَا رَجَوْتَ أَنْ تَكُونَ مُحْجُوبًا. وَإِنْ أَنْتَ تَرَكْتَهَا تَضْطَرُّ فِي حِجَابِهَا وَتَرْفَعُ جَنَابَاتِ الْحِجَابِ فَتُطْلِعُ إِلَى مَا لَيْسَ لَهَا بِالنَّظَرَةِ الدَّاعِيَةِ لِلشَّهْوَةِ وَالْقُوَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ حَدِّ التَّقِيَّةِ لِلَّهِ لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَخْرِقَ الْحِجَابَ وَتَخْرُجَ مِنْهُ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

ورد في المنجد في اللغة والأعلام كلمة صام:

١ - صام - صوما وصياما: أمسك عن الطعام والشراب والكلام والسير وغير ذلك فهو صائم وجمعها صائمون وصوام وصوم وصيم، إصطام: صام - والمصدر الصوم وجمعه أصوام: الإمساك عن الفعل، الامتناع عن الأكل والشرب في أوقات معلومة، الصائم بلفظ واحد مع الجميع. يقال وهو صوم

وهي صَوْمٌ وهم صَوْمٌ وهلم جرا، والصوام من الأراضي اليابسة لا ماء فيها، الصومان جمع صيامي. يقال ماء صائم أي ساكن راكد، والصائمة من الخيل: القائمة على غير اعتلاف.

٢- صام - صوما وصياما النهار: صار الظهر منه والشمس صارت في كبد السماء، والريح ركدت، الصائمة من السكاكين الكليلة التي لا تقطع ومن البكرات التي لا تدور. يقال جئته والشمس في مصامها أي في كبد السماء.

٣- صام - صوما وصياما وصطام منيته: ذاقها.

وقد تكررت لفظة صيام وصوم وصائم في القرآن الكريم ١٤ مرة ولأحكام متعددة.

ومن هذه الأحكام حكم فريضة الصوم في قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ - البقرة : ١٨٣ .

على أن في العمل بهذا الحكم رجاء ما نبتغي ونطلب بإيماننا وهو التقوى التي هي خير زاد لمن آمن بالله و اليوم الآخر.

وورد في الحديث القدسي، قال الله تعالى: «الصوم لي وأنا اجز به».

و الوجه في كون الصوم لله سبحانه أنه هو العبادة الوحيدة التي تألفت من النفسي، وغيره كالصلاة والحج وغيرهما متألف من الإثبات أو لا يخلو من الإثبات. وذلك أن الصوم أمر بين العبد وربه لا يطلع عليه سوى الله سبحانه بخلاف الصلاة والحج ففيها أفعال خارجية ولربما تكون عرضة للرياء والسمعة.

والذي يعيننا من هذه التعريفات ويقرب لنا معنى الصوم هو التعريف الأول كما بينه الإمام السجاد عليه السلام لا إمساك عن الأكل والشرب فقط بل عن فحش اللسان وفحش البصر وفحش الفرج وفحش البطن.

ويؤكد لنا الإمام هذا المعنى في مقطوعة أخرى:

«واعلم ويحك يا ابن آدم أن قسوة البطنة وفطرة الميله وسكر الشبع وعزة الملك مما يثبط عن العمل وينسي الذكر ويلهي عن اقتراب الأجل حتى كأن المبتلى بحب الدنيا به خبل من سكر الشراب، وإن العاقل عن الله، الخائف منه، العامل له ليمرن نفسه ويعودها الجوع حتى ما تشتاق إلى الشبع وكذلك تضرم الخيل لسباق الرهان.

وروي عن إمامنا الصادق عليه السلام قوله: إذا أصبحت صائما فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك وجميع جوارحك، أي عن المحرمات بل المكروهات أيضا. وقال عليه السلام: إن الصيام ليس عن الطعام والشراب وحدهما، فإذا صمتم فاخفضوا ألسنتكم عن الكذب، وغضوا أبصاركم عما حرم الله، ولا تنازعوا، ولا تحاسدوا، ولا تغتابوا، ولا تماروا، ولا تحالفوا كذبا بل ولا صدقا، ولا تسابوا، ولا تشاتموا، ولا تظلموا، ولا تسافهوا، ولا تضاجروا، ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة والزموا الصمت والسكوت والصبر ومجانبة أهل الشر، واجتنبوا الكذب والفري والخصومة وظن السوء والغيبة والنميمة، وكونوا مشرفين على الآخرة منتظرين لأيامكم منتظرين لما وعدكم الله متزودين للقاء الله... والحديث طويل.

انه دستور كامل للأخلاق وفيها أسرار وخفايا وقف عليها أئمة أهل البيت، ولذا نرى رسول الله ﷺ عندما سمع امرأة تسب جارية لها وهي صائمة كيف دعا لها بطعام وقال لها: كلي. فقالت إني صائمة. فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريته، إن الصوم ليس من الطعام والشراب فقط.

فإن هذا الموقف النبوي تعبير آخر عن صيام سائر الجسد عن الحرام والفحش والإيذاء وهذا ما وضحه الإمام الصادق عليه السلام في حديثه أنف الذكر.

ولو لم يكن إلا هذا الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ لكفى: «صوموا تصحوا» ليس فقط صحة البدن بل صحة العقل والفكر والأخلاق والعلاقات الاجتماعية.

وهذه بعض فوائد الصوم:

١ - الصوم رياضة روحية يتجرد الإنسان فيه من كل شهوات الدنيا ولذائدها.

وبذلك يرتفع بها عن الأرض التي تشده إليها إلى الملأ الأعلى.

٢- في الصوم تتجسد المساواة بين المسلمين حيث يجمعهم شهر رمضان ويوحد نفوسهم، بحيث يوقر صغيرهم كبيرهم ويرحم كبيرهم صغيرهم ويخنو غنيهم على فقيرهم.

٣- الصيام طريقاً إلى صفاء النفس والمودة والحب والتآلف بين الناس ومنه ما ورد من استحباب الإفطار للصائم ندباً إذا دعاه أخاه المؤمن إلى الإفطار فعن الصادقين: «من دخل على أخيه وهو صائم تطوعاً فأفطر كان له أجران: أجر لنيته لصيامه وأجر لإدخال السرور عليه» وفي حديث آخر «فطرك لأخيك وإدخالك السرور عليه أعظم أجراً من صيامك».

٤- في الصوم راحة للجسد والتخلص من كثير من الأمراض بحسب الدراسات الطبية. وحسبك ما ورد من الحديث السابق «صوموا تصحوا» و«المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء».

٥- في الصوم تهذيب للأخلاق والإبتعاد عن الرذائل والتي ذكرها رسول الله وأهل بيته في كثير من أحاديثهم بل وجمعتها كلمة واحدة «لعلكم تتقون».

٦- الصيام يعلمنا على تنظيم حياتنا الإقتصادية والمالية حيث الإبتعاد عن السرف والترف والإحساس بالآلام الآخرين.

هذه بعض فوائد الصيام ولربما غاب عنا الكثير من فلسفة تشريعه.

ومن هذا كله نقف على تلك الفقرة الشريفة ذات العمق الرسالي التي صدرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام وندرك أن كلام الأئمة كله معدن واحد ونور واحد يصدر عن نفس الذات القدسية. فيعد الصوم عند الإمام زين العابدين حجاباً لكل الجوارح من ارتكاب الحرام، وبهذا يكون الصوم وقاية من النار كما ورد في الأثر: «الصوم جنة من النار» أي وقاية، وإلا والعياذ بالله إن طغت هذه الجوارح وحادت عن الطريق الصحيح فالنهاية إلى ما لاحمد عقباه.



## حق الحج

### رحلة حقوقية

يكاد يمسكه عرفان راحته  
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم  
الله شرفه قدما وعظمه  
جرى بذاك له في لوحه القلم

حاول حكام الجور والظلم على مدى العصور تفريغ الحج من محتواه الحقيقي لأنه يهدد عروشهم إذ إن في مناسك الحج ركنين أساسيين، التوحيد أولا ويتمثل برمزية الكعبة، والبراءة من المشركين والظلمة ثانيا ويتمثل برمي الجمار. ورأينا في التاريخ المحاولات المحمومة لجعل الحج عبادة فقط ومجرد طقوس يؤديها المسلم ليس إلا. وما أقدم عليه البيت الأموي من هدم الكعبة على عهد يزيد بن معاوية، وهدمها ثانية بالمنجنيق على عهد الحجاج بن يوسف الثقفي إلا دليل على خوفهم من هذا البيت ومن هذه الشعيرة. ولكن التاريخ ينقل لنا في الجانب الآخر صورة مشرقة حين حمل الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام آية البراءة ليلبغها يوم الحج الأكبر ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ وليعطي الحج بعده العالمي، ثم يأتي من بعده ابنه الإمام الحسين ليقف يوم التروية في موسم الحج فيعلن ثورته المباركة من جوار الكعبة المشرفة «أيها

الناس خط الموت على ابن آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وخير مصرع أنا لاقيه  
وكان أو صالي تقطعنها عسلان الفلوات بين النواويس وكرباء، ألا من كان باذلاً  
فيما مهجته موطناً نفسه على لقاء ربه فليرحل معنا». وستكون هناك ثورة أكبر  
حين يقف إمامنا المهدي - حيث نعيش كل سنة ذكرى ميلاده الشريف - ويسند  
ظهره للكعبة قائلاً بقية الله خير لكم إن كنتم تعلمون حيث يحقق وعد الله وحلم  
الأنبياء والمصلحين على وجه المعمورة.

لما رجع مولانا زين العابدين من الحج استقبله الشبلي، فقال عليه السلام له:  
(حججت يا شبلي). قال: نعم، يا بن رسول الله.

فقال عليه السلام: (أنزلت الميقات وتجردت عن مخيط الثياب واغتسلت؟) قال: نعم.  
قال عليه السلام: (فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية، ولبست ثوب  
الطاعة؟) قال: لا. قال عليه السلام: (فحين تجردت عن مخيط ثيابك نويت أنك تجردت من  
الرياء والنفاق والدخول في الشبهات، قال: لا.

قال عليه السلام: (فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟) قال:  
لا. قال عليه السلام: (فما نزلت الميقات، ولا تجردت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت!).

ثم قال عليه السلام: (تنظفت وأحرمت وعقدت بالحج؟). قال: نعم. قال عليه السلام:  
(فحين تنظفت وأحرمت وعقدت الحج، نويت أنك تنظفت بنور التوبة الخالصة لله  
تعالى؟). قال: لا. قال عليه السلام: (فحين عقدت الحج نويت أنك حللت كل عقد لغير  
الله؟). قال: لا. قال عليه السلام له: (ما تنظفت ولا أحرمت ولا عقدت الحج!).

قال عليه السلام: (أدخلت الميقات وصليت ركعتي الإحرام ولبيت؟) قال: نعم

قال عليه السلام: (فحين صليت الركعتين نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال من  
الصلاة، وأكبر حسنات العباد؟) قال: لا. قال عليه السلام: (فحين لبيت نويت أنك نطق



الله سبحانه بكل طاعة، وصمت عن كل معصية؟). قال ﷺ: (فحين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل محرم حرمه الله عز وجل؟). قال: لا. قال ﷺ: له: (ما دخلت الميقات ولا صليت ولا لبيت!)

ثم قال ﷺ: (أدخلت الحرم ورأيت الكعبة وصليت؟). قال: نعم.

قال ﷺ: (فحين دخلت الحرم نويت أنك حرمت على نفسك كل غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملة الإسلام؟). قال: لا. قال ﷺ: (فحين وصلت مكة نويت بقلبك أنك قصدت الله؟). قال: لا. قال ﷺ: (فما دخلت الحرم ولا رأيت الكعبة ولا صليت!).

ولا زال الإمام مسترسلا بين للشبلي فلسفة الحج الإبراهيمي المحمدي من الناحية الروحية حتى نهاية جميع مناسك الحج والحديث طويل وشيق جدا وفي نهاية حديثه نراه يقول: (فعندما رميت الجمار نويت أنك رميت عدوك ابليس وغضبته بتهام حجك النفيس؟). قال: لا. قال ﷺ: (فعندما حلقت رأسك نويت أنك تطهرت من الأدناس ومن تبعة بني آدم، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟). قال: لا. قال ﷺ: (فعندما صليت في مسجد الخيف نويت أنك لا تخاف إلا الله عز وجل وذنبك، ولا ترجو إلا رحمة الله؟). قال: لا. قال ﷺ: (فعندما ذبحت هديك نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من الورع، وأنتك اتبعت سنة إبراهيم ﷺ بذبح ولده وثمره فؤاده وريحانة قلبه، وأحييت سنته لمن بعده، وقربه إلى الله تعالى لمن خلقه؟). قال: لا. قال ﷺ: (فعندما رجعت إلى مكة وطفت طواف الإفاضة نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى ورجعت إلى طاعته، وتمسكت بوده، وأديت فرائضه وتقربت إلى الله تعالى؟). قال: لا. قال له زين العابدين ﷺ: (فما وصلت منى، ولا رميت الجمار، ولا حلقت رأسك ولا أديت نسكك، ولا صليت في مسجد الخيف، ولا

طفت طواف الإفاضة، ولا تقربت، ارجع فإنك لم تحج!).

فطفق الشبلي يبكي على ما فرطه في حجه وما زال يتعلم حتى حج من قابل بمعرفة ويقين.

وصلنا إلى الحق الثالث من حقوق الأفعال وهو حق الحج، فمعاً أيها الأحبة مع إمامنا زين العابدين لنقف على بعض أسرار هذه الشعيرة الكبيرة وما فيها من منافع.

### حق الحج

(وَأَمَّا حَقُّ الْحَجِّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ وَفَادَةٌ إِلَى رَبِّكَ،  
وَفِرَارٌ إِلَيْهِ مِنْ دُنُوبِكَ وَفِيهِ قَبُولُ تَوْبَتِكَ  
وَقَضَاءُ الْفَرَضِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ).



الحج في اللغة يعني القصد، وفي الاصطلاح هو قصد بيت الله حقيقة، قال تعالى عن لسان إبراهيم الخليل: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهِدِينَ﴾ (الصافات، ٩٩).  
وعن لسان لوط عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (العنكبوت، ٢٦).

تكررت كلمة الحج في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وكعادة القرآن الكريم إنما يكرر الكلمات للتأكيد على أهمية الحكم أو الحدث أو الواقعة. بل هناك سورة كاملة بإسم الحج.

الإمام السجاد عليه السلام يريد بيان البعد الملوكوتي الباطني لمناسك الحج، حيث أنه البعد الذي يتقرب به العبد إلى الله تعالى بقلبه، ومن الواضح أن فلسفة العبادات هي التقرب إليه تعالى. وأما سائر النتائج مهما كانت كبيرة إلا إنها ليست العلة في تشريع

العبادات، كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَأْسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٨). فالآية تؤكد على هذه الحقيقة حيث أن المنافع عائدة إلى هؤلاء الراجلين الفقراء وأصحاب الضامر وهو الهزيل من الإبل.

قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ إلخ، اللام للتعليل أو الغاية والجار والمجرور متعلق بقوله: ﴿يَأْتُوكَ﴾ والمعنى يأتوك لشهادة منافع لهم أو يأتوك فيشهدوا منافع لهم وقد أطلقت المنافع ولم تقتيد بالدينية أو الأخروية.

والمنافع نوعان: منافع دنيوية وهي التي تتقدم بها حياة الإنسان الاجتماعية ويصفو بها العيش وترفع بها الحوائج المتنوعة وتكمل بها النواقص المختلفة من أنواع التجارة والسياسة والولاية والتدبير وأقسام الرسوم والآداب والسنن والعادات ومختلف التعاونات والتعاضدات الاجتماعية وغيرها.

فإذا اجتمعت أقوام وأمم من مختلف مناطق الأرض وأصقاعها على ما لهم من اختلاف الأنساب والألوان والسنن والآداب ثم تعارفوا بينهم و كلمتهم واحدة هي كلمة الحق وإلههم واحد وهو الله عز اسمه ووجهتهم واحدة هي الكعبة البيت الحرام حملهم اتحاد الأرواح ووحدة القول على تشابه الفعل فأخذ هذا من ذاك ما يرضيه وأعطاه ما يرضيه، واستعان قوم بآخرين في حل مشكلتهم وأعانواهم بما في مقدرتهم فيبدل كل مجتمع جزئي مجتمعا أرقى، ثم امتزجت المجتمعات فكونت مجتمعا وسيعاله من القوة والعدة ما لا تقوم له الجبال الرواسي، ولا تقوى عليه أي قوة جبارة طاحنة، ولا وسيلة إلى حل مشكلات الحياة كالتعاضد ولا سبيل إلى التعاضد كالتفاهم، ولا تفاهم كتفاهم

الدين والمنافع أخروية وهي وجوه التقرب إلى الله تعالى بما يمثل عبودية الإنسان من قول وفعل و آداء الحج بما له من المناسك يتضمن أنواع العبادات من التوجه إلى الله وترك لذائد الحياة وشواغل العيش والسعي إليه بتحمل المشاق والطواف حول بيته والصلاة والتضحية والإنفاق والصيام وغير ذلك.

وقد قسم الشهيد المصدر المصالح المتوخاة من الحج الى قسمين:

- ١- مصالح متوخاة من الحج كوظيفة اجتماعية موحدة منظورا إلى أفعاله على وجه المجموع لتكون العمل الإسلامي الواحد المسمى بالحج.
- ٢- المصالح المتوخاة من وراء كل فعل من أفعاله إذا نظر إليه بحياه، كجزء من الفريضة الكبرى.

وسنلخصها كالتالي: القسم الأول:

بعض هذه المصالح شخصي وبعضه اجتماعي فما كان منه اجتماعيا فهو يفيد الأمة، وما هو شخصي فهو يفيد الأمة عن طريق صياغة نفس الفرد وتربيته. وبعضها حسي مباشر وبعضها رمزي. وهي كالتالي:

- ١- تذكر الله تعالى دائما. وحيث أن الهدف هو الله سبحانه لذلك وجب ذكر الله في جميع أعمال الحج.
- ٢- العمل في سبيل الله. حيث يقوم في المشاعر كلها من اجله ولإطاعته وأوامره
- ٣- التضحية في سبيله بقيامه بهذا العمل حيث معلوم أن الحج ليس أمرا سهلا وإنما يحتاج إلى جهد بدني وفكر كبير.
- ٤- غفران الذنوب وتصفية النفس. الحج دورة أخلاقية كاملة وحيث أن لا احد

- يخلوا من عمل الذنوب عادا المعصومون فإنه فرصة لطلب رضوان الله.
- ٥- تمثل التاريخ الإسلامي في الأماكن المقدسة. ما اسعد الحاج أن يؤدي الحج في نفس الأماكن التي نشأ فيها رسول الله وعاش فيها صحابته وعدد من المعصومين من أهل بيته عليه السلام.
- ٦- الشعور بعظمة الإسلام وعمق هيئته وهيمنته على النفوس، وقوته ومنعته بهم عند الإحتكاك بالآلاف المؤلفة من الحجيج الذين يؤمنون ببيت الله الحرام زرافات ووحدانا، كل عام منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا.
- ٧- الشعور بالوحدة والأخوة مع الحاج المسلمين وبالهدف الواحد المشترك بينهم. حيث لا تجمعهم لغة ولا زي ولا تقاليد ولا حدود ولا يعرف الفرد منهم الآخر.
- ٨- التعرف على الام وآمال الأمة الإسلامية ومشاكلهم وثقافتهم ومستويات تفكيرهم، فإنه من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم.
- ٩- الحج مؤتمر إسلامي سياسي كبير ويضم عدد مهم من رجال الفكر والعلم والأدب والإجتماع والسياسة مما يكون على المستوى الرفيع من المداولة في الشؤون العامة للمسلمين. ولو وفق إلى قيادة رشيدة واعية وأفكار بناء مخلص، لنالت الأمة الإسلامية ومن تكراره كل عام أفضل الثمار ولأصبح العقبة الكؤود أمام قوى الشرك والانحراف والصوت المجلجل للأمة الإسلامية والخطوة الموفقة لدفع الألام وتحقيق الآمال.
- ١٠- الدعوة إلى الإسلام وتبليغ أحكامه إلى الناس. فإن الحج يعتبر الفرصة الكبرى الوحيدة لإجتماع مثل هذا العدد الضخم من المسلمين بتوجه وخشوع لله وعلى استعداد كبير لتقي أحكام الإسلام حيث أن الحج هو

الفريضة الوحيدة التي تجمع بين أكثر الفرائض إذ أن الصلاة والصوم والخمس جزء من أحكام الحج.

### المصالح الخاصة لأعمال الحج:

- هناك مصالح متعلقة بأفعال الحج بما لها من رمزية أو صراحة وبما فيها من نفع فردي أو اجتماعي ومن هذه المصالح ما بينها الإمام زين العابدين للشبلي في حديثه والتي ذكرنا بعضها منها في مقدمة الكلام. وهي بشكل ملخص:

- الإحرام والمقصود الرئيسي منه التجرد عن المادة وعلائق الدنيا.

- التلبية، ولا يعقد الإحرام إلا به وهي إجابة لنداء الهي ورباني كبير وهي دعوة إبراهيم الخليل.

- الطواف، حيث أن الكعبة تمثل الوجود المادي الرمزي للتوحيد والطواف حولها هو طواف حول التوحيد وحول دين الله القويم.

- صلاة الطواف، وفيها أنها شرط من شرائط الحج وإن الله لم يرد للحج أن يخلو من عمود الدين وهو الصلاة وإن من لم يعرف الصلاة بطل حجه، وإنها تحية معطرة وفيض من الإحترام لنبينا إبراهيم عليه السلام حيث أنها تؤدي في مقامه.

- السعي، وهو يمثل السعي في حدود الشريعة الإسلامية والأوامر الإلهية ويعطي رمزية واضحة عن التردد داخل حدود تلك الأوامر والتعاليم.

- الموقوفان، عرفات والمشعر وهما المكان والزمان الوحيد الذي يجتمع فيه الحجاج جميعا وفيهما فرصة للتقارب والتعارف حيث أن بقية أعمال الحج لا توحد الحجاج اجمعهم.

- الذبح والهدي، جعل الله فيها للفقير حق في أموال الأغنياء، وشرع فيها

الضمان الإجتماعي العام.

- الحلق، وفيه حكمتان: الأولى إحلال الحاج لكثير من الأمور المحرمة عليه حال الإحرام وتمكنه من الإلتزام بنواهي الإحرام طيلة الحج. والثاني النظافة التي هي من الإيمان ومن واضحات المطلوبات في الإسلام.

- رمي الجمرات، حيث أن الكعبة رمز التوحيد والطواف حولها يمثل الإخلاص لله ورمز الخير، فإن الرمز الآخر لا بد أن يستقطب كل معاني الشر والظلم باعتبارهما المنتوجين الأساسيين لما ترمز إليه الجمرة وهي فكرة الشيطان وما تعدد الجمرات إلا فكرة لتعدد الطواغيت والظالمين وعليه فيجب رجمهم ورفضهم ليس فقط في أيام الحج بل في كل زمان ومكان.

هذه نبذة يسيرة ومختصرة عن فلسفة الحج حيث لا يسقط الميسور بالمعسور ولعلنا نوفق في مكان آخر لتبيان بعض إسرار الحج. إنما أراد إمامنا زين العابدين هو الحج الحقيقي الذي يخرج فيه الحاج من ذنوبه كيوم ولدته أمه والذي يشعر فيه الفرد المسلم بأخيه المسلم في كل مكان وزمان.

وهذا ما أكدته إمامنا الرضا عليه السلام:

ففي العيون، فيما كتبه الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسأله في العلل: وعلة الحج الوفاة إلى الله عز وجل وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترب وليكون تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللذات والتقرب بالعبادة إلى الله عز وجل والخضوع والاستكانة. والذل شاخصاً في الحر والبرد والأمن والخوف، دائباً في ذلك دائماً. وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، والرغبة والرهبة إلى الله تعالى، ومنه ترك قساوة القلب وجسارة النفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق وحظر النفس عن الفساد، ومنفعة من في شرق الأرض

وغربها ومن في البر والبحر ممن يحج ومن لا يحج من تاجر وجالب وبائع ومشتري  
وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع  
فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم.







## حق الصدقة

### رحلة حقوقية

لا يستطيع جواد بعد جودهم  
ولا يدانيهم قوم وإن كرموا  
هم الغيوث إذا ما أزمته أزمته  
والأسد أسد الشرى والبأس محتدم  
لا ينقص العسر بسطا من أكفهم  
سيان ذلك ان أثروا وإن عدموا

الصدقة نوعان مادية ومعنوية وهي إما صدقة في سبيل الله وأجرها الجنة بل لا يعلم أجرها إلا الله:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٦٥).

وإما الصدقة في سبيل الطاغوت، فأولئك الذين يسرقون أموال شعوبهم ويحرمونهم من اقل الحقوق ثم يبذرونها ويصرفونها لدعم الإرهاب وقتل الأبرياء هنا وهناك، وعلى ملذاتهم الخاصة هؤلاء أجرهم نار جهنم وغلبة وحسرة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُهُمْ ثُمَّ تَكُونُ

عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ (الأنفال: ٣٦).

ولم يكن الإمام زين العابدين بمواقفه أو مناقبه الفريدة، يريد تسجيل لوحات استهلاكية للتشدد والرياء، ولم يكن يرغب في تدوينها للتسويق السياسي والتجارة، وإنما كانت سجيته هكذا، بل كانت أخلاقه ملكة لم يستطع أكثر أعدائه خصومة له، تسجيلها عليه على أنها نوازع خاصة لأهداف مبيتة يرغب في تسويقها من أجل اكتساب السمعة أو الشهرة أو توسيع دائرة المعجبين والمحبين، كما يفعل الكثيرون.

ولعل (صدقة السر) المنسوبة له عليه السلام تجسيد مثالي رائع لهذه الملكة الخالدة والسجية العظيمة، فكان يسمى (صاحب الجراب)؛ إذ كان يقصد بجراجه فقراء المسلمين ليلاً ملثماً، فيقرع أبوابهم باباً باباً ليضع ما يضعه أمامها في جوف الليل من طعام أو صرة مال، ولم يكن ليعرف المسلمون (صاحب الجراب) هذا حتى مات عليه السلام حيث كشف بعض خواصه كلمته الخالدة: «إن صدقة السر، أو صدقة الليل تطفىء غضب الرب» لتبقى شعاراً خالداً يندد بالمرائين وتجار السياسة وعشاق الوجاهة والرئاسة وشراء الذمم والأصوات

منقبة أخرى، بل مناقبية أخرى، تكشف هذه السجية في شخصيته، خلاصتها أنه عليه السلام كان يحصي على عبيده أخطاءهم في شهر رمضان، ويسجل ذلك عليهم دون علمهم، ودون أن يعاقبهم أو يقرعهم أو يحاسبهم حتى إذا جاء عيد الفطر جمعهم، وأخذ يذكرهم بأخطائهم وذنوبهم أثناء الشهر الكريم مع تحديد الوقت والخطأ الذي ارتكبه كل منهم، وحين يتذكر المخطيء منهم فعلته أو خطأه ويعترف بذنبه، يعفو عنه ويطلب منه أن يدعو له بالمغفرة والعفو من النار كما عفا هو عنه أو عنهم، ثم يعتقه أو يعتقهم أحراراً لوجه الله وهو يردد وهم

جميعاً يرددون معه وبصوت ودعاء ملائكي حزين: «ربِّنا أَمْرُتْنا أَنْ نَعْفُو عَنْ مَنْ ظَلَمْنَا وَقَدْ عَفَوْنَا كَمَا أَمَرْتَ، فاعْفُ عَنَّا، رَبَّنَا وَأَمْرُتْنا أَلَّا نَرُدَّ سَأَلًا عَنْ أَبْوَابِنَا وَقَدْ أَتَيْنَاكَ سُؤلاً وَمَسَاكِينَ، وَقَدْ أَنْخَنَّا بِفَنَائِكَ وَبِبَابِكَ نَطْلُبُ نَائِلَكَ وَمَعْرِوْفَكَ وَعَطَائِكَ، فَاْمُنْ بِذَلِكَ عَلَيْنَا وَلَا تَخَيِّبْنَا.

نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِالْمُخْزُونِ مِنْ أَسْمَائِكَ وَبِمَا وَارَتْهُ الْحُجُبُ مِنْ بَهَائِكَ إِلَّا رَحْمَتَ هَذِهِ النَّفْسِ الْجَزُوعَةِ وَهَذِهِ الرِّمَّةِ الْهَلُوعَةِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ حَرَّ شَمْسِكَ، فَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ حَرَّ نَارِكَ، وَالَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ صَوْتَ رَعْدِكَ، فَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ صَوْتَ غَضَبِكَ». ثُمَّ يُقْبَلُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى عَيْدِهِ فَيَقُولُ لَهُمْ: «قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ، فَهَلْ عَفَوْتُمْ عَنِّي مِمَّا كَانَ مِنِّي إِلَيْكُمْ مِنْ سُوءٍ مَلَكَ؟ فَإِنِّي مَلِكٌ سُوءٌ، لَيْتِمُ ظَالِمٌ، مَمْلُوكٌ لِمَلِكٍ كَرِيمٍ جَوَادٍ عَادِلٍ مُحْسِنٍ مُتَفَضِّلٍ».

فَيَقُولُونَ: قَدْ عَفَوْنَا عَنْكَ يَا سَيِّدَنَا وَمَا أَسَاءْتَ فَيَقُولُ لَهُمْ قَوْلُوا: «اللَّهُمَّ أَعْفُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ كَمَا عَفَا عَنَّا، فَاعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ كَمَا أَعْتَقَ رِقَابَنَا مِنَ الرِّقِّ».

ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ تَوَلَّنِي فِي جِيرَانِي بِإِقَامَةِ سِتِّكَ وَالْأَخْذِ بِمُحَاسِنِ أَدَبِكَ فِي إِرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَتَعَهْدِ قَادِمِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَهَدَايَةِ مُسْتَرَشِدِهِمْ، وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ، وَسِتْرِ عَوْرَاتِهِمْ، وَنَصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنِ مَوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونِ، وَالْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجَدَّةِ وَالْأَفْضَالِ وَإِعْطَائِهِمْ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ» وَهَكَذَا، مِمَّا لَا عَدْلَ لَهُ وَلَا حَصْرَ فِي إِحْصَاءِ زَوَايَا النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَةِ وَالتَّنْقِيبِ عَنْ مَكْنُونَاتِهَا النَّبِيلَةِ فِي حُبِّ الْآخَرِينَ وَالرَّفْقِ بِهِمْ وَالْعُطْفِ عَلَيْهِمْ وَ(مَوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونِ) لَا حَظَّ الدَّقَّةِ وَنُصْحِهِمْ وَالْإِنْتِصَارَ لِمَظْلُومِهِمْ وَتَعَهْدَ قَادِمِهِمْ وَمَا ذَكَرَهُ وَرَدَّدَهُ وَمَا زَالَتْ تَذَكَرُهُ وَتَرَدَّدَهُ الْأَجْيَالُ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ رَغْمَ تَعَاقُبِ الدَّهُورِ وَالْعَصُورِ.

أحبتني بعد هذه المقدمة الجميلة تصل رحلتنا الحقوقية في حقوق الأفعال إلى  
حق الصدقة حيث يقول مولانا زين العابدين:

### حق الصدقة

(وَأَمَّا حَقُّ الصَّدَقَةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا ذُخْرُكَ عِنْدَ  
رَبِّكَ وَوَدِيعَتُكَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْإِشْهَادِ،  
فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ سِرًّا أَوْثَقَ  
بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ عَلَانِيَةً، وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تَكُونَ  
أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ أَمْرًا أَعْلَنْتَهُ، وَكَانَ الْأَمْرُ بَيْنَكَ  
وَبَيْنَهُ فِيهَا سِرًّا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَمْ تَسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ  
فِيمَا اسْتَوْدَعْتَهُ مِنْهَا بِإِشْهَادِ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ  
عَلَيْهِ بِهَا كَأَنَّهَا أَوْثَقُ فِي نَفْسِكَ لَا كَأَنَّكَ لَا  
تَثِقُ بِهِ فِي تَأْدِيَةِ وَدِيعَتِكَ إِلَيْكَ، ثُمَّ لَمْ تَمْتَنَنَّ بِهَا  
عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّهَا لَكَ فَإِذَا امْتَنَنْتَ بِهَا لَمْ تَأْمَنْ أَنْ  
تَكُونَ بِهَا مِثْلَ تَهَجِينِ حَالِكَ مِنْهَا إِلَى مَنْ  
مَنْنْتَ بِهَا عَلَيْهِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّكَ لَمْ  
تُرِدْ نَفْسَكَ بِهَا، وَلَوْ أَرَدْتَ نَفْسَكَ بِهَا لَمْ تَمْتَنَنَّ  
بِهَا عَلَى أَحَدٍ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

ربما لم ترد كلمات مترادفة في القرآن الكريم بقدر ما اتى في الصدقة فقد جاءت  
بمعنى الإنفاق الإيتاء والمجاهدة بالأموال والزكاة والخمس ولقد جاءت كالآتي :

- ١٠ مرات كلمة صدقات بمختلف صيغها

- ٢٠ مرة انفقوا ومعظمها متلازمة بالمال

- ٢١ مرة ينفقون كذلك متلازمة بالمال

- ٧ مرات جاهدوا بأموالكم

- ٤ مرات أنفقتم

- ٢٨ مرة كلمة الزكاة

- ومرة واحدة لكلمة خمس ومجاهدون ومجاهدين بأموالهم

هذا التكرار وبكلمات مترادفة يدل على أهمية العطاء بمفهومه الواسع على أن الزكاة والخمس من الواجبات إذا اكتمل فيها النصاب ووجدت الأرباح، ولا شك أن البذل والعطاء والإيثار والكرم والهدايا والهبات والتبرعات والصدقات أمور يرغب الإسلام في ممارستها وأحيائها ويدعوا المسلمين إلى أن تعيش بينهم روح المحبة والسماحة والحنان.

والعطاء بمفهومه الإسلامي الواسع يشمل المعنوي والمادي ومن هذا العطاء ما هو واجب ومنه ما هو مستحب:

- فالواجب منه يتمثل بالحقوق الشرعية من خمس وزكاة وغيرها ومن تعليم جاهل لأحكام دينه المتمثلة بالصلاة والصيام وغيرها من الواجبات.

- والمستحب قد يتمثل في باقي الحقوق غير الواجبة فقد يأخذ صفة الصدقة والهبة والهبة وقد يأخذ صفة تثقيف لمفهوم إسلامي أو لقضية إسلامية أو لحكم إسلامي لا يتعرض له المكلف ولا يتلى به شخصيا.

والإمام زين العابدين يضع أمامنا في هذا المقام صورة الصدقة التي تتجسد في العطاء المجاني دون مقابل سواء كانت واجبة أو مستحبة ولعلها إلى الاستحباب أقرب منها إلى الوجوب فإن هذه الصدقة التي تخرجها من ملكك لتقدمها إلى فقير هو بحاجة إليها.

وربما لا يستطيع باحث حصر فوائد الإنفاق والصدقة، ولكن لا يسقط الميسور بالمعسور فمن فوائدها :

١ - فوائد شخصية تعود على المنفق نفسه إذا بذل عن نفس طيبة، عن نفس تحسس بآلام الآخرين، إذا قصد بها وجه الله وتنفيس كربة ورفع عوز أرملة وسد خلة فإنها تتحول إلى عبادة تعادل الصلاة والصيام بل وقد تفوق صلاة الكثيرين ممن لا يتعاطفون مع الناس ولا يعيشون آلامهم.

٢ - الأجر والثواب الكثير من الله سبحانه وتعالى كما صرحت بها الكثير من الآيات ومنها :

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. والذكر الطيب وقد ينزل فيه قرآن مهما كانت قليلة. وحادثة الإطعام التي قدم فيها أهل البيت عليه السلام طعامهم إلى المسكين واليتيم والأسير نموذج من هذا الطهر والإيمان الذي دفعهم للإيثار وتقديم الخير فنزل القرآن ليمدحهم ويثني عليهم في سورة كاملة هي سورة الإنسان ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا \* مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا \* وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَلْفُفُهَا تَذَلِيلًا﴾، وما احلي هذه الآيات لأمر المؤمنين علي في الشجاعة والكرم:

أنا الصقر الذي حدثت عنه      عناق الطير تنجدل انجدالا  
وقاسيت الحروب أنا ابن سبع      فلما شبت أفنيت الرجالا  
فلم تدع السيوف لنا عدوا      ولم يدع السخاء لدي مالا

٣ - فوائد اجتماعية : تقوية اللحمة والأواصر بين أفراد المجتمع بين الفقراء والمساكين والمحتاجين والمعوزين وبين الأغنياء والواجدين، وارتفاع سطح معيشة الطبقة المتدنية.

٤ - تقليل بل ربما القضاء على الجرائم الخلقية من سرقة وبيع شرف، فإن هذا المحتاج

لربما تدفعه حاجته لبيع شرفه أو للسرقة أو للإعتداء على الآخرين. فإذا بذل هذا الغني وإعطاه هذا المحتاج وسد حاجته فقد سد بابا من أبواب الإجرام.

٤- دفع البلاء، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ «ادفعوا البلاء بالصدقة» و«وداؤوا مرضاكم بالصدقة».

ثم يرشدنا الإمام زين العابدين إلى عدة أمور لكي نستكمل بها قمة العطاء والثواب:

أولاً - أن هذه الصدقة لا تضيع وليس أجرها وثوابها يضيع بل إنها لا تحتاج إلى الإشهاد ولا إلى وثائق ومستمسكات لأنها كما في بعض الروايات تقع في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل.

ثانياً - كلما كانت سرا كانت أكثر ثواباً لأنها تحفظ على الفقير ماء وجهه وتصون كرامته وتستر عليه حاجته، وهي بذلك تكون معاملة مباشرة مع عالم الغيب والشهادة وابتعد عن الرياء والظهور والكبرياء، ومن هنا كان فضل العبادة سرا على الجهر بها، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤).

وقد مر علينا في بداية الحديث كيف أن الإمام زين العابدين كان يسمى (صاحب الجراب) لأنه يتصدق بجراب الأموال بالليل سرا. وعن الإمام الصادق عليه السلام: كل ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره وما كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه.

ثالثاً - أن تكون خالية من المن طبقاً لقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فإن المن يفسدها ويضيع أجرها وإذا أفسدها وضاع أجرها لم يستفد منها لنفسه شيئاً ولو كان مريداً أجرها لراعى شروط قبولها. أخرج ابن المنذر والحاكم وصححه: إن رسول الله ﷺ سأل البراء

بن عازب فقال: يا براء كيف نفقتك على أمك؟ وكان موسعا على أهله فقال: يا رسول الله ما أحسنها؟ قال: فإن نفقتك على أهلك وولدك وخادمك صدقة فلا تتبع ذلك منا ولا أذى.

وأخيرا لو ضربنا الأمثال في العطاء والبذل والجود فلن نجد مثل رسول الله ﷺ في عطائه وجوده، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس كفا وأكرمهم عشرة من خالطه فعرفه احبه.

وفي مكارم الأخلاق عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال أنا أديب الله وعلي أديبي أمرني ربي بالسخاء والبر ونهاني عن البخل والجفاء وما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من البخل وسوء الخلق وإنه ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل.







## حق الهدى

### رحلة حقوقية

يكاد يمسكه عرفان راحته

ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

نجد في سيرة الأئمة عليهم السلام العديد من الأدلة التي أوضحوا من خلالها للناس سبب الاختلاف في أساليبهم في قيادة الحركة الإسلامية من إمام لآخر.

فالإمام السجاد عليه السلام قال له عبّاد البصري وهو في طريق مكة: تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحجّ ولينه، و«إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم» فأجابه الإمام عليه السلام: اقرأ بعدها: «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ويشرّ المؤمنون»، ثمّ قال عليه السلام: إذا ظهر هؤلاء يعني المؤمنين حسب مواصفاتهم في الآية لم نؤثر على الجهاد شيئاً.

وبهذه الإجابة حدّد الإمام عليه السلام بشكل صارم سياسته ولون كفاحه، ووجهه حركته في عصره، ومن ثمّ الأسباب الموجبة لذلك المسار، فإنّ عدوله عن الكفاح المسلّح والمواجهة العسكرية للحكم الأموي لم تأتِ حباً في الحياة ونعيمها كما تصوّر عبّاد البصري، وإنّما جاء ذلك لأنّ مستلزمات العمل العسكري الناجح غير متوفرة، ولأنّ النتائج من أيّ تحدّد للسلطان في تلك الظروف تكون عكسيّة تماماً.

وبعد ملحمة كربلاء مباشرة تبنى الإمام السجاد عليه السلام وكرائم أهل البيت كزينب وأمّ كلثوم عليهم صلوات الله وسلامه سياسة إسقاط الأقنعة التي كان الأمويون قد غطّوا وجوه سياستهم الكالحة الخطيرة بها، وحملوا الأمة كذلك مسؤوليتها التاريخية أمام الله والرسالة.

### حجّه عليه السلام :

وكان يحثّ على الحج والعمرة بقوله: «حجّوا واعتمروا تصح أجسادكم، وتتسع أرزاقكم، ويصلح إيمانكم، وتكفوا مؤونة الناس ومؤونة عيالكم»، وقال عليه السلام: «الحاج مغفور له، وموجوب له الجنة، ومستأنف به العمل، ومحفوظ في أهله وماله».

وقال عليه السلام: «الساعي بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة».

وكان عليه السلام يدعو إلى تكريم الحجاج إذا قدموا من بيت الله الحرام ويقول: «استبشروا بالحجاج إذا قدموا وصافحوهم، وعظّموهم تشاركوهم في الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب».

وحجّ عليه السلام غير مرّة ماشياً كما حج أبوه وعمّه الحسن عليه السلام، وحج على ناقته عشرين حجة وكان يرفق بها كثيراً.

وقال ابراهيم بن عليّ: حججت مع عليّ بن الحسين فتلكأت ناقته فأشار إليها بالقضيب، ثم ردّ يده، وقال: «آه من القصاص...».

وكان الإمام عليه السلام إذا أراد السفر إلى بيت الله الحرام احتفّ به القراء والعلماء؛ لأنهم كانوا يتزوّدون منه العلوم والمعارف والحكم والآداب، وقال سعيد بن المسيب: إنّ القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب.

وإذا انتهى الإمام إلى إحدى المواقيت التي يحرم منها؛ يأخذ بعمل سنن الإحرام، وإذا أراد التلبية عند عقد الإحرام اصفرّ لونه واضطرب ولم يستطع أن يلبي، فإذا قيل له: ما لك لا تلبي؟ قال: «أخشى أن أقول: لبيك، فيقال لي: «لا لبيك».

وإذا لبى غشي عليه من كثرة خوفه من الله تعالى، ويسقط من راحلته، ولا يزال يعتريه هذا الحال حتى يقضي حجّه.

وكان الإمام عليه السلام إذا أدى مناسكه في البيت الحرام؛ أقبل على الصلاة تحت ميزاب الرحمة. ورآه طاووس اليماني في ذلك المكان قائماً وهو يدعو الله ويبكي من خشية الله، فلما فرغ من صلاته قال له طاووس: رأيتك على حالة من الخشوع ولك ثلاثة أمور، أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها: أنك ابن رسول الله ﷺ، الثاني: شفاعه جدك، الثالث: رحمة الله.

فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً: «يا طاووس، أمّا أني ابن رسول الله ﷺ فلا يؤمنني وقد سمعت الله تعالى يقول: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، وأمّا شفاعه جدّي فلا تؤمنني؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ وأمّا رحمة الله فالله يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولا أعلم أنّي محسن».

قد سبق وذكر الإمام زين العابدين حق الحج وتطرّقنا لبعض أسرارهِ وفلسفته وفلسفة بعض مناسكه وأركانه من خلال حديث الإمام مع الشبلي ومن خلال تحليلات المشرع والعلماء. ثم لا يكتفي الإمام زين العابدين بهذا بل ويذكر حق الهدي الذي هو إحدى فروع الحج، فيا ترى لماذا خص الإمام هذا الفرع دون غيره من فروع الحج بالذكر. هذا ما سنحاول أن نسلط عليه الضوء في رحلتنا الحقوقية هذه والذي يمثل آخر حقوق الأفعال في رسالة الحقوق.

## حق الهدي

«وَأَمَّا حَقُّ الْهَدْيِ فَإِنَّ تَخْلِصَ بَهَا الْإِرَادَةَ إِلَى رَبِّكَ وَالتَّعَرُّضَ لِرَحْمَتِهِ وَقَبُولَهُ وَلَا تُرِيدَ عُيُونَ النَّاطِرِينَ دُونَهُ، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ تَكُنْ مُتَكَلِّفًا وَلَا مُتَصَنِّعًا وَكُنْتَ إِنَّمَا تَقْصِدُ إِلَى اللَّهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يُرَادُ بِالْيُسِيرِ وَلَا يُرَادُ بِالْعُسِيرِ كَمَا أَرَادَ بِخَلْقِهِ التَّيْسِيرَ وَلَمْ يُرِدْ بِهِمُ التَّعْسِيرَ، وَكَذَلِكَ التَّذَلُّلَ أَوْلَى بِكَ مِنَ التَّدَهُّقِ لِأَنَّ الْكُلْفَةَ وَالْمُتُونَةَ فِي الْمُتَدَهِّقِينَ. فَأَمَّا التَّذَلُّلُ وَالتَّمَسُّكُ فَلَا كُلْفَةَ فِيهِمَا وَلَا مُتُونَةَ عَلَيْهِمَا لِأَنَّهُمَا الْخَلْقَةُ وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي الطَّبِيعَةِ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»

ورد ذكر الهدي في القرآن الكريم سبع مرات في أربع آيات دلالة على أهمية هذا الركن.

لكل عبادة أبعاد روحية عرفانية وفوائد فردية ذاتية، وأبعاد اجتماعية سياسية وفوائدها للمجتمع، وهذه الأبعاد قد تختص بالمكان والزمان معا كما في الحج وقد تختص بالوقت كما في الصيام والصلاة. فالهدي مثلا من أبعاده الروحية قتل الطمع والهوى عند الإنسان، وفي الجانب الاجتماعي مثلا إطعام القانع والمقتر.

## ١- الأبعاد الروحية للهدي:

ولقد ذكرنا سابقا قول الإمام زين العابدين عليه السلام للشبلي: «فعندما ذبحت هديك انك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من حقيقة الورع، وانك اتبعت سنة

ابراهيم عليه السلام بذبح ولده وثمره فؤاده وريحانة قلبه، وأحييت سنته لمن بعده وقربه إلى الله تعالى لمن خلقه».

وعن الصادق عليه السلام «واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة».

إن الحج بما فيه من نسك يرجع إلى إبراهيم عليه السلام لأنه هو الذي قال الله عنه جل وعلا :

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ \* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ \* وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (الصافات: ١٠٧).

هذه الصورة الرائعة والموقف الإلهي والتسليم المطلق الذي يبين حقيقة وفلسفة الهدي عمليا حيث وصل بالنبي ابراهيم واسماعيل عليهما السلام إلى مستوى الاستعداد بالتضحية بالنفس في سبيل الله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾، حيث أن الهدي يرمز إلى الفداء والعطاء.

بل وأوضح منه درسا عمليا لتقديم سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين دمه ودماء ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وصحبه الكرام يوم الطف تضحية وفداء للإسلام العظيم لأكبر مصداق لقوله تعالى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ إذ فسر الذبح العظيم انه الإمام الحسين عليه السلام.

وورد عن علي سمعت رسول الله ﷺ يخطب يوم النحر ويقول: «هذا يوم الشج والعج» والشج ما يهرق من الدماء فمن صدقت نيته كانت أول قطرة كفارة لكل ذنب اقترفه إذا أراد بذلك أن يتخلى عن حيوانيته، عندئذ تكون هذه القطرة تمثل توبة نصوحا يصل بها العبد إلى رضوان الله ومغفرته، فهي كفارة لكل ذنب. والعج رفع

الصوت بالتكبير والتلبية والدعاء فعجوا لله فوالذي نفس محمد بيده لا ينصرف من هذا الموضع أحد إلا مغفورا له، وكذا الحال في منى يوم النحر بعد الذبح والتقصير يغفر للجميع.

هذا هو بعض أسرار الهدى في بعده العبادي العرفاني.

## ٢- الهدى في بعده الاجتماعي

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج: ٣٦)، ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ خُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى﴾ (الحج: ٣٧). نزلت هاتان الآيتان في بضع آيات لتبين تشريع الحج وأحكامه، وقد بينت الآية موارد صرف الأضحية وهي:

- الأهل

- القانع

- المسكين

\*ورد في الميزان عن سيف التمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن سعيد بن عبد الملك قدم حاجا فلقي أبي فقال: إني سقت هديا فكيف أصنع؟ فقال: أطعم أهلك ثلثا، وأطعم القانع ثلثا، وأطعم المسكين ثلثا. قلت: المسكين هو السائل؟ قال: نعم، والقانع يقنع بما أرسلت إليه من البضعة فما فوقها، والمعتر يعتريك لا يسألك.

إن من فوائد الحج الاجتماعية والاقتصادية أن يستفيد تجار ومربي المواشي من موسم الحج بضخ الملايين من رؤوس المواشي كل عام لأن عدد الحجاج يزيد على الثلاثة ملايين كل سنة وهم في ازدياد مطرد، وبعض الحجاج إلى جانب

الهدي يذبحون الأضاحي عن ذويهم وآبائهم وبذلك تقوى عجلة الإقتصاد في بلاد المسلمين، أيضا المسالخ التي تهتم بذبح الأضاحي تدر الكثير من المال، أيضا شركات التبريد والنقل التي تبرد وتجمد الأضاحي وتنقلها إلى مختلف البلاد الإسلامية عن طريق الجمعيات الرسمية والأهلية فتوصلها إلى الفقراء والمحتاجين والمساكين.

ومن الأمثلة العملية التي وقفت عليها شخصيا لجنة الهدي بفرع جمعية الفيصلية والمبرز التي أخذت على عاتقها سنويا في موسم الحج حيث تنسق مع حملات الحج المحلية بل والقادمة من الخارج للاستفادة من أضاحي الهدي وجلبها إلى الأحساء ودول الخليج والعراق.

إن مثل هذه اللجان لو وجدت بكثرة لأمكن الاستفادة من الهدي بشكل اكبر ولغطت رقعة اكبر من دول المسلمين ولشملت اسر أكثر من المحتاجين.

ومن فوائدها الاجتماعية بعث روح التكافل الاجتماعي بين أفراد المسلمين هذه بعض منافع الهدي والحج بشكل إجمالي، على أن الإمام زين العابدين عليه السلام قد لفت انتباهنا في مقولته إلى عدة أمور ليكون هدينا هادفا وقاصدا وخالصا مقبولا لله رب العالمين:

أولاً: إخلاص الإرادة لله وان هذا الهدي يجب أن يراد به وجه الله طاهرا نقياً فإن الشرك يفسده والتوجه إلى غير الله يفقده مضمونه ومعناه.

ثانياً: بين الإمام امرامهما وذا أبعاد، بين لنا قاعدة اليسر التي هي من أهم القواعد الإسلامية وأعظمها وقد استمدتها من القرآن الكريم التي يرسمها بقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

ثالثاً: التذلل أولى بالمسلم من التدهقن، وهو التكبر والتجبر والتبختر بسبب

المال والسلطان.

وكذلك أراد الإمام من هذا الإنسان أن يبقى على طبيعته من دون تكلف ولا  
تصنع في سلوكه وحديثه ونيته.







## حق سائسك بالسلطان

### رحلة حقوقية

سهل الخليفة لا تخشى بوادره  
يزينه اثنان حسن الخلق والشيم

### موقف الإمام زين العابدين من أعوان الظلمة:

إن الطواغيت ليس بإمكانهم الوصول إلى مآربهم إذا لم يجدوا أعواناً لهم يعينونهم على ما يقومون به من مظالم ومآثم، ولعلّ من السذاجة بمكان إلقاء اللوم على عاتق شخص واحد توضع على مشجبه أو شماعته كل الجرائم والجنایات التي ترتكب بحق الأمم والشعوب، وإغضاء الطرف عن الدائرة المحيطة به، الملتفة حوله، بدءاً بولاته وقادته العسكريين، مروراً بإعلاميه وأبواقه وفقهائه ووعاظ سلطته، وانتهاءً بهذا المطرب أو ذاك الشاعر اللذين لا ينفكان ينشدان لنظامه الظالم ويروّجان له ويخففان جرائمه ويأخذان على أيدي من يحاول التعريض به أو الحديث عن جرائمه.

ولعلّ الزيارة الشهيرة المعروفة بزيارة «عاشوراء» الخاصّة بالإمام الحسين عليه السلام التي جاء نصّها: «فلعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به» تعبّر بشكل واضح وصريح عن هذه النقطة المهمة، أي على ضرورة تحميل الأمة مسؤولية حرب الحسين عليه السلام ومناهضته وتكثير سواد خصومه.

هذا الخيط الرابط بين الطاغية وبين أعوانه، استطاع الإمام السجاد عليه السلام تشخيصه بدقة، وتأكيد الطرق عليه، أي إن موالاة الجائر تعتبر كبيرة من الكبائر لما تنطوي عليه من تمكين واضح له لدرس الحق وإحياء الباطل وإظهار الظلم والجور، وإبطال الكتب، وقتل الأنبياء والمؤمنين، وهدم المساجد وتبديل السنة وتغيير شرائع الله وتعاليم دينه.

فكانت الخطوة الثانية بعد أن ثبت الإمام مركزه في الأمة هي: تنبيه الأمة على أن أي تعامل مع الحكام وأية مساعدة لهم، حتى في أبسط الأمور وأدنى الأشياء يعتبر تقوية لحكومتهم، ومشاركة لهم في جناياتهم لأن تقديم أي خدمة لهم وإن كانت ضئيلة جداً يكون بقدره تمكيناً ومعاوضة لهم، فراح عليه السلام يؤكد على لعن (من لاق لهم دواة، أو قطّ لهم قلماً، أو خاط لهم ثوباً، أو ناولهم عصاً)، بل حرّم العمل معهم ومعونتهم والكسب عن طريقهم.

اعتمد الإمام السجاد عليه السلام هذه القاعدة الإسلامية، وجعلها ركيزة مهمة في مقاومة النظام الفاسد، وحاول تجريده من سلاح الوعّاظ المحيطين به، أو عصابات المتزلفين المتملقين الذين تمرر السلطة الظالمة مشاريعها من خلال ملقهم وتزلفهم وتلميعهم لإجراءات هذه السلطة لدى العوام والسذج والبسطاء.

وكان الإمام السجاد كثيراً ما يقول: «العامل بالظلم والمعين له، والراضي به شركاء ثلاثة»، وكان عليه السلام يحذّر الناس من التورّط في أعمال الظلمة، ولو بتكثير سوادهم والتواجد في مجالسهم ومصاحبتهم، لأن الظالم لا يريد من الصالح فعلاً الاستفادة من صلاحه أو الاقتداء به، وإنما يحاول توريطه في جرائمه وآثامه أو توظيفه لتحقيق مفسده ومشاريعه، فكان عليه السلام يقول: «ولا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم، إلاّ أوشك أن يقول فيه من الشرّ ما لا يعلم، ولا اصطحب اثنان على غير طاعة الله إلاّ أوشك أن يتفرّقا على غير طاعة الله».

ما أعظمها من رسالة حقوق، بعد أن يربطنا الإمام زين العابدين بالخالق ويبين لنا حقوقه وحقوق الأفعال المرتبطة بعبادته، ينتقل الإمام إلى حق آخر من الحقوق وهو حقوق الناس كحقوق الأئمة والرعية والرحم ... و...

وهذا ما سوف نتطرق له تباعا.

واللافت للنظر أن الإمام خصص في حقوق الأئمة، حقين من ثلاثة في «الحاكم» أو «الوالي» وذلك لأهمية هذا الأمر، وهو حق «سائسك بالسلطان» وحق «سائسك بالملك».

### حق سائسك بالسلطان

(فَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالسُّلْطَانِ فَإِنْ تَعَلَّمَ أَنَّكَ جُعِلْتَ لَهُ فِتْنَةً وَأَنَّهُ مُبْتَلَىٰ فِيكَ بِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ عَلَيْكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَأَنْ تُخْلِصَ لَهُ فِي النَّصِيحَةِ وَأَنْ لَا تُمَاحِكُهُ وَقَدْ بُسِطَ يَدُهُ عَلَيْكَ فَتَكُونَ سَبَبَ هَلَاكِ نَفْسِكَ وَهَلَاكِهِ. وَتَذَلُّ وَتَلَطَّفُ لِإِعْطَائِهِ مِنَ الرِّضَا مَا يَكْفِيهِ عَنْكَ وَلَا يَضُرُّ بَدِينِكَ وَتُسْتَعِينُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِاللَّهِ. وَلَا تُعَازِهُ وَلَا تُعَانِدُهُ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ عَقَبَتْهُ وَعَقَبَتْ نَفْسَكَ فَعَرَضَتْهَا لِمَكْرُوهِهِ وَعَرَضَتْهُ لِلْهَلَاكِ فِيكَ وَكُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَكُونَ مُعِينًا لَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ وَشَرِيكًا لَهُ فِيمَا أَتَىٰ إِلَيْكَ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

لكل إمام وحاكم ووالي وأمير حقوق على رعيته هذا إن كان ذلك الوالي والحاكم شرعيا من قبل الشعب مرضيا عند الله وعند رسوله متصفا بصفة

الصلاح والعدل لا متسلطا عليهم بقوة السلاح والجهل مبذرا لأموالهم ضاربا بعرض الحائط مصالح البلاد والعباد كما نرى اليوم من حكام الجور الذين يركضون وراء الفتن وتمزيق الأمة بل وتمزيق الوطن الواحد بالمشاريع الطائفية والتفرقة العنصرية وتصنيف المواطنين عرقيا واثنيا، تاركين مواطنيهم يئنون تحت الفقر المقذع، تاركين تنمية البلاد اقتصادياً وعلمياً واجتماعياً. إن هؤلاء لا يعينهم الإمام بكلمته تلك بل على الأمة خلعهم والبراءة منهم كما رأينا في قصص التاريخ الغابرة كفرعون ونمرود وطواغيت قريش، وليس بعيد عنا ما حدث لطواغيت العصر صدام وحسني مبارك، والقذافي، وزين العابدين، وعلي صالح، ومن سيلحقهم قريباً وما هي من الظالمين ببعيد، قد رمتهم شعوبهم في مزبلة التاريخ وإلى الأبد، ستجري سنن التاريخ والكون عليهم حينما تنهض وتقوم شعوبهم. والحمد لله قاصم الجبارين مبير الظالمين مدرك الهاربين نكال الظالمين، والحمد لله الذي يهلك ملوكاً ويستخلف آخرين.

إن الذين يعينهم الإمام علي ابن الحسين هم أولئك الذين يصفهم جده أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله الذي يبين فيه سبب طلبه للحكم ويصف الإمام الحق:

(اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا اِتِّمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْخُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرْدِ الْمَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعْطَلَّةُ مِنْ حُدُودِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالصَّلَاةِ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالِدَّمَاءِ وَالْمُغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا الْجَوَانِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، وَلَا الْمُزْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، وَلَا الْمُعْطَلُّ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ).

نعم لا بد للناس من سلطان ومن والي ومن حاكم لتكون بيده السلطة وكل الصلاحيات لرد معلم الدين ولإقامة الإصلاح ولكي يأمن المظلوم من العباد وتقام المعطلة من الحدود يدير الأمور ويدبر الشؤون وإلا لأختل النظام وعمت الفوضى وانتشر الفساد فلم يعد يأمن الناس على دماءهم ولا أعراضهم ولا أموالهم.

إن الحكم والحاكم المطلق هو الله سبحانه وتعالى فهو الذي يملك حياتنا ومماتنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ...﴾ وقد اختار مما خلق رسلا وأنبياء حملهم أمانة تبليغ الرسالة كما جعلهم حكاماً يقومون بتنفيذ ما حملهم، ثم أن النبي أي نبي ستجري عليه سنن الله سبحانه وسيموت ولا بد من خليفة بعده ذي مواصفات إلهية حددها الرسول لكي يحكم الناس بالعدل ويقوم بالمهمات التي ألقيت على عاتقه وقد بين أمير المؤمنين هذه الشروط حيث قال: (وقد علمتم انه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين :

١ - أن لا يكون بخيلاً، لماذا يا أمير المؤمنين ؟ لكي لا يكون مفرطاً في الحرص على الإنفاق في الإصلاح بل يكون نهماً له ولقرباته وبطانته.

٢ - أن لا يكون جاهلاً فيضلهم بجهله، يجب أن يكون اعلم الناس بالشرعية لأن وظيفته القيادية تختم عليه حفظها من جهة وبيانها من جهة أخرى. وبيانها لا يكون إلا على أيدي اعلم الناس فيها لأن ذلك اقرب إلى مراد الله وحكمه مضافاً إلى هناك أحكاماً مستجدة باستمرار ولا يعرف حكمها على حقيقتها إلا من قبل اعلم الناس وأشدّهم تفهماً لروح الشريعة ونصوصها وأقواهم على الوقوف على مطلقات الخطابات وخصوصيتها وعلى مجملها ومبينها وعلى سائر ما يتعلق بأصول الاستنباط ومبانيه ومن هنا قال الإمام علي عليه السلام: «ألا وإن أحق الناس بهذا الأمر - الخلافة - أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه».

٣ - أن لا يكون جافيا فيقطع الرعية بجفائه. ويالها من صورة معبرة يرسمها أمير المؤمنين للحاكم الجافي (فَيَا عَجَبًا! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخر بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا! فَصَيَّرَهَا فِي حُوزَةِ خَشْنَاءٍ، يَغْلُظُ كُلُّمَهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَالْإِعْذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشَقَّ لَهَا خَرَمٌ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمٌ، فَمُنِّيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشَسَاسٍ، وَتَلَوْنٍ وَاعْتِرَاضٍ).

٤ - أن لا يكون ظالما جاعلا عباد الله دولا. بل يجب أن يكون عادلا عارفا بالأصول والفروع عاملا بها مجانبًا للحرام، لأن الفاسق الحائف يفضل قوم على قوم في العطاء وتقسيم الأموال بلا موجب للتفضيل» والدول بضم الدال هي الأموال، قال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾. وما أجمل وصف أمير المؤمنين في هذا المجال (إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ، نَافِجًا حِضْنِيهِ بَيْنَ نَشِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّيِّعِ، إِلَى أَنْ انْتَكَتْ عَلَيْهِ فِتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بَطْنَتُهُ).

٥ - أن لا يكون مرتشيا في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع وهي الحدود التي عينها الله.

٦ - أن لا يكون معطلا للسنة فتهلك الأمة بل يجب أن يكون مؤمنا يعتقد بالشرعية الإسلامية أصولا وفروعا، عقائدا وأحكاما لأن الكافر يحمل الفكرة التي تناقض الإيمان وتحالفه وبهذا يكون خطرا يلحق بالدين والدولة.

ومن هنا وبعد أن عرفنا الشروط التي يجب أن تتوفر في الحاكم كي يصبح حاكما وقائدا شرعيا يقبله الإسلام نرفض كل القيادات المزيفة التي اختلست الحكم في جنح الظلام دون مؤهلات ولا كفاءات بل هذه القيادات في نظر الإسلام

غاصبة معتدية لا يجوز مساندتها ولا الدخول معها في ظلمها ومن هنا يجب على المجتمعات الإسلامية أن تهيب الأجواء لقيادات مؤهلة بكل الكفاءات المطلوبة لأن هذه القيادات المؤهلة هي التي تقلب مفاهيم الناس وثقافتهم وتحولهم إلى أن يكونوا أعضاء صالحين وتجلب لهم الإستقلال والعزة وكما يقول المثل «الناس على دين ملوكهم».

هذه القيادات المؤهلة هي التي يرشدنا الإمام زين العابدين في رسالته إلى كيفية التعامل معها وما هو واجبنا نحوها إذ أن الحاكم يتمتع بصلاحيات فصل الخصومة وقطع المنازعات وإعلان الحرب وعقد الصلح والمهادنة وبيده أزمة الأمور كلها، إليه تنتهي وعنه تصدر وقد يخطئ في مورد أو يتعثر في قضية فعلى الرعية إرشاده بأيسر الطرق وأسهلها بحيث تخرج عن تبعة ما يلحقها من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عليك أن لا تعترض سبيله إلى مستوى اللغظ والثورة والفوضى لأن ذلك يؤدي إلى أن ينال منك وبذلك تعرضه للعقوبة فيك وتعرض نفسك لنقمته، فلا يجوز الوقوف في وجهه ولا رفض أمره ولا مخالفته في رأيه لأن ذلك يسلبه صلاحية التنفيذ وتسقط هيئته من النفوس ويتمرد عليه كل من يخالفه في هواه ومعتقده وتوجهه فيجب أن تقدم له النصيحة وعليك إذا رأيت خطأ أن تصلحه فتحاول أن تدله عليه وتوقفه على وجهه السليم وغير ذلك.

أما إذا كان خلاف ذلك فوجب فيه قول رسول الله ووجب فيه الجهاد والتضحية بالدماء، قال الإمام الحسين عليه السلام: «أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قال من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول

كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله» يعني بني أمية.







## حق سائسك بالعلم أو حق المعلم

### رحلة حقوقية

ينمى إلى ذروة الدين التي قصرت  
عنها الأكف وعن إدراكها القدم

حينما كان الإمام زين العابدين عليه السلام في مسجد الجامع بدمشق إبان السبي،  
سمع خطيب المسجد يسب عليا والحسن والحسين، التفت إليه قائلا: «ويحك أيها  
الخاطب اشتريت رضى المخلوق بسخط الخالق فتبوا مقعدك من النار».

مثل هؤلاء العلماء وعاظ السلاطين لا طاعة ولا احترام لهم، ثم ان الإمام  
زين العابدين عليه السلام صعد المنبر بعد اذن الطاغية يزيد بن معاوية وكان الأخير كارها  
لذلك، ولم يستجب لرغبة الحضور بالسماح له بارتقاء المنبر حتى قالوا له: وما قدر ما  
يحسن هذا، فقال لهم: إنه من أهل بيت زقوا العلم زقا لأن صعد المنبر لن ينزل إلا  
بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان»، لكنه بعد ذلك استجاب لهم وطلب من الإمام  
الاختصار فقال عليه السلام: «أيها الناس اعطينا ستا وفضلنا بسبع، أعطينا: العلم، والحلم،  
والفصاحة، والبلاغة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منّا النبي

المختار، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا اسد الله واسد رسوله، ومنا سيدة النساء، ومنا سبطا هذه الأمة، ومنا مهديها.

فالإمام بدأ خطابه بأن الله سبحانه قد اعطاهم العلم، وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب»، وما يجري لعلي يجري للحسن والحسين وهكذا بقية المعصومين من العترة الطاهرة إلى آخرهم وقائمهم ويقول فيهم «هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنْطِقِهِمْ. لَا يُجَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ. هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ، وَوَلَا تُجْ الْإِعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ فِي نَصَابِهِ، وَأَنْزَاخَ الْبَاطِلِ عَنْ مُقَامِهِ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنَبَتِهِ. عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرِعَاتُهُ قَلِيلٌ».

هؤلاء هم العلماء ومن استن بسنتهم وسار بسيرتهم من علماء المسلمين التي يجب طاعتهم واحترامهم والسماع لهم.

هذا الذي علمه رسول الله عليه السلام ألف باب من العلم «يقول من علمني حرفا صرت له عبدا، ويقول أنا عبد من عبيد محمد عليه السلام»، والعبودية هنا بمعنى الطاعة والإنقياد والسمع، لا بمعنى العبادة من دون الله.

وقال زين العابدين في نشر العلم:

إنني لا اكتم من علمي جواهره  
وقد تقدم في هذا ابو حسن  
فرب جوهر علم لو أبوح به  
ولأستحل رجال صالحون دمي  
كي لا يرى العلم ذو جهل فيفتنا  
الى الحسين وأوصى قبله الحسن  
لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا  
يرون اقبح ما يأتونه حسنا

وقال الشيخ المفيد رضوان الله عليه مشيدا بعلوم زين العابدين عليه السلام وقد روى عنه الفقهاء من العلوم ما لا تحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية، وفضائل القرآن، والحلال والحرام، والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء.

ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «أنا وأنت يا علي ابوا هذه الأمة» وقال تعالى في حق رسوله: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ هم معلموها ومربوها، فحق على كل متعلم أن يحترم ويسمع لمعلمه إن كان ناطقا بالحق. لا زلنا احبتي في حقوق الأئمة والحق الثاني منها وهو «حق السائس بالعلم».

### حق سائسك بالعلم أو حق المعلم

وَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ فَالتَّعْظِيمُ لَهُ  
وَالْتَوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ وَحُسْنُ الْأَسْتِمَاعِ إِلَيْهِ  
وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَالْمُعُونَةُ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا لَا  
غَنَى بكَ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ بِأَنْ تُفَرِّغَ لَهُ عَقْلَكَ  
وَتُخَضِرَهُ فَهَمَّكَ وَتُزَكِّيَ لَهُ قَلْبَكَ وَتُجَلِّيَ لَهُ  
بَصَرَكَ بِتَرْكِ اللَّذَاتِ وَنَقْصِ الشَّهَوَاتِ، وَأَنْ  
تَعْلَمَ أَنَّكَ فِيمَا أَلْقَى إِلَيْكَ رَسُولُهُ إِلَى مَنْ  
لَقِيكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ فَلَزِمَكَ حُسْنُ التَّأْدِيَةِ  
عَنْهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا تُخَنِّهُ فِي تَأْدِيَةِ رِسَالَتِهِ وَالْقِيَامِ  
بَهَا عَنْهُ إِذَا تَقَلَّدَتْهَا وَأَنْ لَا تَرْفَعَ عَلَيْهِ صَوْتَكَ،  
وَلَا تَجِيبَ أَحَدًا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى يَكُونَ  
هُوَ الَّذِي يَجِيبُ، وَلَا تَحْدِثْ فِي مَجْلِسِهِ أَحَدًا،  
وَلَا تَغْتَابَ عَنْده أَحَدًا، وَأَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ إِذَا  
ذَكَرَ عِنْدَكَ بِسَوْءٍ، وَأَنْ تَسْتَرِ عَيْبِيهِ وَتُظْهِرَ  
مَنَاقِبَهُ، وَلَا تَجَالِسَ لَهُ عَدُوًّا وَلَا تَعَادِي لَهُ  
وَلِيًّا، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ شَهِدَ لَكَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ  
بَأَنَّكَ قَصَدْتَهُ، وَتَعَلَّمْتَ عِلْمَهُ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ  
لَا لِلنَّاسِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وردت كلمة «علم» ومشتقاتها في القرآن الكريم «٤٨٦» مرة، ولعلها من أكثر الألفاظ تكرارا بعد لفظ الجلالة. ولا يعلم كتاب كالقرآن الكريم اهتم بالعلم وطلبه وأهله واحترامهم وتكريمهم فقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ﴾.

إن لقب المعلم كبير، ولقد كان الأولون لا يطلقون لقب المعلم ألا على من أحرز اثنين وستين علما وفنا (كأفلاطون وسقراط والفارابي وابن سينا) وبعضهم يجب اللقب عن أفلاطون وابن سينا لعدم توفره فيهما.

المعلم أكرم به رجلا عظيما فك عقال الجهل بالعلم وفجر عبقریات الرجال بما أعطى وقدم، انه إنسان ذو رسالة تمتاز بالعطاء والبذل انه شمعة انارت الدرب للسالكين، ذابت من اجل وصولهم إلى الحقيقة وشاطئ السلامة، إنسان ارتفع عن الأنانيات وحب الذات ليعيش من اجل الآخرين، من اجل أن يفتح قلوبهم ويحل عماهم ويرفع مستواهم، إنسان في كل حرف من ابجدياته نداء بالحب وصرخة بالتقدم وثورة للتحرير والإنقاذ، عاش مع الأطفال البراءة والطهر يغدق عليهم من حبه وحنانه ويزرع في نفوسهم الألفة والكبرياء وعاش مع الشباب في تطلعاتهم وآمالهم يدفعهم نحو الأعجاز العظيمة والفتوحات الكبيرة في كل مجالات العلم والأدب والأخلاق والمدنيات والحضارات، عاش في المدرسة معلما ناجحا تمتع بسلامة الرؤية وحسن النية والعمل المخلص والجهد المثمر<sup>(١)</sup>.

المعلم مع تلامذته أب رحيم وأم حنون يدخل إلى نفوسهم فيطهرها من الرذائل والنقائص ويكملها بالفضائل والمحاسن، يترك تلامذته في أوقات عطلاتهم ولكنه يبقى يفكر فيهم وفيما يصلحهم، انه إنسان فوق الناس يستحق الاحترام والتقدير من كل الناس وخصوصا ممن أحسن إليهم وأكرمهم وعلمهم وهذب نفوسهم.

قال أمير الشعراء «شوقي»:

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا

(١) رسالة الحقوق «عباس الموسوي» - حق المعلم.

أعلمت اشرف أو اجل من الذي  
 سبحانك اللهم خير معلم  
 أخرجت هذا العقل من ظلماته  
 وطبعته بيد المعلم تارة  
 ارسلت بالتوراة موسى مرشدا  
 وفجرت ينبوع البيان محمدا  
 واذا المعلم لم يكن عدلا مشى  
 وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة  
 واذا أتى الإرشاد من سبب الهوى  
 واذا أصيب القوم في أخلاقهم  
 يبني وينشئ أنفسا وعقولا  
 علمت بالقلم القرون الأولى  
 وهديته النور المبين سبيلا  
 صدئ الحديد وتارة مصقولا  
 وابن البتول فعلم الإنجيلا  
 فسقى الحديث وناول التنزيلا  
 روح العدالة في الشباب ضيلا  
 جاءت على يده البصائر حولا  
 ومن الغرور فسمه التضليلا  
 فأقم عليهم مأتما وعويلا

ويقول السيد محمد جمال الهاشمي :

أيها الأستاذ في مدرجك النشئ تسلق  
 فحنانا كم فؤاد.... حول توجيهك قد رق  
 قد نثرت البذر في التربة فأمتد وأرق  
 قائد يزحف من آرائه في ألف فيلق  
 خالق الأمة والأمة من روحك تخلق  
 بإسمك المحبوب من روحك بالشعر تأنق

أجل المعلم أب روعي يعطينا غذاءا روحيا فكريا ثمينا، فيجب تعظيمه وتوقيره واحترامه والتعاون معه في سبيل التعلم، لأن التعلم والتعليم عملية تعاون بين المعلم والمتعلم فيجب على المتعلم أن يحسن الإصغاء والإستماع والإقبال على المعلم بكل نفسه، ففي ذلك تعظيم وتوقير وإجلال لمقام المعلم وشأنه.

ويضيف الإمام السجاد عليه السلام إلى ذلك كله أن نؤدي عن المعلم فنحسن الأداء، ولا ننقص ولا نزيد على ما قال «ولا تَحْنُهُ فِي تَأْدِيَةِ رِسَالَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهَا عَنْهُ إِذَا تَقَلَّدَتْهُ».

وزيد عليه السلام بالتعظيم والتوقير أن تكون عند معلمك كما تكون بين يدي أبويك. يجب عليك أن لا ترفع فوق صوته وأن تدفع عنه كل ما يمسسه بسوء في حال حضوره وغيبته، وأن تظهر ما تعرف له من فضل، وتنشر بين الناس ما لمست منه من معروف، وأن تخفي عن الناس ما اطلعت على بعض مكنوناته مما لا يحسن أن يطلع عليها أحد»، وبديهي أن للمعلم شأنًا عظيمًا، ومقامًا محمودًا في المجتمع الذي يقدر مهمة التعليم حق رعايتها.

وسئل الإسكندر: ما بالك توقر معلمك أكثر من والدك؟ فقال: «لأن المعلم سبب لحياي الباقية ووالدي سبب لحياي الفانية».

وما كان سقراط إلا معلمًا علم تلاميذه المبادئ الطيبة حتى عزموا على أن يضحوا بحياتهم من أجل تخليصه من حكم الإعدام الصادرة بحقه، لكنه أبى ومات في سبيل الواجب ورعاية القانون، فعلم الناس بموته حب الموت من أجل المحافظة على النظام. وكذلك «أرسطو» و«أفلاطون» و«فيتاغورس» و«ارخميدس» و«أقليدس» وغيرهم من الحكماء الذين كانوا معلمين، هذبوا اليونان القديم وكونوا له مدنية هي أساس حضارات الأمم التي لا تزال نشاهد آثارها وعظمتها إلى اليوم.

المعلم في نظر الإسلام له حقوق كثيرة وخصوصا على طلابه وتلاميذه.

كيف يجب أن يكون التلميذ أمام أستاذه في مدرسته؟ وفي خارجه؟ في حضوره وفي غيابه؟ كيف يخاطبه؟ كيف يستفهم منه؟ كيف يعامله؟

إن المعلم قدوة وصاحب فضل يجب توقيره وتعظيمه كما يقول الإمام زين العابدين في رسالته وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال ولا تأخذ بثوبه وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم وخصه بالتحية دونهم واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه ولا تغمز بعينك ولا تشر بيدك ولا تكثر من القول: قال فلان وقال فلان خلافا لقوله ولا تضجر بطول صحبته.

وقد ذكر عدد من العلماء جملة من الآداب المختصة بالمتعلم مع أستاذه ومعلمه، ومنهم الشيخ الشهيد الثاني في كتابه «منية المريد في آداب المفيد والمستفيد» وقد ذكر

- أربعين أمرا من آداب المتعلم ونحن هنا نذكر بعضها بإختصار .
- وهو أهمها: أن يقدم النظر فيمن يأخذ عنه العلم ويكتسب حسن الأخلاق والآداب، فليختر من كملت أهليته وظهرت ديانتته وتحققت معرفته وعرفت عفته واشتهرت صيانتته وسيادته وظهرت مروئته .
- أن يعتقد في شيخه أستاذة انه الأب الحقيقي والوالد الروحاني وهو أعظم من الوالد الجسماني فيبالغ بعد الأب في حقه .
- أن ينظر بعين الإحترام والإجلال والإكرام ويضرب صفحا عن عيوبه فان ذلك اقرب إلى انتفاعه به ورسوخ ما يسمعه منه في ذهنه .
- أن يتواضع له زيادة على ما أمر به من التواضع للعلماء وأن التشمير في خدمته شرف وقد قال النبي ﷺ من علم أحدا مسألة ملك رقه قيل: أبيععه ويشتريه ؟ قال : يأمره وينهاه .
- أن يجلس بين يديه جلسة الأدب بسكون وخضوع واطراق رأس وتواضع وخشوع .
- أن يصغي إلى الشيخ «المعلم» ناظرا إليه ويقبل بكليته عليه متعقلا لقوله بحيث لا يحوجه إلى إعادة الكلام وهذا ما أشار إليه الإمام زين العابدين بقوله «وحسن الإستماع إليه والإقبال عليه» .
- انه لا ينبغي «للطالب» أن يكرر سؤال ما يعلمه ولا استفهام ما يفهمه، كما ذكر الشيخ النراقي في كتابه جامع السعادات الجزء الأول في باب آداب التعلم والتعليم ثمانية أمور من الآداب ومنها:
- أن يعمل «الطالب» بما يفهم ويعلم فإن من عمل بما يعلم ورثه الله ما لم يعلم . قال الصادق عليه السلام «العلم مقرون إلى العمل، من علم عمل ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه» وعن السجاد عليه السلام: «مكتوب في الأنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعملون ولما تعلموا بما عملتم، فإن العلم اذا لم يعمل به لم يزد صاحبه الا كفرا ولم يزدده من الله الا بعدا» .

- أن يحافظ شرائط الخضوع والأدب للمعلم، ولا يرد عليه شيئاً بالمواجهة، ويكون محباً له بقلبه، ولا ينسى حقوقه، لأنه والده المعنوي الروحاني، وهو أعظم الآباء الثلاثة. قال الإمام الصادق عليه السلام: «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم».

وقال الغزالي: «اعلم أن للإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال، إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسباً، وحال ادخار فيكون غنياً عن السؤال، وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعاً، وحال بذل لغيره فيكون سخياً متفضلاً، وهي أشرف أحواله. فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال: فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال، وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال.

فمن علم وعمل وعلم فهو يدعى عظيماً، فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها، وكالمسك يطيب غيره وهو طيب.

والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتري يفيد غيره وهو خال عن التعلم وذباله المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كما قيل:

**ما هو إلا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق**

إن علماءنا تمتعوا بأخلاق وآداب هي في قمة الكمال كطلاب متعلمين وكأساتذة معلمين، إنها تعاليم الإسلام العظيم الذي يدخل إلى القلب والروح فيقلب الموازين ويصوغ الرجال صياغة ربانية تتجسد في كل حركة وخطرة قلب وفي كل هاجس وضمير ورفعة عين يرسمها لنا ويبينها لنا سيدنا زين العابدين في تعاليمه تلك راجين من كل متعلم ومعلم الأخذ بها وتطبيقها، نسأل المولى أن يمن علينا بمراجعة تراثنا وآدابنا وأخلاقنا وتعاليمنا حتى نجسدها من جديد ونطبق مداليلها كما هي وبالله التوفيق.





## حق المالك

### رحلة حقوقية

ما ذا تقولون ان قال النبي لكم  
ما ذا صنعتم وانتم آخر الأمم  
بعترتي وبأهل بيتي بعد منقلي  
منهم اسارى ومنهم ضرجوا بدم  
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم  
خلفتموني بسوء في ذوي رحمي

كان الرقّ نظاماً متبعاً قبل الإسلام وجاء الإسلام لعلاجِه واجتثائه ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ \* فَكُ رَقَبَةً ﴿﴾، كما أنه كان نتيجة طبيعية للفتوحات الإسلامية ووقوع الآلاف من أبناء البلدان المفتوحة أسرى بأيدي المسلمين، الأمر الذي لابد منه لمساومة حكام البلدان الأخرى على تحرير أسرى المسلمين... فضلاً عن كونه حالة طبيعية في الوسط الاجتماعي آنذاك.

ولما كان هؤلاء العبيد يشكّلون شريحة إجتماعية مهمة يُنظر إليها نظرة إزدراء ودونية طبعاً، وكان معظمهم لا يستطيع التمرد على سيده بحكم النظام الإجتماعي القائم، ولا يجد بداً من العمل معه أوله مقابل لقيات يسدُّ بها رمقه، أو أمانٍ يحفظ له حياته، من خلال إلتئائه لهذا البيت أو هذا الرجل، كان على الإمام زين العابدين أن

يتعامل مع الظاهرة من موقع المسؤولية، إذ عليه أولاً أن يعاملهم كبشر لا يختلفون عن غيرهم في طموحاتهم وتطلعاتهم وآمالهم، وأيضاً في تطلعاته هو ﷺ لكسب ودّهم وتربيتهم وزرع القيم الرسالية في نفوسهم.

وحين كان الواحد من هؤلاء يُخاطب بكلمة «يا عبدي ويا أمتي» كان ﷺ يخاطبهم «يا فتاي ويا فتاتي»؛ إذ كان يرى فيهم رصيذاً اجتماعياً مؤثراً لنشر الإسلام وقيمه وتعاليمه.

### لا زلنا في حقوق الأئمة وحق السائس بالملك

#### حق سائسك بالملك

وَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْمَلِكِ فَنَحْوُ مَنْ سَائِسِكَ  
بِالسُّلْطَانِ إِلَّا أَنَّ هَذَا يَمْلِكُ مَا لَا يَمْلِكُهُ  
ذَاكَ، تَلْزِمُكَ طَاعَتُهُ فِيمَا دَقَّ وَجَلَّ مِنْكَ إِلَّا  
أَنْ تُخْرِجَكَ مِنْ وُجُوبِ حَقِّ اللَّهِ، وَيَحُولُ  
بَيْنَكَ وَبَيْنَ حَقِّهِ وَحُقُوقِ الْخَلْقِ، فَإِذَا قَضَيْتُهُ  
رَجَعْتَ إِلَى حَقِّهِ فَتَشَاغَلْتَ بِهِ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا  
بِاللَّهِ.

لقد نظر الإمام العظيم إلى المملوك نظرة مستمدة من جوهر الإسلام وواقعه، فالمملوك كالحرق قد صنعه الله، وخلق له السمع والبصر، وأجرى له الرزق، كما صنع ذلك للحر، وليس للمالك أن يتجبر أو يتكبر عليه، وليس له أن يرهقه، أو يحمله فوق طاقته، وإنما عليه أن يعامله بالحسنى، فيطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، وينظر إليه كما ينظر إلى أفراد عائلته، وبهذا فقد حفظ الإسلام للرق مكانته، ونفى عنه كل منقصة أو حزاة.

ماهي سياسة الإسلام ورجال الإسلام وممثليه تجاه ظاهرة الرق والاستعباد،

هذا ما سنحاول أن نسلط الضوء عليه من خلال الأمثلة والتطبيقات الحية لا كما يتشدد به الغرب حاضراً ومن يؤيدونه في ذلك.

### سير الاستعباد في التاريخ:

سنة الرق والاستعباد ربما كانت مجهولة من حيث تاريخ شيوعها في المجتمع الإنساني لكن أكثر الرقيق كانوا مأخوذين في أول الأمر بالقتال والتغلب ثم يلحق به الأولاد والنساء، ولذلك نعثر في تاريخ الأمم القوية الحربية من القصص والحكايات وكذا القوانين والأحكام المربوطة بالاسترقاق بالسبي على ما لا يوجد في غيرهم.

وقد كان دائراً بين الأمم المتمدنة القديمة كالهند واليونان والرومان وإيران، وبين المليين كاليهود والنصارى على ما يستفاد من التوراة والإنجيل حتى ظهور الإسلام فأنفذ أصله مع تضيق في دائرته وإصلاح لأحكامه المقررة، ثم آل الأمر إلى أن قرر مؤتمر بروسل إلغاء الاستعباد سنة ١٨٩٠ م.

قال «فردينان توتل» في معجمه لأعلام الشرق والغرب:

كان الرق شائعاً عند الأقدمين، وكان الرقيق يؤخذ من أسرى وسبايا الحرب ومن الشعوب المغلوبة، كان للرق نظام معروف عند اليهود واليونان والرومان والعرب في الجاهلية والإسلام.

وقد ألغي نظام الرق تدريجاً: في الهند (١٨٤٣ م) وفي المستعمرات الفرنسية (١٨٤٨ م) وفي الولايات المتحدة بعد حرب الانفصال (١٨٧٥ م) وفي البرازيل (١٨٨٨ م) إلى أن اتخذ مؤتمر بروسل قراراً بإلغاء الاستعباد (١٨٩٠) غير أنه لا يزال موجوداً فعلاً بين بعض القبائل في أفريقيا وآسيا.

ومبدأ إلغاء الرق هو تساوي البشر بالحقوق والواجبات.

وسنقسم بحثنا هذا في ثلاثة فصول الأول في أسباب حصول الرق والاستعباد،

ثانياً سياسة معاملة الأرقاء، وأخيراً سياسة سبل إعتاقهم، ولن نتطرق في بحثنا عن المقارنة بين معاملة الأرقاء بين مختلف الأمم حتى لا نطيل الحديث.

### أولاً: أسباب الرق:

قسم الإسلام الاستعباد بحسب أسبابه، إلى ثلاثة: الحرب، والتغلب والولاية كالأبوة ونحوها فألغى سببين من الثلاثة من أصله وهما التغلب والولاية. فاعتبر احترام الناس شرعاً سواء من ملك ورعية وحاكم ومحكوم وأمير وجندي ومخدوم وخادم بإلغاء الامتيازات والاختصاصات الحيوية، والتسوية بين الأفراد في حرمة نفوسهم وأعراضهم وأموالهم، والاعتناء بشعورهم وإرادتهم - وهو الاختيار التام في حدود الحقوق المحترمة - وأعمالهم وما اكتسبوا وهو تسلطهم على أموالهم ومنافع وجودهم من الأفعال فليس لوالي الأمر في الإسلام إلا الولاية على الناس في إجراء الحدود والأحكام وفي أطراف المصالح العامة العائدة على المجتمع الديني، وأما ما تشتهيه نفسه وما يستحبه لحياته الفردية فهو كأحد الناس لا يختص من بينهم بخصيصة، ولا ينفذ أمره في الكثير مما يهواه لنفسه ولا في القليل، يرتفع بذلك الاسترقاق التغلبي بارتفاع موضوعه.

وعُدل ولاية الآباء لأبنائهم فلهم حق الحضانة والحفظ وعليهم حق التربية والتعليم وحفظ أموالهم ما داموا محجورين بالصغر فإذا بلغوا بالرشد فهم وآباؤهم سواء في الحقوق الاجتماعية الدينية، وهم أحرار في حياتهم، لهم الخيرة فيما رضوا لأنفسهم نعم أكدت التوصية لأبائهم عليهم بإحسان ومراعاة حرمة التربية.<sup>(١)</sup>

وأما النساء فقد وضع لهن من المكانة في المجتمع واعتبر لهن من الزنة الاجتماعية ما لا يجوز عند العقل السليم التخطي عنه ولو بخطوة، فصرن بذلك أحد شقي المجتمع الإنساني وقد كن في الدنيا محرومات من ذلك، وأُعطين الحرية والاختيار في الزواج وتملك المال وقد كن محرومات أو غير مستقلات في ذلك.

(١) المصدر تفسير الميزان ج ٦.

وشاركن الرجال في أمور واختصصن عنهم بأمور أخرى واختص الرجال بأمور كأمر النفقة وحضور معارك القتال ونحو ذلك، كل ذلك عن مراعاة تامة لقوام وجودهن وتركيب بنانهن.

وقد ورد ذلك كله تفصيلاً في أواخر سورة البقرة وفي أوائل سورة النساء وتبين أن النساء مختصات في الإسلام بمزيد من الرفق من قبل الرجال بما لا يوجد نحوه في سائر السنن الاجتماعية قديمها وحديثها.

وقد أبقى الإسلام السبب الثالث من الأسباب الثلاثة للاستعباد أعني الحرب، وهو أن يسبي الكافر المحارب لله ورسوله والمؤمنين، وأما اقتتال المؤمنين بعضهم مع بعض فلا سبي فيه ولا استعباد بل يقاتل الباغي من الطائفتين حتى ينقاد لأمر الله قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات: ٩ - ١٠. وذلك أن العدو المحارب الذي لا هم له إلا أن يفني الإنسانية ويهلك الحرث والنسل لا ترتاب الفطرة الإنسانية أدنى ريب في أنه يجب أن لا يعد جزء من المجتمع الإنساني الذي له التمتع بمزايا الحياة والتنعيم بحقوق الاجتماع، وأنه يجب دفعه بالإفناء فما دونه، وعلى ذلك جرت سنة بني آدم منذ عمروا في الأرض إلى يومنا هذا وعلى ذلك ستجري.

والإسلام لما وضع بنية المجتمع الدينية على أساس التوحيد وحكومة الدين الإسلامي ألغى جزئية كل مستنكف عن التوحيد وحكومة الدين من المجتمع الإنساني إلا مع ذمة أو عهد فكان الخارج عن الدين وحكومته وعهده خارجاً عن المجتمع الإنساني لا يعامل معه إلا معاملة غير الإنسان، وللإنسان - في هذه الحالة - أن يجرمه عن أي نعمة يتمتع بها الإنسان في حياته، ويدفعه بتطهير الأرض من

رجس استكباره وإفساده فهو مسلوب الحرمة عن نفسه وعمله ونتائج أي مسعى من مساعيه، فللجيش الإسلامي أن يتخذ أسرى ويستعبد عند الغلبة.

### ما هو السبيل إلى الاستعباد في الإسلام ؟

يتأهب المسلمون على من يلونهم من الكفار فيتمون عليهم الحجة ويدعونهم إلى كلمة الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن فإن أجابوا فأخوان في الدين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وإن أبوا إلا الرد فإن كانوا أهل كتاب وقبلوا الجزية تركوا وهم على ذمتهم، وإن أخذوا عهداً كانوا كأهل كتاب وفي بعهدهم، وإن لم يكن شيء من ذلك أؤذنوا على سواء وقوتلوا.

يقتل منهم من شهر سيفاً ودخل المعركة، ولا يقتل منهم من ألقى السلام، ولا يقتل منهم المستضعفون من الرجال والنساء والولدان، ولا يبيتون ولا يغتالون، ولا يقطع عنهم الماء، ولا يعذبون ولا يمثل بهم فيقاتلون حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين.

فإذا غلبوهم ووضعت الحرب أوزارها فما تسلط عليه المسلمون من نفوسهم وأموالهم فهو لهم، وقد اشتمل تاريخ حروب رسول الله ﷺ ومغازيه على صحائف غرملوءة من السيرة العادلة الجميلة، فيها لطائف الفتوة والمروءة، وطرائف البر والإحسان.

### ثانياً: سياسة معاملة الأرقاء:

ما هي سيرة الإسلام في العبيد والإماء؟ إذا استقرت العبودية على من استقرت عليه صار ملك يمين، منافع عمله لغيره ونفقته على مولاه، وقد وصى الإسلام أن يعامل المولى مع عبده معاملة الواحد من أهله وهو منهم فيساويهم في لوازم الحياة وحوائجها، وقد كان رسول الله ﷺ يؤاكل عبيده وخدمه ويجالسهم، ولا يؤثر نفسه عليهم في مأكّل ولا ملبس ونحوهما. وأن لا يشق عليهم ولا يعذبوا ولا يسبوا ولا يظلموا، وأجيز أن يتزوجوا فيما بينهم بإذن أهلهم، وأن يتزوج بهم الأحرار، وأن

يشاركوهم في الشهادات، ويساهموهم في الأعمال حال الرق وبعد الإنعتاق.

وقد بلغ من رفق الإسلام في حقهم أن شاركوا الأحرار في عامة الأمور، وقد قلّد جمعا منهم الولاية والإمارة وقيادة الجيش على ما يضبطه تاريخ صدر الإسلام، ويوجد بين الصحابة الكبار عدة من الموالي كسلمان وبلال وغيرهما. وهذا رسول الله «اعتق جاريته صفية بنت حيي بن أخطب وتزوج بها، وتزوج جويرية بنت الحارث بعد وقعة بني المصطلق وقد كانت بين سباياهم، وصار ذلك سبباً لانعتاق الجميع.

ومن الضروري من سيرة الإسلام أنه يقدم العبد المتقى على المولى الحر الفاسق، وأنه يبيح للعبد أن يملك المال ويتمتع بكافة مزايا الحياة بإذن من أهله، هذا إجمال من صنيع الإسلام فيهم.

ثم أكد الوصية وندب أجمل النذب إلى تحرير رقبتهم، وإخراجهم من ظرف الاستعباد إلى جو الحرية ولا يزال يقل بذلك عددهم ويتبدل جمعهم موالي وأحراراً لوجه الله، ولم يقنع بذلك دون أن جعل تحرير الرقبة أحد خصال الكفارات مثل كفارة القتل وكفارة الإفطار، وكفارة الظهار وما شابه ذلك، وأجاز لهم الاشتراط والكتابة والتدبير، كل ذلك عناية بهم وقصداً إلى تخليصهم وإحراقهم بالمجتمع الإنساني الصالح إلحاقاً تاماً يقطع دابر الاستذلال.

بناء على ما سبق كان رأي الإمام زين العابدين أن يتعامل مع الضاهرة وفق الأسس التالية:

١- التأكيد على قيم الإسلام في نظره إلى البشر بأنهم جميعاً لآدم وآدم من تراب، «يا أيُّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» وأن: «الناس سواسية كأسنان المشط» وأنه «لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى» و«لا فضل لابن البياض على ابن السوداء إلا بالحق» وأن «الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»، وبالتالي فإنّ على الإمام ﷺ تجسيد هذه المثل النبيلة

في التعامل مع أولئك العبيد ورعايتهم وتربيتهم وأخيراً تحريرهم، أي عتقهم، وبثّهم في ربوع العالم الإسلامي لأداء الأمانة وتبليغ الرسالة.

٢- تربية المسلمين وحثّهم على إنهاء هذه الظاهرة غير الممدوحة عبر تشجيعهم على شراء العبيد وعتقهم، وكل ذلك بعد تأكيده على عدم التعالي عليهم ومعاملتهم معاملة إنسانية، أي بآدمية ورفق كما هو شأن القيم الإسلامية في النظر إلى الضعيف أو المستضعف ممّن لا مال لديه ولا أهل ولا عشيرة.

٣- السعي إلى زجّ هؤلاء العبيد في المجتمع من خلال تبنّيهم ورعاية شؤونهم واحتضانهم واجتثاث عقدة النقص من نفوسهم، وكذلك اجتثاث جذور الفوقية والعرقية من نفوس أسيادهم بغية استئثار المؤهلين منهم في الوسط الاجتماعي كقادة ومربين ومبلّغين، فضلاً عن هدف الإمام العظيم لمواجهة الحالة العنصرية التي أوجدتها السياسة الأموية في التفريق بين العرب والموالي أو تفضيل العرب على غيرهم، باعتبارهم (مادة الإسلام) كما زعموا، أو زعم بعضهم.

وهكذا فقد أوجد الإمام السجاد عليه السلام تشكيلاً أو وجوداً اجتماعياً مؤثراً، كان يحترم الإمام ويكنّ له كل ألوان التقدير والإعزاز والحبّ، وخاصة حين تأتي تفاصيل تلك المعاملة الأخوية من السموّ والمثالية ما بقي يُذكر على امتداد الدهور والأزمان.

### ثالثاً: وأخيراً سبل تحرير الأرقاء:

تحصل مما مرّ أمور ثلاث:

الأول: أن الإسلام لم يأل جهداً في إلغاء أسباب الاستعباد وتقليلها وتضعيفها مع أنه أكد جواز استعباد كل إنسان محارب للدين مضاد للمجتمع الإنساني غير خاضع للحق بوجه من وجوه الخضوع.

الثاني: استعمل جميع الوسائل الممكنة في إكرام - العبيد والإماء - وتقريب شؤونهم الحياتية حتى صاروا جزء من المجتمع وصار لا فرق بين الحر والعبد في الإسلام إلا إذن المولى في العبد.



الثالث: عمل بكل الوسائل على إلحاق صنف المماليك إلى مجتمع الأحرار بالترغيب و التحريض في موارد، وبالفرض والإيجاب في أخرى كالكفارات مثل كفارة الإفطار وقتل الخطأ وكفارة الظهار وكفارة نذر العتق وكفارة غفران حنث الحلف بالله وغيرها.

وربما يتساءل بعض الناس، لماذا لم يكن المسلمون هم البادئون بإلغاء الرق؟ بأنه اذ كان هذا هو موقف الإسلام من الرق بإعلان إبطال الرق وإلغائه في العالم؟

أن هذه الجهود المبذولة من المسلمين طوال ثلاث عشرة قرناً وجل القرن الحالي في تحرير العبيد والإماء والمحاولة الجدية للقضاء على الرق بالفعل لا بالقول، لم يكن للمسلمين حاجة إلى إعلان هذا القرار، ولا سيما والشناعة التي كانت تلازم الاسترقاق في العالم القديم وبلاد أوروبا وأمريكا في العهود الأخيرة، بما يصحبه من سوء المعاملة والقوانين الجائرة وعد الرقيق آلات مسخرة لأسيادهم لم يكن لها وجود في عالم الإسلام بتاتاً. وليس أدل على ذلك من شهادة الأجانب انفسهم فقد قال (جوستاف لوبون) في كتابه حضارة العرب: (أن الرق عند المسلمين غيره عند النصارى فيما مضى، وأن حال الأرقاء في الشرق أفضل من حال الخدم في أوروبا، فالأرقاء في الشرق يؤلفون جزءاً من الأسرة، ويستطيعون الزواج ببنات ساداتهم أحياناً، ويقدر أن يتسلموا أعلى الرتب. وفي الشرق لا يرون في الرقيق عاراً، والرقيق فيه أكثر صلة بسيده من صلة الأجير في بلادنا).

ثم نقل عن بعض الكتاب الأوروبيين فقرة تبين ما قاله من كون الرق لا يعد في الشرق عاراً جاء فيها ما يلي: (ولا يكاد المسلمون ينظرون إلى الرق بعين الاحتقار، فأُمّهات سلاطين آل عثمان. وهم زعماء الإسلام المحترمون. من الإماء فلا يرون في ذلك ما يحط قدرهم). ونقل عن كاتب آخر: إن الأرقاء في المشرق الإسلامي ربما فضلوا البقاء على حالة الرق لأنهم مع الحرية الممنوحة لهم يرون إن المصاعب التي تواجههم فيما إذا ملكوا أمر أنفسهم تجعلهم أقل سعادة وأشقى حال.

ولا يخفى عليكم أن هذه المعاملة الحسنة التي كان الرقيق يحظون بها في البلاد

الإسلامية هي من أثر استيلاء النبي ﷺ بهم خيراً، وحض المسلمين على الرفق به ومزيد الرعاية له، كما جاء في الحديث الشريف القائل: (إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإذا كلفتموهم فأعينوهم فإنهم لحم ودم مثلكم) وبلغ ما أدب به النبي ﷺ المسلمين في محاسنة الرقيق إنه نهى أن يقول الرجل لمملوكه «عبدى وأمتى» وليقل «فتاى وفتاتى».

إذن فلا عجب أن يكون المسلمون على هذه الأخلاق العالية في معاملة الرقيق لما كان هناك رقيق، لأنهم ينفذون وصية نبيهم ويطبقون تعاليم دينهم. ولا عجب أيضاً أن يكون موقف الإسلام في الماضي والحاضر على السواء من الرق، هو ما ذكرنا من عدم اعترافه به إلا على سبيل الضرورة المؤقتة، لذلك لما زال سببها كان المسلمون وكانت دولتهم ممن تلقى قرار مؤتمر بروكسل الدولي بإلغاء الرقيق بالقبول والموافقة، ولم ينشأ عليه أي اعتراض لا من طرف علماء الدين ولا من طرف الجمهور المؤمن والحكومات الإسلامية التي صادقت عليه كانت تعرف أن هذا الأمر هو من مقتضيات الحضارة وتقدم الإنسانية ومن المطالب التي يؤيدها الشرع الإسلامي، ويرغب فيها أتباعه والناس كافة وكأنها الإسلام والمسلمون كانوا ينتظرون هذا القرار وصدوره من الجهات التي كانت هي المسؤولة في الحقيقة عن قيام الرق واستمراره إلى الوقت الذي ألغي فيه.





## حق الرعية بالسلطان

### رحلة حقوقية

والنَّاسُ بالأَمْنِ والسُّرُورِ ولا  
بأَمْنٍ طَوْلَ الزَّمانِ خائفُنا  
يحكمُ فينا والحكمُ فيه لنا  
جاحِدُنا حقَّنا وغاصبنا

### موقف الإمام زين العابدين من الظالمين:

بعد أن رسَّخ الإمام السَّجاد عليه السلام موقعه في قاعدته الشعبية، وبعد أن عُرِفَ إماماً عادلاً ورعاً تقيّاً نقيّاً، يعرف الدين وحدوده، وأصوله وفروعه، ويقف وجهاً لوجه لمقارعة مغتصبي الخلافة والولاية والإمامة من الأمويين وأزلامهم، وحين شعر أنَّهم سيقتلونه لا محالة، إثر اتساع قاعدته وشهرته وظهور أمره، صار لزاماً عليه أن يُشهر عداؤه و(يُظهر علمه) في مقارعتهم ومواجهتهم وكشف زيفهم وأحاييلهم، وبكلمة أخرى، يقلِّص دائرة التقيّة التي اتَّسعت له سنين طويلة للإمتداد أفقاً وعمقاً في الوسط الجماهيري، ولم يبق أمامه إلاّ اقتحام المحظور والمتهيب والمسكوت عنه في هذا الوسط المهزوم المغلوب على أمره، المضلّل بالخطاب الإعلامي الأموي الموجه الضاغط.

رأى الإمام عليه السلام أن الخطوة الأولى التي عليه تقحّمها رغم وعورتها وخطورتها هو كسر هيبة الحكام الأمويين وتهشيم هالتهم التي صنعوها بشراستهم وفرعونيتهم ودعواهم العريضة بالانتساب إلى الإسلام ونبى الإسلام. فقد روي أن عبد الملك بن مروان كان يطوف بالبيت العتيق، وعلي بن الحسين يطوف أمامه غير ملتفت إليه، أو لا يلتفت إليه. فقال عبد الملك من هذا الذي يطوف بين أيدينا؟ ولا يلتفت إلينا؟ ف قيل له: إنه علي بن الحسين. فجلس عبد الملك مكانه غاضباً وقال: ردّوه إليّ فردّوه، فقال له: يا علي بن الحسين، إنّي لستُ قاتل أبيك! فما يمنعك من السير إلينا؟! فأجابه عليه السلام: «إنّ قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبي عليه آخرته. فإن أحببت أن تكون هو فكن».

ويبدو من هذه السطور أن الإمام كان مقاطعاً عبد الملك، أو أن مقاطعته ليست مجرد عزلة أو مقاطعة عابرة، وإنّما مقصودة ومتعمّدة، وتعبّر عن موقف سياسي وإعراض متعمّد مع سبق الإصرار، ولعلّها أظهر أشكال الجهاد السياسي واتخاذ الموقف السياسي في حدود المعروف أو المسموح به في ذلك العهد.

كما أن قول عبد الملك (إنّي لست قاتل أبيك) يتضمّن الغلظة ويوحى بالتهديد والتوّعد والإرهاب. فيما كان ردّ الإمام: «إن أحببت أن تكون هو فكن» يعبر عن تحدّ سافر لسلطة خليفة متجبّر لا يمنعه فعل أي شيء، بما في ذلك القتل وسفك الدم، وفي ذلك دليل قاطع على أنّ الإمام عليه السلام لم يكن في هذه المرحلة ذلك الوديع المواعظ، المنعزل عن الدنيا، المشغول بالدعاء والعبادة، البكاء الحزين، وإنّما المواجه، المنزل، الشديد، القاطع، المقاطع، المتحدي، العنيف الذي لا يخشى الإرهاب ولا يرهبه استخدام الطغاة عصاهم الغليظة، أو تلويحهم بهراوات الإهانة أو التصفية أو الموت.

وهكذا كان موقفه عليه السلام مع عبد الملك هذا في قصة سيف رسول الله ﷺ الموجود عنده، والذي حاول عبد الملك استنزاز الإمام عليه السلام بطلب ذلك السيف أو

استيهابه منه أو أخذه منه، لما فيه من رمزية يمكن أن يوظفها الحاكم الظالم إلى شرعيته المزيفة، فأبى الإمام عليه السلام إعطاء السيف، فكتب إليه عبد الملك يهدده بأن يقطع رزقه من بيت المال. فأجاب الإمام عليه السلام: «أما بعد.. فإن الله تعالى ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾، ثم قال: فأنظر أيُّنا أولى بهذه الآية؟».

ويظهر من رفض الإمام إعطاء السيف، وتوظيفه لهذه الآية الكريمة، وقوله: (أيُّنا أولى بها) ! واستصغاره لتهديد الخليفة بقطع رزقه من بيت المال واستهانته بطلبه، أن القطيعة بالغ حدّها بين الطرفين، وأن المواجهة في أقصاها، وأن كلمة الحجاج الثقفي الذي كتب إلى عبد الملك ما نصه (إن أردت أن يثبت ملكك، فاقتل علي بن الحسين)، إنّما تعبّر تعبيراً دقيقاً -هي الأخرى- عن شدة المواجهة وعمق الأزمة وخطورة الموقف.

كان هذا إذن موقف الإمام عليه السلام مع عبد الملك بن مروان أو بعض مواقف، وهكذا كان موقفه عليه السلام مع هشام بن عبد الملك، في قضية الحجر الأسود المشهورة، وكيف أن الأمويين سجنوا الفرزدق على قصيدة شعرية اعتبروها إهانة لمقام الخلافة، فيما سارع الإمام السجاد عليه السلام للاتصال بالفرزدق وهو في السجن، ووصله بشيء رمزي من المال تعضيداً له على موقفه، ومكافأة لموقفه الشجاع ذاك، وتعبيراً عن مواساة واضحة المقاصد والأهداف في العرف السياسي السائد.

### الموقف من أعوان الظلمة:

إن الطواغيت ليس بإمكانهم الوصول إلى مآربهم إذ لم يجدوا أعواناً لهم يعينونهم على ما يقومون به من مظالم ومآثم، ولعلّ من السذاجة بمكان إلقاء اللوم على عاتق شخص واحد توضع على شماعته كل الجرائم والجنايات التي ترتكب بحق الأمم

والشعوب، وإغضاء الطرف عن الدائرة المحيطة به، الملتفة حوله، بدءاً بولاته وقادته العسكريين، مروراً بإعلاميه وأبواقه وفقهائه ووعاظ سلطته، وانتهاءً بهذا المطرب أو ذاك الشاعر اللذين لا ينفكان ينشدان لنظامه الظالم ويرّوجان له ويخففان جرائمه ويأخذان على أيدي من يحاول التعريض به أو الحديث عن جرائمه.

هذا الخيط الرابط بين الطاغية وبين أعوانه، استطاع الإمام السجاد عليه السلام تشخيصه بدقة، وتأكيد الطرق عليه، أي إن موالاة الجائر تعتبر كبيرة من الكبائر لما تنطوي عليه من تمكين واضح له لدرس الحق وإحياء الباطل وإظهار الظلم والجور، وإبطال الكتب، وقتل الأنبياء والمؤمنين، وهدم المساجد وتبديل السنة وتغيير شرائع الله وتعاليم دينه، فكانت الخطوة الثانية هي تنبيه الأمة على أنّ أيّ تعامل مع الحكام وأية مساعدة لهم، حتّى في أبسط الأمور وأدنى الأشياء يعتبر تقويةً لحكومتهم، ومشاركةً لهم في جناياتهم لأنّ تقديم أيّ خدمة لهم وإن كانت ضئيلة جداً يكون بقدره تمكيناً ومعاوضةً لهم، فراح عليه السلام يؤكّد على لعن (من لاق لهم دواة، أو قطّ لهم قلماً، أو خاط لهم ثوباً، أو ناوهم عصاً)، بل حرّم العمل معهم ومعونتهم والكسب معهم. اعتمد الإمام السجاد عليه السلام هذه القاعدة الإسلامية، وجعلها ركيزة مهمة في مقاومة النظام الفاسد، وحاول تجريده من سلاح الوعّاظ المحيطين به، أو عصابات المترلّفين المتملّقين الذين تمرّر السلطة الظالمة مشاريعها من خلال ملقهم وترلّفهم وتلميذهم لإجراءات هذه السلطة لدى العوام والسذج والبسطاء.

وكان الإمام السجاد كثيراً ما يقول: «العامل بالظلم والمعين له، والراضي به شركاء ثلاثة».

وكان عليه السلام يحذّر الناس من التورّط في أعمال الظلمة، ولو بتكثير سوادهم والتواجد في مجالسهم ومصاحبهم، لأنّ الظالم لا يريد من الصالح فعلاً الاستفادة من صلاحه أو الاقتداء به، وإنّما يحاول توريطه في جرائمه وآثامه أو توظيفه لتحقيق

مفاسده ومشاريعه، فكان عليه السلام يقول «ولا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم، إلاّ أوشك أن يقول فيه من الشرّ ما لا يعلم، ولا اصطحب اثنان على غير طاعة الله إلاّ أوشك أن يتفرّقا على غير طاعة الله».

قد يتصوّر بعض الناس من ذوي المكانة في المجتمع أنّ اصطحاب أولئك الحكّام الظالمين لا يضرّ شيئاً، وإنّما يفيد خدمة أو تقديم خدمة للطرفين : للظالم بتخفيف ظلمه والحدّ من سُعاره، ولأعوان الصالح وأصحابه ليكفيهم شرّه ويدفع عنهم وعن إخوانهم ضرره، وما دروا، أو غاب عنهم، خبث الظالم باستغلال صلاحهم وأسمائهم وسمعتهم في تنفيذ ما لا يرضي الله، وتمريره على البسطاء من الناس والتغريب بهم، وربما راحوا يستعملون كلمات الملاطفة والتبجيل المقنّع لهذا الظالم أو ذاك، متوهّمين أن في بعض ذلك تصحيحاً لتصرفاته وتقليص هوسه، متناسين براءة الناس وانخداعهم به عبر إسباغ الشرعية على أفعاله من قبل هؤلاء وذلك بالتقرّب إليه أو القرب منه، وما يجزّ ذلك من ارتجاج قيم ونسف مقاييس واهتزاز ثوابت ومعايير.

ولعلّ أكثر مواقف الإمام عليه السلام وضوحاً في مساعيه لسلخ الوعّاظ عن حاشية الحاكم الظالم هو موقفه عليه السلام من الزهري الذي أكسبه الأمويون شهرة عظيمة، وروّجوا له كثيراً، حيث شدّد هو والعلماء الصالحون النكير عليه لقربه من بني أمية والسكوت عن جرائمهم وشنائهم، ففيما كان هو يبرّر صحبته لهم بقوله: (أنا شريك في خيرهم دون شرهم). كان العلماء يردّون عليه بقولهم: (ألا ترى ما هم فيه فتسكت؟!). فيسكت ولا يحير جواباً.

ومن حوارات الإمام الساخنة مع بعض أعوان الظلمة ردّه على الزهري هذا الذي قال للإمام يوماً: (كان معاوية يُسكته الحلم، ويُنطقه العلم)!! فقال الإمام: «كذبت يا زهري، كان يُسكته الحصر، وينطقه البطر».

لقد اراد أئمتنا عليهم السلام إفهام الأمة ما على الحكام من حقوق تجاه محكوميه من

اعطائهم جميع الحريات كحرية الرأي والتعبير والعبادة وغيرها، وما يجب على الحكام من حفظ ثروات البلاد والمال العام والإنصاف وغير ذلك.

ومن هنا رأينا الإمام زين العابدين عليه السلام يركز على هذا الأمر وذلك لأهميته. رأينا أنه يذكر حق السائس بالسلطان في باب حقوق الأئمة ومن ثم حق الرعية بالسلطان في باب حقوق الرعية.

أيها الأحبة الكرام لا زالت رحلتنا تشق طريقها وهاهي تطرق أبواب حق الرعية وهو الباب الرابع من رسالة الحقوق لإمامنا علي الحسين عليه السلام ومع حق الرعية بالسلطان.

### حق الرعية بالسلطان

فَأَمَّا حُقُوقُ رَعِيَّتِكَ بِالسُّلْطَانِ فَإِنْ تَعَلَّمَ أَنَّكَ  
إِنَّمَا اسْتَرْعَيْتَهُمْ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ إِنَّمَا  
أَحْلَاهُمْ مَحَلَّ الرِّعْيَةِ لَكَ ضَعْفُهُمْ وَذُلُّهُمْ، فَمَا  
أَوْلَى مَنْ كَفَاكَهُ ضَعْفُهُ وَذُلُّهُ حَتَّى صَيَّرَهُ لَكَ  
رَعِيَّةً وَصَيَّرَ حُكْمَكَ عَلَيْهِ نَافِذًا، لَا يَمْتَنِعُ  
مِنْكَ بِعِزَّةٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا يَسْتَنْصِرُ فِيهَا تَعَاظِمَهُ  
مِنْكَ إِلَّا بِاللَّهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْحَيَاةِ وَالْأَنَاةِ وَمَا  
أَوْلَاكَ إِذَا عَرَفْتَ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِ  
هَذِهِ الْعِزَّةِ وَالْقُوَّةِ الَّتِي قَهَرَتْ بِهَا أَنْ تَكُونَ لِلَّهِ  
شَاكِرًا، وَمَنْ شَكَرَ اللَّهَ أَعْطَاهُ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ.  
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

لقد ذم القرآن الكريم الملوك والحكام الظالمين الجائرين الذين إذا دخلوا بلداً  
افسدوا فيها بل أكثر من ذلك إذ يجعلون أعزة أهلها أذلة والذين لا يحكون بما أنزل الله



سبحانه وعدهم ظالمين وفاسقين وكافرين، قال سبحانه :

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (سورة النمل: ٣٤).

وقال في سورة المائدة تباعا:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥).

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٧).

لقد ذكر القرآن الكريم طواغيت وحكاما من أمثال فرعون وهامان ونمرود ممن جلسوا على كراسي الحكم بالقهر والقوة والغلبة فساموا الناس بالقتل والخسف والترويع بدون رأفة أو رحمة كما ذكر التاريخ طواغيتا من امثال يزيد و ابن زياد وما اكثرهم الآن بين ظهرانينا يسومون الناس الذل والهوان ويأخذون الناس بالتهمة والظنة دون شفقة حفاظا على عروشهم وكراسيهم.

وللأسف إن هؤلاء الطواغيت يحكمون بإسم الإسلام، والإسلام منهم بريء بل أنهم حكموا ليحاربوا الإسلام بمعونة أسيادهم المستعمرين والمستكبرين. إن هؤلاء الحكام لا يعترف الإسلام بشرعية حكمهم ولا يسمح للشعب أن يتقيد بها يقولون ويأمرون.

لقد ذكرنا سابقا في حق السائس بالسلطان خصائص الحاكم العادل الذي يجب أن يتصدى لأمر الناس، كالعلم والرفق والتقوى.

إن السلطة والملك عقد بين الشعب والأمة وتوكيل بين المجموع والفرد، الذي انتخبه هذا المجموع انتخابا شعبيا حرا ليكون راعيا لهم قائما بأماناتهم منفذا لشرعية الله بينهم موفرا للحياة السعيدة الحرة الكريمة.

إذ هو ليس شخصا مقدسا حاكما بأمره، وليس وارثا للملك ولا مهمنا على عقائد الناس وقلوبهم، بل كما أسلفنا هو طرف في عقد يقوم بأعمال الوكالة بإسم الشعب.

فعليه إذاً أن:

يكون أبا رحيماً على رعيته يرعاهم ويتفقد شؤونهم ويعيش آمالهم وأحلامهم ويتطلع إلى أشواقهم وأمانيتهم فلا يعيش في الأبراج العاجية كبعض الملوك والأمراء في التاريخ الماضي والحاضر اللذين يصرفون أموال الشعب في ملذاتهم.

أين هذا من كلام الإمام علي عليه السلام في عهده للأشتر «ولا تكونن عليهم - على الرعية - سبعا ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك».

أن يكون بين رعاياه عادلاً لا تنال من عدالته مؤثرات الحياة، من هوى أو قربى أو مصلحة شخصية، قاعدته الأساسية: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۖ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨). فالعدل هو التقوى وهو شريعة الله وروح الكون.

عليه أن يتصف بالأنانة والتبصر دون الإسراع إلى ما لا تحمد عقباه.

أن يكون شاكراً لأنعم الله، يقول الإمام زين العابدين «أن تكون لله شاكراً ومن شكر الله أعطاه فيما أنعم عليه» إذ عنده من النعم أكبرها وأجلها وهي نعمة السلطة والإمرة فعليه أن يقابلها بالشكر والطاعة والإخلاص في أمر الرعية وتنفيذ مطالبها.

الرفق والصبر على هفوات الشعب، قال رسول الله ﷺ: «ما من عمل أحب إلى الله تعالى وإلى رسوله من الإيمان بالله والرفق بعباده، وما من عمل أبغض إلى الله تعالى من الإشرak بالله تعالى والضغط على عباده».

المشاركة الوجدانية بين الراعي والرعية، اذ بها يستطيع الحاكم أن يتعرف على آمال المحكومين وآلامهم ومطامحهم، وأن يعي حاجاتهم ومخاوفهم، وذلك بإجراء انتخابات عادلة لعمل برلمان أو مجلس شورى وكذلك المجالس البلدية والنقابات وما شاكلها. وأن يخالط الرعية ويمكن الرعية من مخالطته ومطالعة بها يريدون. وما أروع ما سطره أمير المؤمنين في عهده للأشتر:

«فلا تطولن احتجاجك عن رعيته، فإن احتجاج الولاية عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة بعلم الأمور والإحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل».

أن يشرح للشعب ويبين لهم سياسته وخطته ونهجه في الحكم ليؤيدوا حكمه عن قناعة وإيمان ولكي تبقى بينه وبين الشعب وشائج الود وتنزل عنهم ظنون الظلم والحيف. قال علي عليه السلام:

«وإن ظنت الرعية بك حيفا فأصحر» أي بين واظهر لهم بعذرهم، وأعدل عنك ظنونهم بإصهارك، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك، ورفقا برعيتك، وإعذارا تبلغ به حاجاتك من تقويمهم على الحق وإياك بالمن على رعيته بإحسانك، أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتنع موعذك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

أجل الرعية أمانة في يد الراعي، يجب عليه القيام بحفظها وحسن التعهد لها

والعمل لمصلحتها، فمن ولاه الله شؤون الخلق من ملك وأمير ورئيس ووزير،  
يجب أن يحوطهم بنصحه، يخلص لهم في حكمه، قال رسول الله ﷺ: «ما  
من عبد استرعاه الله رعية، فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة»  
وقال ﷺ «ما من وال يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم إلا حرم  
الله عليه الجنة».





## حق الرعية بالعلم

### رحلة حقوقية

ينمى الى ذروة الدين التي قصرت  
عنها الأكف وعن ادراكها القدم

### مكانة الإمام زين العابدين العلمية:

لقد عاش الإمام زين العابدين في المدينة المنورة، حاضرة الإسلام الأولى، ومهد العلوم والعلماء، في وقت كانت تحتضن فيه ثلّة من علماء الصحابة، مع كبار علماء التابعين، فكان بشهادة أكابر أبناء طبقته والتابعين لهم، الأعلام والأفقه والأوثق، بلا ترديد. فقد كان الزهري يقول : (ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه). لهذا قد كانت مدرسته تعج بكبار أهل العلم من حاضرة العلم الأولى في بلاد الإسلام، يحملون عنه العلم والأدب، وينقلون عنه الحديث ومن بين هؤلاء، كما أحصاهم الذهبي: أبنة أبو جعفر محمد الباقر، والزهري، وعمر بن دينار، والحكم ابن عتيبة، وزيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد، وأبو الزناد، وعلي بن جدعان، ومسلم البطين، وحبيب بن أبي ثابت، وعاصم بن عبيدالله، وعاصم بن عمر ابن قتادة بن النعمان، وأبوه عمر بن قتادة، والققعاق بن حكيم، وأبو الأسود ديتيم عروة، وهشام بن عروة بن الزبير، وأبو الزبير المكي، وأبو حازم الأعرج، وعبدالله بن مسلم بن

هرمز، ومحمد بن الفرات التميمي، والمنهال بن عمرو، وخلق سواهم، وقد حدث عنه أبو سلمة وطاووس، وهما من طبقته. وغير هؤلاء رجال من خاصة شيعته من كبار أهل العلم، منهم: أبان بن تغلب، وأبو حمزة الثمالي، وغيرهم كثير. وغيرهم ممن وصف بالخلق الكثير أخذوا عن الإمام زين العابدين علوم الشريعة من تفسير القرآن الكريم والعلم بمحكمة ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وأحكامه وآدابه، والسنة النبوية الشريفة روايةً وتدويناً في عصر كانت ما تزال كتابة الحديث فيه تتأثر بما سلف من سياسة المنع من التدوين التي أسست في العصر الأول من الإسلام بعد رسول الله، تلك السياسة التي اخترقها أئمة أهل البيت فكتب عنهم تلامذتهم والرواة عنهم الشيء الكثير من أحكام الشريعة، حلالها وحرامها وآدابها، إلى فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما تأدبوا على يديه في مجالسه بآداب الإسلام التي شحنها في أدعيته التي اشتهرت وانتشرت في عهده حتى أصبحت تشكّل لوحدها ظاهرة جديدة في تبني أسلوب روحي متين، ليس لإحياء القلوب وشدّها إلى الله وحسب؛ بل إلى إحياء معالم الشريعة وحدودها وآدابها. الأدعية التي حفظ المشهور جداً منها في الصحيفة المعروفة بالصحيفة السجادية نسبة إليه حيث عرف الإمام علي زين العابدين بالسجاد.

مهما شرقنا أو غربنا فلن نجد مدرسة علم احترمت العلم والعلماء كمدرسة محمد ﷺ وأهل بيته لأنهم عدل القرآن بل هم القرآن الناطق. فهم «أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخُزَانِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ».

لذلك نجد أن الإمام زين العابدين عليه السلام يولي اهتماماً خاصاً بالعلم والعلماء والتعليم ويذكر حقوقها ضمن رسالته فمرة تحت عنوان «حق سائسك بالعلم»

وأخرى تحت عنوان «حق الرعية بالعلم».

والآن احبتي مع الحق الثاني من حقوق الرعية:

### حق الرعية بالعلم

«وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْعِلْمِ فَإِنْ تَعَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَكَ لَهُمْ فِيمَا آتَاكَ مِنَ الْعِلْمِ وَوَلَاكَ مِنْ خَزَانَةِ الْحِكْمَةِ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ فِيهَا وَوَلَاكَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَقُمْتَ بِهِ لَهُمْ مَقَامَ الْخَازِنِ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ لِمَوْلَاهُ فِي عِبِيدِهِ، الصَّابِرِ الْمُحْتَسِبِ الَّذِي إِذَا رَأَى ذَا حَاجَةٍ أَخْرَجَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي فِي يَدَيْهِ كُنْتَ رَاشِدًا، وَكُنْتَ لِدَلِّكَ أَمَلًا مُعْتَقِدًا وَإِلَّا كُنْتَ لَهُ خَائِنًا وَلِخَلْقِهِ ظَالِمًا وَلِسَلْبِهِ وَعِزُّهُ مُتَعَرِّضًا»

علماء الإسلام مكلفون بمحاربة استغلال واحتكار الظالمين، وبعدم السماح للجوع والحرمان بالتفشي في أوساط الكثير من أفراد الأمة، بينما يعيش الظلمة والناهبون وأكلوا المال الحرام في نعمة ورفاه. يذكر أمير المؤمنين عليه السلام أن السبب الذي يدعو إلى قبول الحكم هو الميثاق الذي أخذه الله تعالى على العلماء، من ألا يسكتوا أمام جشع الظالمين ونهبهم، وجوع المظلومين وحرمانهم. يقول عليه السلام: «أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يَقَارُوا عَلَى كِطَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ!».

كيف نستطيع أن نبقي ساكتين اليوم ونحن نرى حال الأمة اليوم وما فيها من

التمزق والتشردم بسبب الظلمة والجائرين.

إن وظيفة علماء الإسلام وجميع الأحرار هي: ان ينهوا هذا الوضع الظالم، وأن يسعوا في هذا السبيل الذي هو سبيل إسعاد مئات الملايين من البشر في إقامة الحكومات العادلة.

إن وظيفة علماء الإسلام كبيرة، ومهامهم عظيمة، منها نصره المظلوم، كما قال إمام المتقين يصف هذه المهام :

وَعَلِّمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَخْفِظِينَ عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيَفْجَرُونَ عُيُونَهُ، يَتَوَاصِلُونَ بِالْوِلَايَةِ، وَيَتَلَقَّوْنَ بِالْمَحَبَّةِ، وَيَسَاقُونَ بِكَأْسِ رَوْيَةٍ، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ، لَا تَشُوْبُهُمُ الرِّيْبَةُ، وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيْبَةُ. عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصِلُونَ، فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْبَذْرِ يُتَّقَى، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ، وَهَذَبَهُ التَّمْحِيصُ.

لقد ذكرنا في حق السائس بالعلم كيف هو اهتمام الإسلام بالعلم والتعليم واشرنا هناك بأن مفردة علم ومشتقاتها من اكثر الألفاظ ورودا في القرآن الكريم بعد لفظ الجلالة بحيث وردة على ما يقارب الـ «٤٨٦» مرة.

ويكفي أن أول كلمة نزلت من القرآن على قلب رسول الله ﷺ تأمر الإنسان بالتعلم هي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق ١-٥).

وقال سبحانه ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩).

ومن السنة ما لا يحصى ذكره ومنها:

قول رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ألا وان الله



يجب بغاة العلم».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «لوددت ان اصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا».

وعن ابي عبد الله عليه السلام: «إذا اراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين».

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «عالم ينتفع بعلمه، أفضل من سبعين ألف عابد».

على ان القرآن الكريم والسنة الشريفة لا تقتصران على تعلم العلوم الدينية والتشريعية والفقهية فقط، بل دعت إلى تعلم كافة العلوم الإنسانية الطبيعية وعلم الحياة «البيولوجيا» وعلم النفس وعلم التاريخ والاجتماع وغير ذلك.

ومن الآيات التي حثت على العلوم الطبيعية قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ \* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَّابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

ومن التي حثت على علم الحياة: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ \* خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ \* يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (الطارق: ٧).

ومن التي حثت على علم النفس: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١).

وأما علم التاريخ والاجتماع فحثت عليه الآية التالية: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم: ٩).

وللإمام الشافعي هذه الأبيات الجميلة:

العلم يحيي قلوب الميتين كما تحيا البلاد إذا ما مسها المطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر  
وقال مؤيد الدين الطغرائي :

بالعلم والعقل لا بالمال والذهب يزاد رفع الفتى قدرا بلا طلب  
فالعلم طوق النهى يزهو به شرفا والجهل قيد له يبلية باللغب  
كم يرفع العلم أشخاصا الى رتب ويخفض الجهل أشرافا بلا أدب  
العلم كنز فلا تفنى ذخائره والمرء ما زاد علما زاد بالرتب  
فالعلم فاطلب لكي يجديك جوهره كالقوت للجسم لا تطلب غنى الذهب  
وأخيرا هذا البيت المشهور والذي اختلف في قائله :

العلم يرفع بيوتا لاعتماد لها والجهل يهدم بيت العز والشرف ؟

وبعد حديثنا الموجز عن العلم ببعض تفرعاته وانواعه وفضيلة طلبه ومهام العلماء وصفاتهم، نتحدث عن حق المتعلم على المعلم وقد تعرضت السنة لذلك وجاءت لتؤكد ما هدف اليه الإمام زين العابدين عليه السلام فقد ورد ان عيسى ابن مريم عليه السلام قال للحواريين لي اليكم حاجة اقضوها لي.

قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله فقام فغسل اقدامهم فقالوا: كنا نحن احق بهذا يا روح الله فقال: إن احق الناس بالخدمة العالم، انما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم.

وقال الإمام علي عليه السلام: ما أخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا.

وكما حث على نشر العلم وإذاعته وإثابه قام بالوعيد لمن يمنع علمه ويختص به لنفسه ولا يبثه بين الناس.

فعن رسول الله ﷺ: «من كتم علما نافعا لجمه الله يوم القيامة بلجام من نار». وعنه ﷺ: «إذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».

واما من ازين العابدين يوضح لنا قاعده مهمه في ان العلم يزكوا على الإنفاق، وينحسر ويسلب بالمنع فيقول موجهها خطابها للمعلم: «ان الله سبحانه وتعالى بما أعطاك من العلم جعلك محط حاجة طلابه فإن احسنت فيما توليت وقمت بالواجب عليك من بذله واخراج ما عندك من الحكمة والبيان كنت راشدا والا فإنك تجمع الخيانة والظلم، الخيانة فيما اولاك والظلم لعباده بما منعت عنهم من حقهم في العلم وهذا قد يؤدي الى ان يسلبه الله عنك».

ولقد ذكر الشيخ الجليل النراقي في كتابه جامع السعادات الجزء الأول في باب «آداب التعليم» جملة من آداب التعليم وهي:

١ - ان يخلص المعلم تعليمه لله سبحانه ولم يكن له فيه باعث دنيوي من طمع مالي او جاه ورئاسة او شهرة بين الناس، بل يكون الباعث مجرد التقرب إلى الله تعالى والوصول الى المثوبات الأبدية، فان من علم غيره علما كان شريكا في ثواب تعليم هذا الغير للآخر.

٢ - ان يكون مشفقا على المتعلم ناصحا له، مقتصرا في الإفادة على قدر فهمه، متكلمًا معه باللين والهداية لا بالغلظة والفظاظة.

٣ - أن لا يضمن العلم من أهله ويمنعه عن غير أهله، لأن بذل الحكمة للجهال ظلم عليها، ومنعها عن أهلها ظلم عليهم كما ورد في الخبر.

٤ - أن يقول ما يعلم ويسكت عما لا يعلم حتى يرجع اليه ويعلمه، ولا يخبر المتعلمين ببيان خلاف الواقع.

هذه بعض الآداب وقد ذكر غيره من العلماء آدابا هي قريبة في المعنى مما ذكرنا، وربما كان لكل من المعلم والمتعلم آداب أخر تظهر لمن وقف على فن الأخلاق، ثم ان العارف بأهل زمانه يعلم آداب التعلم والتعليم كسائر الآداب والفضائل.





## حق الزوجة

### رحلة حقوقية

إن حياة الإمام علي بن الحسين عليه السلام وسيرته الطاهرة مليئة بمكارم الأخلاق وهي تشكل قسماً مهماً من بحر فضائله ومكارمه، فكان الإمام عليه السلام خير دليل وأسوة للإنسان الصالح، وأفضل نموذج لكل البشرية في طريق الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

يقول الشاعر إيليا أبو ماضي:

من ذا يكافئ زهرة فواحة؟

أو من يثيب البلبل المترنماً

إن قاعدة الأسرة السليمة والمتحابة وسائر القواعد الإسلامية الأخرى يجدها المتتبع بشكل واضح ومصدق عملي جلي في سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام فمثلاً إذا ما تصفحنا تاريخ الإمام السجاد عليه السلام وسلوكه مع أفراد عائلته سنراه في القمة، فإنه مضافاً إلى كونه عليه السلام أعبد أهل زمانه وأزهدهم، فهو لا ينسى رعاية من يعوله وإكرام أسرته الشريفة، بل يأخذ بخدمتهم ويهيأ لهم وسائل الراحة المشروعة ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويربيهم على أفضل العبادات:

ورد في الكافي عن أبي حمزة الثمالي أنه قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «لأن

أدخل السوق ومعي دراهم ابتاع به لعيالي لحماً، وقد قرموا<sup>(١)</sup> أحب إلي من أعتق نسمة».

وقد أشار الإمام السجاد عليه السلام في هذا الحديث إلى أن ثواب شراء شيء للعيال أكثر من ثواب عتق رقبة في سبيل الله، وذلك لأن الزوجة والأولاد كل أملهم بكرم رب الأسرة وسخائه، مضافاً إلى أن علاقتهم به لا تنفصم عراها، أما العبد إذا تحرر فان علاقته به لکه تنفصم ويتخذ قراراته بنفسه.

قال أبو الحسن عليه السلام: «إذا وعدتم الصبيان ففوا لهم فإنهم يرون أنكم الذين ترزقونهم، إن الله عز وجل ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان».

لا زالت رحلتنا الحقوقية تسير بخطا ثابتة وقد طرقت باب حق الرعية ووصلت إلى حقوق الزوجة.

## حق الزوجة

وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِمِلْكِ النِّكَاحِ فَإِنَّ تَعْلَمَ  
أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا سَكَنًا وَمُسْتَرَاحًا وَأُنْسًا  
وَوَاقِيَةً، وَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَجِبُ أَنْ  
يَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ  
مِنْهُ عَلَيْهِ. وَوَجَبَ أَنْ يُحْسِنَ صُحْبَةَ نِعْمَةِ اللَّهِ  
وَيُكْرِمَهَا وَيُرْفُقَ بِهَا وَإِنْ كَانَ حَقُّكَ عَلَيْهَا  
أَغْلَظَ وَطَاعَتِكَ بِهَا أَلْزَمَ فِيمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ  
مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، فَإِنَّ لَهَا حَقَّ الرَّحْمَةِ  
وَالْمُؤَانَسَةِ، وَمَوْضِعُ السُّكُونِ إِلَيْهَا قَضَاءُ  
اللَّذَّةِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَذَلِكَ عَظِيمٌ.  
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(١) قرموا: أي اشتد شوقهم إلى اللحم.

لقد أولى القرآن الكريم موضوع الأسرة والمرأة بالذات اهتماماً كبيراً ففرى مثلاً انه وردت كلمة زوج في القرآن الكريم بما يخص هذا الموضوع / ٢٩ مرة، وكلمة امرأة / ١٠ مرات، وكلمة أنثى / ١٨ مرة، ومن الصفات المهمة المختصة بالمرأة كلمة المؤمنات / مؤمنات / ٢٢ مرة، ووردت سورة بإسم النساء ولم ترد سورة بإسم رجل، وغيرها من الصفات المخاطبة الواردة في القرآن الكريم. كل ذلك اهتماماً بها وبشؤونها.

قال رسول الله ﷺ: «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله من التزويج».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أكثرُوا الخير بالنساء».

إن هذه الأحاديث التي تبين أهمية الأسرة والتي هي اللبنة الأولى في المجتمع وتبين مكانة المرأة الزوجة في هذه اللبنة وانه أحب بناء بني الله في الإسلام وإنها مجلبة للخير والرزق والغنى. فكما وضع الإسلام مواصفات المرأة الحسنة فعن رسول الله ﷺ: «من سعادة المؤمن الزوجة الصالحة»، نرى انه نهى عن المرأة التي تتمتع بالجمال فحسب دون الصلاح والإيمان والالتزام بالأحكام حيث ورد عنه ﷺ: «إياكم وخضراء الدمن قيل يارسول الله وما خضراء الدمن؟

قال: المرأة الحسناء في منبت السوء، فتخيروا لنطفكم فإن العرق دساس.

على انه لم يغفل الجمال ففي رواية: تنكح المرأة على أربعة خلال: على مالها، وعلى دينها، وعلى جمالها، وعلى حسبها ونسبها فعليك بذات الدين.

أيضا وضع مواصفات الرجل الذي يستحق الزواج فقد نهى عن الزواج من شارب الخمر قال النبي ﷺ من زوج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها.

وقال أيضا: من شرب الخمر بعدما حرمها الله على لساني فليس بأهل أن يزوج إذا خطب.

هذا البناء والعقد يجب أن يتم على أساس التكافؤ بين الرجل والمرأة وإذا ما تم ترتبت عليه حقوقا شرعية ولكن قبل أن نبين بعض تلك الحقوق تعالوا نرى كيف

ينظر القرآن الكريم للمرأة.

لقد دحض القرآن الحكيم الأفكار الباطلة التي كان الناس يعتقد بها في السابق، وأقرّ بأن طبيعة التكوين وأصل الخلقة بين الرجل والمرأة واحد، فلم يخلق الرجل من جوهرٍ مكرم، ولا المرأة من جوهرٍ وضيع، بل خلقهما الله من عنصر واحد وهو التراب، ومن نفس واحدة، فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١).

وبذلك ارتقى بالمرأة عندما جعلها مثل الرجل تماماً من جهة الطبيعة التكوينية، ووفر لها من خلال ذلك حقَّ الكرامة الإنسانية، ثم إن القرآن وحد بين الرجل والمرأة في تحمُّل المسؤولية، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾.

على أن التساوي بينهما في أصل الخلقة والكرامة والمسؤولية، لا يعني بتاتا إنكار الاختلاف الفطري والطبيعي الموجود بينهما، والذي يؤدي إلى الاختلاف في الحقوق والواجبات، فميزان العدالة السليم هو التسوية بين المرء وواجباته، وليس التسوية في الحقوق والواجبات بين جنسين مختلفين تكويناً وطبعاً.

ومن هذا المنطلق فليس التفضيل في الإرث اختلالاً في العدالة، بل هو عين العدالة، فالرجل عليه الصداق منذ بداية العلاقة الزوجية، وعليه النفقة إلى النهاية ومن جانب آخر لا يريد القرآن تحديد حرية المرأة ومكانتها من خلال فرض الحجاب، بل أراد صيانتها بالحجاب دون تقييدها، مع الإيحاء باحترام المرأة لدى نفسها ولدى الآخرين.

إذ أراد لها أن تخرج في المجتمع - إذا خرجت - غير مثيرة للغرائز الكامنة في نفوس الرجال، فتكون محافظة على نفسها، وغير مضرة بالآخرين، كما أقرّ القرآن للمرأة بحق الاعتقاد والعمل وفق ضوابط محدّدة، ومنح المرأة الحقوق المدنية كاملة، فلها حق التملك، ولها أن تهب، أو ترهن، أو تبيع، وما إلى ذلك.



كما منحها حق التعليم، فوصلت إلى مراتب علمية عالية، وأشاد بنزعة التحرر لدى المرأة من الظلم والطغيان، فضرب لذلك مثلاً في آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون، التي ظَلَّتْ على الرغم من الأجواء الضاغطة، محافظة على عقيدة التوحيد، التي آمنت بها، فأصبحت مثلاً يُتَدَبَّرُ به.

فقال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحریم: ١١).

فإنه موقف صارم لا هوادة فيه، ويختلف عن موقف مؤمن آل فرعون الذي وقف بوجه فرعون بلين ولباقة.

وهكذا يكشف لنا القرآن عن مقدار الصلابة التي يمكن أن تكتسبها المرأة، إذا امتلكت الإيمان والرؤية السليمة، ويحدث العكس من ذلك لو حادت عن طريق الهداية كامرأة نوح عليها السلام، فسوف تغدو أسيرة لعواطفها وأهوائها، تحرّكها أينما شاءت، فتكون كالريشة في مهب الريح.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، فالمرأة سكن وهدوء وراحة بال وضмир بالنسبة إلى الزوج ومن هنا قال الإمام زين العابدين عليه السلام «فإن تعلم أن الله جعلها سكناً ومستراحاً وانساً وواقية» بل قال القرآن الكريم ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ تعبير عن كون المرأة تستر عيوب الرجل وعوراتها كما تسترها الثياب وهكذا دوره بالنسبة إليها فإنه يستر معاييبها وعورتها وكما أن الثياب يختار الإنسان منها الجميل واللائق به وهذه النعمة يجب على كل منهما أن يؤدي شكرها، يقول عليه السلام في هذا المقام «وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه».

### حقوق الزوجة في السنة النبوية:

وكانت قضية المرأة وحقوقها كزوجة أو أمّ مثار اهتمام السنة النبوية الشريفة،

فيقول النبي الأكرم ﷺ: (مَا زَالَ جِبْرَائِيلُ يُوصِينِي بِالْمَرْأَةِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي طَلَاقُهَا إِلَّا مِنْ فَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ).

ثم يحدد ثلاثة حقوق أساسية للمرأة على زوجها وهي: توفير القوت لها، توفير اللباس اللائق بها، حسن المعاشرة معها.

وفي ذلك يقول الحديث الشريف: (حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا: أَنْ يَسَدَّ جُوعَهَا، وَأَنْ يَسْتُرَ عَوْرَتَهَا، وَلَا يُقَبِّحَ لَهَا وَجْهَهَا).

فالحديث أعلاه لا يقصر حق الزوجة على الأمور المادية الضرورية من طعام وكساء، بل يقرن ذلك بحق معنوي، هو أن لا يُقَبِّحَ لها وجهاً، وبتعبير آخر أن يُحَسِّنَ معاشرتها، لا سيَّما وأنها زميلته في الحياة، وشريكته في العيش، ومن الخطأ أن يتعامل معها باعتبارها آلة للمتعة، أو وسيلة للخدمة، فيعاملها بطريقة إصدار الأوامر.

وهناك توجيهات نبوية تحثُّ على التعامل الإنساني مع الزوجة وحتى استشارتها، وإن لم يرد الزوج أن يأخذ برأيها في ذلك المورد، لأن استشارة الزوج لزوجته معناه إجراء حوار مستمرٍّ معها، وهذا مما يندب إليه العقل والشرع.

إذن لها حقٌّ معنوي مكمل لحقوقها المادية، وهو حقُّ الاحترام والتقدير، وانتقاء تعابير مهذبة لاثقة عند التخاطب معها تشيع أجواء الطمأنينة، وتوقد شمعة المحبة، فيقول الرسول ﷺ:

(قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ: إِنِّي أُحِبُّكَ، لَا يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِهَا أَبَدًا).

فإكرام الزوجة، والرحمة بها، والعفو عن زلاتها العادية، هي الضمان الوحيد والطريق الأمثل لاستمرار العُلاقة الزوجية، وبدون مراعاة هذه الأمور يصبح البناء الأسري هشاً كالبناء على الرمل، فقد ثبت أن أكثر حوادث الطلاق تحصل من أسبابٍ تافهة.

لقد فصل أحد القضاة في أربعين ألف قضية خلاف زوجي، وبعدها قال هذه

الجملة: إِنَّكَ لتجد التوافه - دائماً - في قرارة كل شقاء زوجي، فلو تحلّى الزوجان بالصبر، وغضّوا النظر عن بعض الأخطاء التي تحصل من غير عمْدٍ، لأمكن صيانة العش الزوجي من الإنهيار.

### حقوق الزوجة في فكر أهل البيت عليه السلام:

يتطرق الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق لحق الزوجة، ويلقي أضواء إضافية على حقها المعنوي المتمثل بالرحمة والمؤانسة، فيقول عليه السلام: (وَأَمَّا حَقَّ رَعِيَّتِكَ بِمَلِكِ النِّكَاحِ، فَإِنَّ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا سَكَنًا وَمُسْتَرَاحًا وَأُنْسًا وَوَاقِيَةً، وَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا يَجِبُ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْهِ.

وَوَجَبَ أَنْ يُحْسِنَ صُحْبَةَ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَيُكْرِمَهَا، وَيُرْفِقَ بِهَا، وَإِنْ كَانَ حَقُّكَ عَلَيْهَا أَغْلَظَ، وَطَاعَتُكَ بِهَا أَلْزَمَ، فِيمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ، مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً فَإِنَّ لَهَا حَقَّ الرَّحْمَةِ وَالْمُؤَانَسَةِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

والتمعّن في هذه السطور يظهر لنا أن الرابطة الزوجية هي نعمة كبرى تستحق الشكر اللَّفْظي، بأن يحمّد الله تعالى عليها، وتستوجب الشكر العملي، بأن يكرم المرء زوجته، ويرفق بها، ويعاملها باللطف والرحمة، ويعقد معها صداقة حقيقية، كما يعقد أواصر الصداقة مع الآخرين.

أما لو تصرّف معها بالعُنف، وأحصى عليها كلّ شارِدة ووارِدة، فسوف يقطع شرايين الودّ والمحبة معها، ويكون كَسِكِّين حادة تقطع رباط الزوجية المقدّس.

ولقد بين الإمام الصادق عليه السلام بكل وضوح السياسة التي يجب على الزوج اتّباعها لاستئالة زوجته، وعدم قطع حبال الودّ معها.

فقال عليه السلام: (لَا غِنَى بِالزَّوْجِ عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ، وَهِيَ: الْمَوَافَقَةُ، لِيَجْتَلِبَ بِهَا مُوَافَقَتَهَا وَمَحَبَّتَهَا وَهَوَاهَا، وَحُسْنُ خُلُقِهِ مَعَهَا وَاسْتِعْمَالُهُ اسْتِمَالَةً قَلْبِهَا بِالْهَيْئَةِ الْحَسَنَةِ فِي عَيْنِهَا، وَتَوْسِيعَتِهِ عَلَيْهَا).

ومن الجدير ذكره أن هذه الأقوال، ليست - مجرد - كلمات تنشر في الهواء يُطلقها الأئمة عليهم السلام من أجل الموعظة، بل جسدها أهل بيت العصمة بحذافيرها على صعيد الواقع.

فلا توجد إشكالية انفصام في سلوك أهل البيت عليهم السلام بين الوعي والواقع، ومن الشواهد الدالة على ذلك: يروي الحسن بن الجهم قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام اختضب، فقلت: جعلت فداك اختضبت؟

فقال عليه السلام: (نعم، إنَّ التَّهَيَّئَةَ مِمَّا يُزِيدُ فِي عِفَّةِ النِّسَاءِ، وَلَقَدْ تَرَكَ النِّسَاءُ الْعِفَّةَ بِتَرْكِ أَزْوَاجِهِنَّ التَّهَيَّئَةَ، أَيْسَّرَكَ أَنْ تَرَاهَا عَلَى مَا تَرَكَ عَلَيْهِ إِذَا كُنْتَ عَلَى غَيْرِ تَهَيَّئَةٍ؟)، قلت: لا، فقال عليه السلام: (فَهُوَ ذَاكَ).

ولله در الشاعر القائل :

إذا ما رأت عيني جمالك مقبلاً  
وحقك يا رuchi سكرت بلا شرب

فالإمام عليه السلام يدرك أن الاستمالة تشكل النقطة المركزية في الحياة المشتركة لكلا الزوجين، لذلك يراعي حقَّ الزوجة، ويسعى إلى استمالة قلبها من خلال التهيئة، ولأن عدم التوافق في هذا الجانب يعتبر من الأسباب الأساسية في الإخفاق في الزواج.

صحيح أن الزواج في الإسلام ليس هو إشباع شهوة الجنس، فالجنس مجرد وسيلة للوصول إلى الغاية من الزواج، وهي: رفد الحياة الإنسانية بجيل صالح، إلا أن ذلك لا يُبرِّر إهمال حقَّ الزوجة في المتعة الجنسية، لذلك لا يجوز الشرع هجرها أكثر من أربعة أشهر.

**أن يتعاهد الزوج زوجته بالهدية:**

فإن الهدية مما تجلب المحبة والمودة وتبعد العداوة والبغضاء والحقد وتحل المشاكل العويصة والكبيرة فينبغي للزوج أن يتعاهد زوجته في الأوقات المختلفة بأن

يقدم لها هدية بما يتناسب مع حالها وما ترغب فيه وهذا مما يزيد في عفتها وقد أكدت على ذلك الروايات المتعددة، والهدية لها نتائج طيبة منها:

١- زرع المحبة أو تعميقها كما قال الإمام الصادق عليه السلام: (تَهَادَوْا تَحَابُّوا).  
وَعَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ تَهَادَوْا بِالنَّبِيِّ تَحِيًّا لِلْمَوَدَّةِ وَالْمَوَالَاةِ).

والنبي: ثمر شجرة السدر. وذكر النبي من باب المثال وليس للخصوصية فيه.

٢- أن تذهب بالعداوة، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: (الْهَدِيَّةُ تَسْلُ السَّخَائِمَ) والسَّخِيمَةُ: الحقد في النفس والضغائن. أي أن الهدية تسلب الحقد من النفس.  
وَعَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَيَقُولُ تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَسْلُ السَّخَائِمَ وَتُحْلِي ضَغَائِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْأَحْقَادِ).

٣- الهدية تقضي الحوائج كما قال الإمام الصادق عليه السلام: (نِعَمَ الشَّيْءُ الْهَدِيَّةُ أَمَامَ الْحَاجَةِ).

وَعَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ نِعَمَ الشَّيْءُ الْهَدِيَّةُ أَمَامَ الْحَاجَةِ، وَقَالَ تَهَادَوْا تَحَابُّوا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَذْهَبُ بِالضَّغَائِنِ.

### الهدية من الزوج مما يزيد في عفة الزوجة:

كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (هَبَةُ الرَّجُلِ لِرَوْجَتِهِ تَزِيدُ فِي عِفَّتِهَا).

### الإسراع في التهادي:

ينبغي إذا قدم أحد هدية أن يُرد الجميل وأن يهديه الآخر هدية أخرى ليحصل التهادي من الطرفين فإن ذلك أسرع لتواتر الهدايا فقد روى الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين قال: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (عَجِّلُوا رَدَّ ظُرُوفِ الْهَدَايَا فَإِنَّهُ أَسْرَعُ لِتَوَاتُرِهَا).

قال فتى الأحساء بعد اهدائه هدية لزوجته:

تَحِيرْتُ قَافِيَتِي بَيْنَ أَسْفَارِي      لَأَكْتُبَ فِيكَ أَحْلَى أَشْعَارِي  
حُرُوفُ لُغَتِي دُونَكَ مُلْحَنَةٌ      قَوَاعِدُهَا أَنْتِ، وَأَنْتِ أَذْكَارِي  
يَا نَخْلَةً بَيْنَ الْوَاحَتَيْنِ مَثْمَرَةً      جَذْرُهَا بَنْجَرَانِ وَظِلُّهَا فِي دَارِي  
يَا فَتَاةَ الْوَاحَتَيْنِ لَا زِلْتُ فَتَى      مَجْرَتُهُ تَدُورُ فِي فَلَكِكَ السَّارِي  
أَنْتِ الْوَفَاءُ إِسْمًا وَمَنْقَبَةً      مَاضِيهِ مُسْتَمَرٌّ وَفِعْلُهُ أَمْرُهُ جَارِي  
أَهْدِيكَ قَلْبِي فِي يَوْمٍ مَكْرَمَةٍ      نَقْشُهُ حَبَا مَخْتُومًا بِأَعْلَى تَذْكَارِي

ولقد دلت دراسة حديثة: أن كرم الزوج هو المفتاح السحري للسعادة الزوجية ولضمان حياة سعيدة. قد تحلم الكثير من الفتيات بصفات كثيرة لفارس الأحلام، من حيث الوسامة والشاعرية، لضمان حياة سعيدة، إلا أن أحدث الدراسات تشير إلى أن كرم الزوج يعد من أهم الصفات التي تلعب دوراً مهماً في ضمان حياة سعيدة هادئة بين الزوجين. وأوضحت الدراسة أن الزوجين اللذين يتمتعان بمعدلات مرتفعة من الكرم المتبادل، سواء المعنوي أو المادي في علاقتهما، هم أكثر عرضة بمعدل خمسة أضعاف للتمتع بسعادة غامرة في علاقتهم.

وفي أبحاث طبية أشارت إلى أن التناغم في العلاقة الحميمة بين الزوجين تعد المؤشر الوحيد والأهم في مدى تمتع الزوجين بتوافق وسعادة لتحتل المرتبة الأولى، إلا أن الأبحاث الطبية الحديثة أشارت إلى أن هذا العامل يأتي في المرتبة الثانية، بعد تدفق المشاعر والكرم المتبادل بين الزوجين. كما شدد الباحثون على أن قيام الزوجين بعدد من المهام المشتركة أو الأعباء المنزلية معاً، مثل إعداد قهقه من القهوة أو إعادة ديكورات المنزل معاً، تعد من الأنشطة التي تعمل على تعزيز الروابط العاطفية والشاعرية بينهما. ومن نافلة القول أن نذكر هذه الوصية الرقيقة الرائعة وانظروا إلى ما فيها من جمال التعبير وحسن اللغة، إنها وصية أم لإبنتها:

كانت أمامة بنت الحارث التغلبية من فضليات النساء في العرب، ولها حكم

مشهورة في الأخلاق والمواظظ.. لما تزوج الحارث بن عمرو ملك كندة ابنتها أم إياس بنت عوف، وأرادوا أن يحملوها إلى زوجها أوصتها أمها في ليلة الزفاف إلى زوجها بوصية قيمة تقول فيها:

### الوصية:

أي بنية أن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك. ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتها إليها كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.

أي بنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلّفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفه وقرين لم تألفه، احفظي له خصالاً عشرًا يكن لك ذخراً.

- أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

- أما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلاّ أطيب ريح.

- أما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه؛ فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

- وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بهاله، والإرعاء على حشمه وعياله. وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

- وأما التاسعة والعاشر: فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سرّاً؛ فإنك إن خالفت أمره أو غرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره.

- ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتماً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً.

وهذه نصيحة قدماء الفراعنة للزوج:

«كن سيداً في منزلك، واحب امرأتك حبا خالصاً، أعطها كفايتها من الطعام، واستحضر لها أصنافاً مختلفة من الملابس، واشتر لها العطر فإنها تحبه، اجعلها سعيدة

ما دمت حيا، فإن المرأة مرآة لزوجها ينعكس ما يبذله في سبيل سعادتها ورغدها. لا تكن خشنا في بيتك فاللين يحرك قلب المرأة، بينما الغلظة وعدم المجاملة تستفزها. قربها إليك وسمها بأسماء معززة، وجلها واحترمها، أظهر لها حبك وحنانك دائما، وإياك وغضب الأم فإنها إن تضرعت إلى الله وشكتك فإن الله سميع لها شكايته ويعاقبك على ذلك».

### وختاما مع وصية رسول الله ﷺ حيث يقول:

«ألا خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي» ومع ترحم الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «رحم الله عبدا أحسن فيما بينه وبين زوجته فإن الله عز وجل قد ملكه ناصيتها وجعله القيم عليها.

فالزوجة يجب أن تطيعه في طاعة الله وتحافظ على شؤونها وما ملكت يدها ولا تعصي له أمرا إلا إذا كان فيه معصية الله فعندها تسقط طاعته إذا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».







## حق الرعية بملك اليمين

### رحلة حقوقية

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا  
فإننا على آثارهم نتلاحق  
فكن عالما أن سوف تدرك من مضى  
ولو عصمتك الراسيات الشواقي  
فما هذه دار المقامة فاعلمن  
ولو عمر الإنسان ما ذر شارق

### التربية العالية والخلق الرفيع :

كان ﷺ يُعامل عبيده كأخوة وأصدقاء وأبناء، وكان يجالسهم ويؤاكلهم  
ويمازحهم ويزوّجهم، ويزرع فيهم الثقة والاعتزاز بالنفس وبالدين.  
ومن مصاديق ذلك قصته مع خادمه الذي استعجل بشواء جاء به إليه لضيوفه،  
وسقوط سفود الشواء على رأس طفل له وقتله في الحال، وحين رأى الإمام تغير حال  
الغلام واضطرابه عاجله بقوله: «لا عليك، إنك لم تتعمّد قتله، وأنت حرّ لوجه الله»  
وأخذ في جهاز ولده ودفنه، فإنّها قصة تعبّر عن تسامٍ رفيع ومناقبية عظيمة راحت  
حكاية للأجيال.

وقصته الأخرى مع جارية له كانت تحمل له إبريقاً، إذ سقط الإبريق من يدها ليشج وجه الإمام ويسيل دمه، وحين اضطربت، معذرة إليه قائلة «والكاظمين الغيظ» قال لها: «كظمتُ غيظي» فقالت: «والعافين عن الناس» قال: «عفا الله عنك» فقالت: «والله يحب المحسنين» قال «أنتِ حرّة لوجه الله».

هذه القصة هي الأخرى جاءت في سياق هذه التربية الرسالية الهادفة لذلك الغرض النبيل، وهو تعليم الناس دين الله وأخلاق الإسلام، والتثقيف بثقافة القرآن. رحلتنا الحقوقية تواصل سيرها وتفتح لنا تاريخاً مشرقاً نبيلاً لأفضل من أقلت الأرض لنأخذها نموذجاً نحتذي بها في حياتنا وها نحن نصل إلى الحق الأخير من حقوق الرعية وهو: حق الرعية بملك اليمين.

### حق الرعية بملك اليمين

وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِمَلِكِ الْيَمِينِ فَإِنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ  
خَلَقَ رَبَّكَ، وَلَحْمُكَ وَدَمُكَ وَأَنْتَ  
تَمْلِكُهُ لَا أَنْتَ صَنَعْتَهُ دُونَ اللَّهِ وَلَا خَلَقْتَ لَهُ  
سَمْعًا وَلَا بَصَرًا وَلَا أَجْرَبْتَ لَهُ رِزْقًا وَلَكِنَّ  
اللَّهَ كَفَاكَ ذَلِكَ، ثُمَّ سَخَّرَهُ لَكَ وَاتَّيَمَّنَكَ  
عَلَيْهِ وَاسْتَوْدَعَكَ إِيَّاهُ لِتَحْفَظَهُ فِيهِ وَتَسِيرَ فِيهِ  
بِسِيرَتِهِ فَتُطْعِمَهُ مِمَّا تَأْكُلُ وَتُلْبَسَهُ مِمَّا تَلْبَسُ وَلَا  
تُكَلِّفُهُ مَا لَا يُطِيقُ، فَإِنْ كَرِهْتَهُ خَرَجْتَ إِلَى  
اللَّهِ مِنْهُ وَاسْتَبَدَّلْتَ بِهِ وَلَمْ تُعَذِّبْ خَلْقَ اللَّهِ  
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

كدأب القرآن الكريم الذي لا يترك شأننا يخص الحياة الاجتماعية إلا تطرق إليه ومن هذه الشؤون شأن الرق وذكره القرآن الكريم تحت مسمى ملك اليمين كما في

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ النساء: ٣٦، وتارة أخرى تحت مسمى رقبة «كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ \* فَكُ رَقَبَةً - العلق: ١٣.

وهذه إحصائية تبين مدى اهتمام القرآن الكريم بهذه القضية، فذكرت:

- كلمة ملكت أيما نكم ٧ مرات
- وكلمة ملكت يمينك «مرتان».
- وكلمة رقبة مصحوبة بكلمة تحرير وفك ٦ مرات.
- وكلمة ملكت أيما نهن «مرتان».
- وكلمة وفي الرقاب «مرتان».
- وكلمة ملكت أيما نهم ٣ مرات.
- وكلمة أمة «مرة واحدة».

كل ذلك اهتماما بقضية الرق، على أن القرآن الكريم لم يذكرهم بإسم العبيد وذلك لاستعماله الكلمات المؤدبة الرائعة في هذه القضية وفي كل القضايا إلا من باب المثال أو «المثل»، (وكمثال على ذلك قوله ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ كناية عن الخلاء، أو قوله تعالى ﴿أَوْ لَا مَسْتُمْ النِّسَاءُ﴾، أو ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ كناية عن الجماع). وسار أهل البيت على هذا المنوال والطريق لكي يتخلص من الرق تدريجيا كما سيأتينا في البحث.

فهذا الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان من المراحل الأولى التي يشتري فيها العبد يهيؤه للعتق: يبدأ بتعليم العبد، وتثقيفه ثقافة إسلامية، وتأديبية بالآداب التي يريدها الإسلام. وبعد ذلك يعتقه لوجه الله لا على نحو الجزاء عن كفارة ليكون الغرض من العمل هو التقرب الصرف لله سبحانه، ونيل مرضاته. وكان يقوم بتزويده بالمال ليساعده على الاستعانة به في الكسب والتجارة ليشق طريقة

في هذه الحياة من جديد لا أن يكون كلاً على الناس كما كان كلاً على مولاة قبل عتقه.

وكان عليه السلام يتحين الفرص المناسبة لعتقهم، ويكون ذلك في موسم الأعياد من شهر رمضان، أو الأضحى ليضيف إلى فرحة العتق فرحة استقبال العيد بحرية كاملة.

لقد ذكرنا في حق «سائسك بالملك» شيئاً من التفصيل عن الرق وسياسة الإسلام في التعامل معهم وتحريرهم، وحيث أن الموضوع يبدوا مهما للغاية مما جعل الإمام عليه السلام يذكره في موضعين، ونحن لا تفوتنا الفرصة أن نذكر شيئاً عن الطريقة المثلى لمعاملة الرقيق تماشياً مع توصية إمامنا زين العابدين.

ملك اليمين هم العبيد والإماء الذين تحت أخيهم الإنسان، وقد جهد الإسلام منذ يومه الأول في سبيل تحريرهم وإخراجهم من ذل الرق والعبودية إلى عز الإنطلاق والحرية، فتارة يأمر بعتقهم وفك أسرهم، وأخرى يجعل حرية العبد فرضاً إذا نكل به مولاة فيقول الإمام جعفر بن محمد عليه السلام:

«قضى أمير المؤمنين فيمن نكل بمملوكه انه حر لا سبيل له عليه سائبة يذهب إلى من أحب».

وثالثة يجعل عتق العبيد فرضاً في إفطار شهر رمضان والظهار والحنث في اليمين، ورابعة يرصد قسطاً من الزكاة لتحريرهم، إلى آخر المحاولات العظيمة التي أعطت أعظم النتائج وأحسنها حيث تسابق المسلمون في سبيل التحرير والإعتاق وقد سجل الأئمة من أهل البيت أعظم الأرقام القياسية في هذا المضمار فكانوا يحررون من يقع تحت أيديهم بعد تعليمهم وتهذيبهم وتأديبهم.

وهنا يعلل الإمام وصيته في الرفق بملك اليمين، الإنسان المالك لم يكن هو

الذي خلق هذا المملوك، ولا هو الذي أعطاه سمعا ولا بصرا، ولا هو الذي أجرى له رزقا، وإنما الله هو الذي تكفل بهذه جميعا. فهو الذي جعل له السمع والبصر والفؤاد، وهو الذي أوفر من أمره كل شئ، وبعد ذلك جعله مسخرا للمالك يتصرف لا بنفسه ولا بروحه ولا بكل شئ فيه، وإنما للمالك فقط حق الأمر، وعلى المملوك حق الطاعة إلا فيما يخالف أمر الله.

إلا أننا نستنتج من هذه الوصية الربانية المعاملة التي يجب أن يعامل به ملك اليمين وهي تشمل ولكن لا تقتصر على الآتي:

- أن العبد ذو نفس إنسانية كالنفس التي في الحر لا فرق بينها وبينها بشئ، لا كما يراها بعض فلاسفة اليونان في الممالك والرقيق وهو أن ليس للرقيق روح مثل الروح التي في الأحرار، وإنما هي روح غير انسانية «بمعنى أنها روح حيوانية لا تفرق عن روح سائر الحيوانات» لذلك فهي مسخرة لنا وتحت تصرفنا.

- المعاملة الحسنة وفيها عدة أمور:

١- تطعمه مما تأكل، فعن رسول الله ﷺ يقول: «أرقاؤكم فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، وإن جاؤوا بالذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله، ولا تعذبوهم»، وقال ﷺ «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه فليناول له لقمة أو لقمتين، أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي علاجه»

٢- تلبسه مما يلبس، جاء عن معرور بن سويد قال: «رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه «وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك فقال: إني ساببت رجلا فشكاني إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية.

ثم قال: إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما

يغلبهم فأعينوهم».

### وتقصيل ذلك:

أن معرور بن سويد لقي أبا ذر بالربذة، وعليه حلة وعلى خادمه مثلها، فسأله كيف يلبس خادمه مثل ما يلبس، وذلك غير معهود. فأجابه ببيان السبب. وأنه حصل بينه وبين شخص سباب ومشاتمة، وأنه عايره بأمه وعابه بها، وقال له: يابن الأعجمية أو يابن السوداء.

٣ - لا تكلفه ما لا يطيق، نهى رسول الله ﷺ أن نكلفهم من الأعمال ما يشق عليهم، ويهدقوتهم، أو يستفرغ جهدهم، بل التكليف بالسهل المستطاع الذي لا يسأمه الخادم، فإن كلفتموهم بالشاق وجب علينا أن نعينهم بنفوسنا أو بخدم من خدمنا. والحديث السابق ذكره نصر للخدم والأخذ بيدهم، ورفع لمستواهم وتنبيه لهم إلى حقوقهم قبل ساداتهم، وإرشاد لأرباب البيوت أن يقفوا منهم موقف العدالة، ولا يتناسوا رابطة الأخوة، ولا تبادل المنافع. قال تعالى :

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦).

وما أجمل وصية الإمام الغزالي في هذا المجال وقد خصص بابا في كتابه «إحياء علوم الدين» بإسم حقوق المملوك: وذكر فيه قول الرسول ﷺ للسادة «إن الله ملككم إياهم، ولو شاء لملكهم إياكم». فالله تعالى قادر على تبديل الحال إن شاء، فلتحمدوا الله أيها الأحرار، وبعض هذا الحمد أن تتقوا الله في الرقيق وتحسنوا إليهم، ولتلمزوا التواضع لله، ولتنبذوا الكبرياء والترفع عليهم، وإلا أذاقكم الله هوان الرق بدوركم في الدنيا، مع شدة العذاب في الآخرة. وقد ذكر الإمام القرطبي حديثاً في تفسيره للآية ٣٦ من سورة النساء نصه: «لا يدخل الجنة سيئ الملكة» أي الذي يسيء

معاملة من هم تحت يده.

#### ٤ - إباحة الزواج بالرقيق:

ومن مفاخر الإسلام العظيمة أنه أباح زواج الأحرار من الرقيق، بل هو محمول على الندب عند الجمهور لعموم قوله تعالى ﴿وانكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ الآية ٣٢ من سورة النور. وكان هذا محظوراً قبل الإسلام، وكانت القبائل الأوروبية تحكم على الحرّة التي تتزوج بعبد أن يحرقاً معاً!! وإذا تزوج حرّ بأمة كان يسترق بدوره ويصبح عبداً!! أما في الإسلام فقد اتفق الفقهاء على إباحة أن ينكح العبد أمة، وأن تنكح الحرّة عبداً إذا رضيت بذلك، والرأي الراجح أنه يجوز للحرّ أن ينكح أمة بإطلاق.

ومن يطالع السيرة العطرة وتاريخ الصحابة سوف يجد تطبيقات عملية كثيرة بهذا الخصوص. فقد زوّج النبي صلى الله عليه وسلم ابنة عمته زينب بنت جحش بمولاه زيد بن حارثة، وذكر البخاري في باب الأكفاء في الدين أن أبا حذيفة زوّج ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة من مولى هو «سالم». وأشار النبي ﷺ على القرشية الحسبية النسبية فاطمة بنت قيس بالزواج من مولاه أسامة بن زيد، وفَضَّله على خاطبيها الآخرين معاوية بن أبي سفيان، وأبي جهم وهو من الأحرار أيضاً. وتزوج بلال رضي الله عنه هالة بنت عوف وهي أخت عبد الرحمن بن عوف، انتهى.

هذا ولا يغيب عن اذهاننا أن بعض امهات الأئمة المعصومين هن أمهات ولد وكن من ارقى البيوت واشرف العوائل في بلداهن فكن وعائاً للإمامة ومثالا للعفة والطهارة والشرف.

٥ - إن كرهته استبدلت به غيره: إن لم يعامل المالك مملوكه بما ذكرناه سابقا من الخلال الجريمة فما أيسر أن يتخلص منه بعتقه واستبدال به مملوكا آخر والإحسان عليه كما فعل العظام من أئمة المسلمين، فهذا على بن أبي طالب وبنوه فقد أعتقوا آلافاً

مؤلفة من الرقيق ابتغاء مرضاة الله تعالى. وكان على يقول: إني استحي أن أسترق من يوحد الله. ويكفي أن حفيده علي بن الحسين اشتهر بلقب «محرر العبيد» لكثرة من أعتقهم. وهو صاحب القصة الشهيرة عندما كانت جارية تصب عليه ماء الوضوء، فوقع الإناء من يدها على رأسه فجرحه وأسال دمه، فنظر إليها غاضباً فقالت له: سيدي إن الله تعالى يقول: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغِيَظُ﴾ فأجاب: قد كظمت غيظي، قالت ويقول تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال: قد عفوت عنك، قالت: ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ - الآية ١٣٤ من سورة آل عمران - فقال عليه السلام: اذهبى فأنت حرة لوجه الله.







## حق الأم

### رحلة حقوقية

الأم مدرسة إذا أعددتها  
أعددت شعباً طيب الأعراق  
الأم روض إن تعهده الحيا  
بالري أورك أيماً إIraq  
الأم أستاذ الأساتذة الألى  
شغلت مآثرهم مدى الآفاق

فهذا «علي بن الحسين» كان كثير البر بأمه، ومع ذلك لم يكن يأكل معها في إناء واحد، فسئل: إنك من أبر الناس بأمك، ولا نراك تأكل معها؟!

فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها.

ولا يخفى علينا أن والده الإمام قد توفيت في نفاسها، ومع ذلك انظر إلى خلق الإمام العالي وتعامله مع من هي بمنزلة أمه.

وقد ذكر المجلسي أن هذه السيدة الطاهرة توفيت في نفاسها بالإمام زين العابدين عليه السلام بعد أن ولدته.

ها قد وصلنا إلى باب حقوق الرحم وأول حق من هذه الحقوق حق الأم.

## حق الأم

فَحَقُّ أُمِّكَ، فَإِنْ تَعَلَّمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لَا  
يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَدًا وَأَطْعَمَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا  
مَا لَا يُطْعِمُ أَحَدٌ أَحَدًا، وَأَنَّهَا وَقَّتْكَ بِسَمْعِهَا  
وَبَصَرِهَا وَيَدِهَا وَرِجْلِهَا وَشَعْرِهَا وَبَشَرِهَا  
وَجَمِيعِ جَوَارِحِهَا مُسْتَبْشِرَةً بِذَلِكَ، فَرَحَةً  
مُؤَابَلَةً، مُحْتَمِلَةً لِمَا فِيهِ مَكْرُوهُهَا وَأَلَمُهَا  
وِثْقُلُهَا وَغَمُّهَا حَتَّى دَفَعَتْهَا عَنْكَ يَدُ  
الْقُدْرَةِ وَأَخْرَجَتْكَ إِلَى الْأَرْضِ فَرَضِيَتْ  
أَنْ تَشْبَعَ وَتَجُوعَ هِيَ، وَتَكْسُوكَ وَتَعْرِى،  
وَتُرْوِيكَ وَتَظْمَأُ، وَتُظْلِكَ وَتَضْحَى،  
وَتُنَعِّمَكَ بِبُوسِهَا، وَتُلَذِّدُكَ بِالنُّومِ بِأَرْقِهَا،  
وَكَانَ بَطْنُهَا لَكَ وِعَاءً، وَحِجْرُهَا لَكَ  
حِوَاءً، وَثَدْيُهَا لَكَ سِقَاءً، وَنَفْسُهَا لَكَ  
وِقَاءً، تُبَاشِرُ حَرَّ الدُّنْيَا وَبَرْدَهَا لَكَ  
وَدُونَكَ، فَتَشْكُرُهَا عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَلَا تَقْدِرُ  
عَلَيْهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ

لو لم يكن في القرآن الكريم إلا هذه الآية في حق الوالدين لكفى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

جاء في الميزان لتفسير القرآن: قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ عطف على سابقه أي وقضى ربك بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا والإحسان في الفعل يقابل الإساءة.

وهذا بعد التوحيد لله من أوجب الواجبات كما أن عقوقها أكبر الكبائر بعد الشرك بالله، ولذلك ذكره بعد حكم التوحيد وقدمه على سائر الأحكام المذكورة المعدودة وكذلك فعل في عدة مواضع من كلامه.

هذه الرابطة العاطفية المتوسطة بين الأب والأم من جانب والولد من جانب آخر من أعظم ما يقوم به المجتمع الإنساني على أسسه، وهي الوسيلة الطبيعية التي تمسك الزوجين على حال الاجتماع فمن الواجب بالنظر إلى السنة الاجتماعية الفطرية أن يحترم الإنسان والديه بإكرامهما والإحسان إليهما، ولو لم يجر هذا الحكم وهجر المجتمع الإنساني بطلت العاطفة والرابطة للأولاد بالأبوين وانحل به عقد الاجتماع.

وفي تفسير العياشي، عن أبي ولاد الحناط قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ فقال: الإحسان أن تحسن صحبتها ولا تكلفها أن يسألك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين أليس الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؟ ثم قال أبو عبد الله عليه السلام أما قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ﴾ قال: إن أضجراك فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما إن ضرباك، وقال: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ قال: تقول لهما: غفر الله لكما فذلك منك قول كريم، وقال: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يديك فوق أيديهما، ولا تتقدم قدامهما.

وفي الكافي، بإسناده عن حديد بن حكيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أدنى العقوق أف، ولو علم الله عز وجل شيئاً أهون منه لنهى عنه.

ما أعظم حق الأم ولو بذلنا أقصى مجهودنا ما وفينا ولا بنفس من أنفاسها كيف وهي التي عانت وأعطت وضحت منذ من لم نكن شيئاً، منذ ونحن أجنة بل ونحن مضغة، بل ونحن علقة ونطفة.

فحبذا لو قمنا برحلة مع الدكتور خالص جليبي في كتابه الطب محراب الإيمان ليطلعنا كم أننا هي معطاءة ومضحية، يقول بعد أن تتلقح البويضة بالحيوان المنوي وتتكون العلقة:

«وهكذا نرى أن العلقة الإنسانية تصبح محاطة من كل الجوانب بالزغابات الكوريونية التي تمتص من الدم كل ما يلزم لتخلق الجنين من الماء والأملاح المعدنية والفيتامينات والكريات والاحينات والدسم فهل هناك أعجب من أن يكون المرء في غرفة، والمواد الغذائية من فواكه وخضروات ومأكلات طيبة ووجبات دسمة تقدم له من السقف والأرض والنوافذ وجدران الغرفة، إن هذا هو ما يحصل بالضبط للعلقـة الإنسانية حين تتغذى!! لو دخلنا إلى داخل هذه العلقـة لوجدنا أن بعض المناطق منها لها شكل يختلف عن بقية المناطق، هذا المكان رقيق يشبه اللوحة أو القرص الصغير سمي باللوحة المضغية وهو أبعد الأماكن التي يتخيلها الذهن والتي يمكن أن تكون مصدر الكيان الإنساني، وهكذا نرى أن أكـداس الخلايا التي تكونت وشكلت ما يعرف بالتوتة يختص قسم منها بالتكوين الخارجي للمضغة ويختص قسم صغير منها في تكوين الخريطة الأولى للمساحة الإنسانية، هذه اللوحة يسمونها بمجموع الوريقات التي ستتخلق منها الأعضاء وهي تعرف بالوريقة الباطنة والظاهرة والمتوسطة فلنر الآن كيف ستبدأ عملية التخلق، تظهر ميزابة في وسط المضغة والتي ستكون في المستقبل الدماغ والنخاع كما تظهر بجانبها قطع عرفت بالقطع البدئية ومن هذه القطع تتولد الفقرات وامتدادها العظمي وهي عظام الأطراف ومنها العضلات حيث تمتد لتكون عضلات كل الجسم، والعجيب أن العظام تتكون بالأصل ثم تأتي العضلات بعد ذلك لتكسوها وصدق الله العظيم ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَاهَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ ثم تبدأ العملية الجبارة في خلق أعضاء الجنين فطائفة من الخلايا تختص بالحواس وأخرى بالعظام وثالثة بالعضلات ورابعة بالأجهزة وهكذا يتكون من الوريقة الباطنة الرغامى والقصبـات والرئتان والبلعوم والأنبوب الهضمي والكبد

والمعقدة كما يتشكل من الوريقة المتوسطة المجمعة ونسيج الرأس الضام وعضلاته وعضلات الأطراف وهيكल العظام والجهاز التناسلي وغشاء الجنب (غشاء الجنب يغلف الرئتين) والتامور (غشاء يغلف القلب) والصفاق (غشاء يغلف الأمعاء) والقلب والعروق، والبلغم والجملة البيولية، كما يتكون من الوريقة الظاهرة بشرة الجلد والعناصر الملحقة به من غدد وأشعار وأظافر وأعضاء الحواس والجملة العصبية فكيف خططت كل هذه الأجهزة وكيف سار البناء في نسق واحد بحيث أن كل مجموعة خلوية تقوم ببناء جهاز خاص بل نسيج خاص وهي لا تعمل مستقلة بل متعاونة مع غيرها بحيث أن كل جهاز يأخذ مكانه الطبيعي.

والآن بعد أن اكتمل تكوّن الإنسان ورسمت خريطته بشكل إجمالي في الشهرين الأولين (حيث يعتبر الشهر الأول مرحلة بيضية لأن شكل الإنسان ما زال في طور البيضة والشهر الثاني يعتبر مرحلة مضغية لأن شكل الإنسان وكأنه قطعة لحم مضغوطة) يدخل الإنسان مرحلة الجنين الكامل حيث تتكامل أعضاؤه وتتميز وتأخذ الشكل النهائي. ثم يبدأ في الشهر الثالث لينمو نمواً جديداً فلقد وجد العلماء أن الرغابات التي كانت تقضم خلايا الرحم وتكون بركاً دموية للتغذية والتي كانت تحيط بالعلقة من كل جهة تستحيل من جميع الأماكن خلا موضعاً واحداً حيث تتكون المشيمة، وأما المشيمة، وما أدراك ما المشيمة فإنها المصفاة الامنية والمغذية العاقلة والمديرة الحكيمة لأُمور الحياة للجنين فهي التي تمتص الدم من رحم الأم وتدفعه إلى دوران الجنين وهي التي تهضم الطعام مثل الأحيات بحيث أنه تجعلها بسيطة مستساغة ثم تبعث بها إلى الجنين حتى لا يتضايق منها خاصة وإن الكبد لا يقوم بعمله إلا في دور متأخر وهي التي تدخل الغازات والماء والأملاح المعدنية والسكريات إلى الجنين، ولولاها لما عاش لحظة واحدة وإذا مرت دسم ثقيلة بعثت بخمائرهما حتى تحيلهما إلى صابون دسمي يمكن إمراره إلى دم الجنين ثم تفكيكه بعد ذلك حتى يستفيد منه الجنين كما أن السكر إذا فاض عند الحاجة انقلبت خلايا المشيمة إلى مستودعات تخزين لمولد السكر

حتى يحل بعد ذلك في الوقت المناسب الذي يحتاج إليه الجنين، وأما الخلايا الأممية من المشيمة فهي تفرز العديد من الهرمونات التي تكفل للجنين أن يتابع حياته كما تحافظ على الاستقرار والاتزان في اخلاط جسم الجنين ومفرزاته، فمن الذي لقنها كل هذه الدروس وخطط لها كل هذه البرامج؟!

ثم ننظر لنرى حماية الجنين المدهشة وهو مدفون في الأعماق وهو حي ومع أن جلد البطن وعضلاته مع الأحشاء بالإضافة على سماكة الرحم كل هذا يحميه مع ذلك كله فإنه محاط بثلاثة أغشية وهي الساقط والكوريوني والأمنيوسي مما يجعل الإنسان يدهش لقول الله تعالى حينما يقول ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ الزمر: ٦.

هذا ما عناه الإمام زين العابدين عليه السلام: «فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَدًا وَأَطْعَمَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لَا يُطْعِمُ أَحَدٌ أَحَدًا، وَأَنَّهُ وَقَتَكَ بِسَمْعِهَا وَبَصَرِهَا وَيَدَهَا وَرِجْلَهَا وَشَعْرَهَا وَبَشَرَهَا وَجَمِيعَ جَوَارِحِهَا مُسْتَبْشِرَةً بِذَلِكَ، فَرِحَةً مُّوَابِلَةً، مُحْتَمِلَةً لِمَا فِيهِ مَكْرُوهُهَا وَأَلْمَهَا وَثِقَلُهَا وَغَمُّهَا حَتَّى دَفَعَتْهَا عَنْكَ يَدُ الْقُدْرَةِ وَأَخْرَجَتْكَ إِلَى الْأَرْضِ».

وبعد هذا تعاني آلام الحمل وصعوباته جسديا ونفسيا قال تعالى:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ - لقمان: ١٤.

وهل تنتهي مهمة الأم إلى هنا، كلا. وما أروع الصورة التي يرسمها الإمام الحسين في دعائه يوم عرفة وابنه الإمام زين العابدين في رسالة حقوقه، قال إمامنا الحسين:

«وَرَزَقْتَنِي مِنَ الْغَدَاءِ لَبَنًا مَرِيًّا، عَطَفْتَ عَلَى قُلُوبِ الْخَوَاصِّ، وَكَفَلْتَنِي الْأُمّهَاتِ

الرَّحَائِمَ». وقال ابنه علي سلام الله عليه «وَأَخْرَجَتْكَ إِلَى الْأَرْضِ فَرَضِيَتْ أَنْ تَشْبَعَ وَتَجُوعُ هِيَ، وَتَكْسُوكَ وَتَعْرِى، وَتُرْوِيكَ وَتَظْمَأُ، وَتُظْلِلُكَ وَتَضْحَى، وَتَنْعَمَكَ بِبُؤْسِهَا، وَتَلَذَّذُكَ بِالنَّوْمِ بِأَرْقِهَا، وَكَانَ بَطْنُهَا لَكَ وِعَاءً، وَحِجْرُهَا لَكَ حِوَاءً، وَثَدْيُهَا لَكَ سِقَاءً، وَنَفْسُهَا لَكَ وَقَاءً».

دعونا مرة أخرى نرحل في كتاب الطب محراب الإيمان وعجائب تغذية الطفل وما ينطوي عليه الأمر من أسرار يحار الطب والعلم في تفسيرها ومنها كيف سيتغذى هذا الوليد بعد أن جاء إلى هذا العالم الجديد وهو غريب عليه ولم تعد معه تلك المشيمة التي كانت تقدم له الطعام مهضوماً جاهزاً، أن الإرادة الحكيمة هيأت له الثدي كأحسن ما يكون فلننظر بدقة إلى كيفية هذا التكوين:

خلال الحمل تكون الأوامر المرسلة للثدي هي بالاستعداد فقط وهي هنا تكاثر الغدد ولذا نرى حوالي ٢٥ فصاً عذباً للبن ومتى حان الوضع ترسل النخامة أوامرها لغدد الثدي بالإفراز ويبدأ الإفراز، وهنا نتساءل كيف تحول الدم الذي يغذي الثدي إلى لبن مفيد للطفل حقاً أنه سر من الأسرار العجيبة المدهشة فلقد وجد أن طريقة وصول المواد الدسمة وغيرها عن طريق اللبن هو عن طريق الإفراز العائد للخلية، ومعنى هذا أن الخلية الغدية تمتلئ بكرات الدسم فلا تستطيع عبور الغشاء الخلوي فينجرف مقدمة الخلية مع كرات الدسم ثم تعود الخلية مرة أخرى فتجدد الغشاء الخلوي وما ذهب منها، وهكذا ولقد وجد أن اللبن يحتوي على كافة المواد التي يحتاجها الجسم وأن تركيز المواد فيه يختلف مع تطور عمر الطفل، كما أن اللبن معقم فلا يحتوي على الجراثيم بالإضافة إلى أن أجسام المناعة تمر من خلاله مما تعطي الطفل مناعة مهمة ضد الأمراض وذلك من دم والدته، وإذا ذهبنا نعدد مزايا حليب الأم وأفضليته على باقي أنواع الحليب سواء حليب الحيوانات أو الحليب المجفف فإنه يتفوق بشدة، وهذا كله من رحمة الله بهذا المخلوق الذي يولد ضعيفاً وهو يحتاج

للرحمة والعناية والغذاء فأمن له كل ذلك وبشكل متناسق فتغذية الطفل تخلق حناناً وعطفاً ورحمة من الأم على ولدها وتشد الناحية الروحية العاطفية بينهما.

قال معروف الرصافي :

أوجب الواجبات إكرم أمي      إن أمي أحق بالإكرام  
حملتني ثقلاً ومن بعد حملي      أرضعتني إلى أوان فطامي  
ورعتني في ظلمة الليل حتى      تركت نومها لأجل منامي

فأي حق أعظم من حق الأم بعد حق الله الأعظم حيث أن الله قرن عبادته بالإحسان إليها ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

بل أي تاج توج به الإسلام هذه الأم إذ قال: «الجنة تحت أقدام الأمهات». وعليه فعلى الابن أن ينحني إلى ما تحت تلك الأقدام ليصل إلى الجنة إن أراد الوصول إليها.

ثم إن الإمام يدفع الولد إلى شكرها على هذا الجميل وهذه كانت وصية الله في كتابه ووصية نبيه في سنته وقد تكررت هذه الوصية بالوالدين كثيراً عن المعصومين عليهم السلام وخصوصاً في حق الأم التي بذلت وأعطت وقدمت ما لم يعطه أحد من الناس.

قال عليه السلام: «فتشكرها على قدر ذلك ولن تقدر عليه إلا بعون الله».

وفي السنة الشريفة عن أبي عبدالله عليه السلام الحديث المشهور:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله من أبر؟

قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟

قال: أباك.



وعند النسائي واحمد والحاكم وأبي داود «بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك» ولترمذي والحاكم «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب» وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه، فأبطأ يوما على أخوته، فسألوه فقال: كنت أتمرغ في رياض الجنة، فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الأمهات.

قال فتى الأحساء:

أماه ياجنة الخلد ويا أغلى العتبات  
أمينة مؤمنة آمنة ما زانها ترادف الكلمات  
قسمالوعمرت زمانيا ما رددت جميل المكرمات  
يا سائل الله جناته الجنة تحت أقدام الأمهات  
وعن عباس ابن مرداس «أنه قال: يا رسول الله إني أريد الجهاد. قال: ألك أم؟  
قال: نعم الزم أمك فإن الجنة عند رجل أمك».

وقال عليه السلام «لا ينبغي للرجل أن يخرج إلى الجهاد وله أب أو أم إلا بإذنها».

وقال عليه السلام «من أصبح ووالداه راضيان عنه فله بابان مفتوحان إلى الجنة». فلا ينبغي له أن يسد هذا الباب بالخروج بغير أذنها.

وفي جامع السعادات أن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أن رسول الله ﷺ، أته أخت له من الرضاعة، فلما نظر إليها سر بها، وبسط ملحفته لها، فأجلسها عليها، ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها، ثم قامت فذهبت وجاء أخوها، فلم يصنع به ما صنع بها، فقليل له: يا رسول الله، صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل، فقال: لأنها كانت أبر بوالديها منه».

وفيه عن الإمام الرضا عليه السلام: «ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حين وميتين ويصلي عنهما، ويتصدق عنهما، ويحج عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك، فيزيده الله عز وجل ببره وصلاته خيرا كثيرا».

وشكا رجل إلى رسول الله ﷺ سوء خلق أمه، فقال ﷺ «لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر، وحين أرضعتك حولين، وحين سهرت لك ليلها، وأضمأت نهارها. فقال الرجل: إني جازيتها وحججت بها على عاتقي فقال ﷺ: ما جازيتها ولا طلقة».

وكان ﷺ يقول: «حق الوالد أن تطيعه ما عاش، وحق الوالدة فهيها تهيها، ولو أنه عدد رمل عالج وقطر المطر أيام الدنيا قام بين يديها ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها».

هذا كله هو الذي أوجب للأُم عظم الحق والأولية بالرعاية، وكونها أولى بالطاعة من الوالد الذي لا صلة له بجلب تلکم الأتعاب والمشاق.

وما أجمل ما صاغه الألويسي في هذا المعنى:

لأُمك حق لو علمت كبير  
كثيرك يا هذا لديه يسير  
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي  
لها من جراها أنه وزفير  
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة  
فمن غصص كاد الفؤاد يطير  
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها  
وما حجرها إلا لديك سرير  
وتفديك مما تشتكيه بنفسها  
ومن ثديها شرب لديك نمير  
وكم مرة جاعت وأعطت قوتها  
حنوا وإشفاقا وأنت صغير

فدونك فارغب في عميم دعائها  
فأنت لما تدعو به لفقير

وجاء رجل إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله: أي الوالدين أعظم حقا؟  
قال ﷺ: «التي حملته بين الجنين وأرضعته الثديين، وحضنته على الفخذين  
وفدته بالوالدين».

وكم هي جميلة خماسية رشيد سليم الخوري وهي بعنوان «أمي»:

ولو عصفت رياحُ الهمِّ عَصفا      ولو قصفت رعودُ الموت قَصفا  
ففي أذنيَّ عند النزع صَوْتُ      يحوّل لي عزيْفَ الحِنِّ عزفا  
فيُطربني وذلك صوتُ أمّي

ولو مُلئتُ لي الجاماتُ صبرا      ولو جُرّعتُ حلَوَ العيش مُرّا  
ففي شفتيّ ينبوعٌ عجيبٌ      يُحوّل لي كؤوسَ الخلِّ حَمرا  
فيُسكّرُنِي، وذلك ذكرُ أمّي

ولو هجمتُ على قلبي البلايا      وهَدَّتْ سورَ آمالي الرّزايا  
فإن ببابِ فردوسي ملاكًا      يسُلُّ السيفَ في وجه المنايا  
فيحرُسُنِي، وذلك طيفُ أمّي

ولو أنّي رزئتُ بفقد مالي      وأصحابي، وأشعاري الغوالي  
فلي كنزٌ وقاه الله، غالي      من التّاج المرصّع بالالّاي  
ألا وهو الحنان بصدر أمّي

ومن الصور الرائعة رباعية الشاعرة بشرى الساروت لإمها في ذكرى وفاتها:

### «في ذكرى الرحيل»

ففي ذكرى الرحيل	تحلو ذكرىاتي
ففي ذكرك أمي	يا أجمل الأمهات
ففي حضنك أمي	عشت أحلى أمنياتي
ففي حجرك أمي	طاب عيشي وحياتي

\*\*\*\*

بعد فرقاك عشت بدوم	بسهر ليلي أعد نجوم
حنان الأم ما اشوفه	كأنني من حجر مبطوم
لا أنهاري كمثّل الناس	ولا بليلى اذوق النوم
هذا حالي يايمه	من رحتي وأنا بهموم

\*\*\*\*

قبرك من أجبي يمه	أحب ترابه وأضمه
على ترابه أحط كفي	وأرفعها عالي وأشتمه
أشتم فيها أخلاقك	وأشتم فيها ريحة الجنه
ومفرقي زعفرته بترابك	بدال الطيب والحنه

\*\*\*\*

يا خيرية يا خير الناس	شمعتي ويا شمعة الجلاس
اسمك بقلبي حروفه منقوشه	يعطيني الأمل والإحساس
ومعروفك مستحيل أنساه	وسهر ليلك وحرقة الأنفاس
وأزيدك من الشعر بيتين	مستحيل أنساك ورب الناس

### ومن الصور الرائعة ببر الوالدين:

• يخبرنا الرسول ﷺ عن ثلاثة رجال ممن كانوا قبلنا كانوا يتماشون، فأخذهم المطر فمالوا إلى غار فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فتوسل كل واحد منهم إلى الله بأرجى عملٍ صالحٍ عمله ليخلصهم مما هم فيه. فقال أحدهم: «اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالديّ أسقيهما قبل ولدي، وإنه قد نأى بي الشجر يوماً فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما فحلبت كما أحلب، فجئت بالحلاب فقممت عند رؤوسهما أكره أو أوقظهما وأكره أن أبدأ بالصبيّة قبلهما، والصبيّة يتضاغون (يبيكون) عند قدمي، فلم يزل دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء». فاستجاب الله دعاء هذا الرجل الصالح في وقتٍ من أخرج الأوقات فجعل له مخرجاً بربه بوالديه. البخاري ومسلم.

عن انس بن النضير الاشجعي: استقت أم ابن مسعود ماء في بعض الليالي فذهب فجاءها بشربة فوجدها قد ذهب بها النوم فثبت بالشربة عند رأسها حتى أصبح.

• وهذا ظبيان بن علي الثوري وكان من ابر الناس بأمه وكان يسافر بها إلى مكة فإذا كان يوم حار حفر بئر اثم جاء بنطع فصب فيه الماء ثم يقول لها: ادخلي تبردي في هذا الماء.

### فضل بر الوالدين:

أولاً: انه من أفضل الأعمال: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة في وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» [متفق عليه].

ثانيا: انه سبب من أسباب مغفرة الذنوب: قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ إلى أن قال في آخر الآية الثانية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

ثالثا: انه سبب في زيادة العمر: عن انس بن مالك «من سره أن يمد له عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه» [رواه احمد].

رابعا: انه سبب في حصول مبرة الأبناء لمن بر ولو والديه: فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بروا آباءكم تبركم أبناءكم وعفوا تعف نساؤكم» [رواه الطبراني].

وكما حث الإسلام على بر الوالدين أيضا حرم عقوقهما، ولا ضير أن نذكر بعض صور هذه العقوق كي نتجنبها:

### مظاهر عقوق الوالدين:

(١) إبكأؤهما وتحزينهما بقول أو فعل أو غير ذلك، «جاء رجل إلى النبي ﷺ يبأيعه على الهجرة قائلا ما جئتك حتى أبكيت والدي فقال الرسول الكريم ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما».

(٢) إدخال المنكرات أو مزاولتها أمامهم: مثل ترك الصلاة عمدا وشرب الخمر واستماع آلات اللهو ومشاهدة ما حرم الله عز وجل من الأفلام الخليعة والصور الماجنة وغيرها من المنكرات.

(٣) البراءة منهما أو التخلي عنهما: فعن انس الجهني عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى عبادا لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولا ينظر إليهم» قيل: من أولئك يا رسول الله؟ قال: «متبرئ من والديه راغب عنهما ومتبرئ من ولده ورجل انعم عليه قوم فكفر بنعمتهم وتبرا منهم».

٤) تقديم الزوجة على الأم والأب فيما للوالدين فيه دخل: وهذا قد انتشر في زماننا ويزداد الأمر سوءاً إذا كانت الزوجة سيئة أنانية تحاول إبعاد زوجها عن والديه ليبقى لها وحدها أو تتأذى من بقائهما في داره وهذا من أكبر العقوق.

٥) عدم زيارتهما والسؤال عنهما أو التأخير في ذلك.

٦) ومن العقوق أن ينظر الولد إلى أبيه نظرة شزر عند الغضب أو يتعاضم عن تقبيل يدي والديه أو لا ينهض لهما احتراماً وإجلالاً.

٧) التسبب في شتم الوالدين، قال ﷺ «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: وكيف يشتم أو يسب الرجل والديه؟ فقال «يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» أي: يصير متسبباً في شتم والديه، وقال ﷺ: «لعن الله من لعن والديه».

ومن أناشيد أيام زمان وقد أجاد:

أحب الناس لي أمي  
ومن بالروح تفديني  
فكم من ليلة قامت  
على مهدي تغطيني  
بصوت هادئ عذب  
وإن شاد تغنيني  
تخاف عليّ من حرّ  
من برد فتحميني  
ومن ألم ومن مرض  
أناديها فتأتيني  
بروحي سوف أفديها  
كما بالروح تفديني

وَأَسْمَعِي فِي هِنَاءِهَا  
كَمَا تَسْعَى وَتَرْضِينِي

وخلاصة القول أن مكانة الأم في الإسلام عالية الذرى رفيعة المقام لا يطاولها فيها زوجة ولا ولد، ويجب على المسلم أن يخفض لها جناحه»، ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ - (الإسراء: ٢٤).







## حق الأب

### رحلة حقوقية

من مناجاة له عليه السلام:

فجد ولا تغفل وكن متيقظا  
فعما قليل يترك الدار عامر  
فشمّر ولا تفتر فعمرك زائل  
وأنت إلى دار الإقامة صائر  
ولا تطلب الدنيا فإن نعيمها  
وإن نلت منها غبة لك ضائر

وهذا علي بن الحسين يبكي على أبيه عشرين سنة، ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولاه: أما آن لحزنك أن ينقضي فقال له: ويحك إن يعقوب النبي كان له اثنا عشر ابنا فغيب الله عنه واحدا منهم فايضت عيناه من كثرة بكائه عليه وشاب رأسه واحدودب ظهره من الحزن وابنه حي في دار الدنيا وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر رجلا من أهل بيتي مضرجين بدمائهم حولي فكيف ينقضي حزني. وكان عليه السلام لا يترك مناسبة إلا ويذكر فيها ما جرى لأبيه وأسرته في كربلاء، وأحيانا كان يبحث عن المناسبة ليحدث بها جرى لأهل بيته، فيذهب إلى سوق الجزارين في المدينة ويقف معهم يسألهم عما إذا كانوا يسقون الشاة ماء قبل ذبحها،

وعندما يسمعونهم يقولون: إنا لا نذبح حيواناً قبل أن نسقيه ولو قليلاً من الماء. فيبكي ويقول: لقد ذبح أبو عبد الله غريباً عطشاناً فيكون لبكائه حتى ترتفع الأصوات بالنحيب.

### أخلاقه وأدبه ﷺ مع أبويه:

ولئن حُرِّمَ السجادة ﷺ من حنان الأم ورأفتها، فإنه لم يحرم من برها بالدعاء لها ولوالده ﷺ. والدعاء للوالدين يعكس:

- ١- أدباً قرآنياً رفيعاً والتزاماً بأحكام الإسلام. وقد قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾.
- ٢- قلباً مرهفاً وضميراً حياً وعقلاً متوقداً.
- ٣- وفاءً بالجميل الذي أسداه الوالدان لوليدهما.

فيقول ﷺ في دعائه لهما:

- أ- (واخصص اللهم والدي بالكرامة لديك والصلاة منك يا أرحم الراحمين. اللهم اجعلني أهماهما هيبة السلطان العسوف، وأبرهما بر الأم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالدي، و بري بهما أقر لعيني من رقدة الوسنان، وأثلج لصدري من شربة الضمان حتى أوتر على هواي هواهما، وأقدم على رضاي رضاهما، وأستكثر برهما بي وإن قل، وأستقل بري بهما وإن كثر).
- ب- (اللهم خفض لهما صوتي، وأطب لهما كلامي، وألن لهما عريكتي، وأعطف عليهما قلبي، وصيرني بهما رفيقاً، وعليهما شقيقاً).
- ج- (اللهم اشكر لهما تربيتي، وأثبهما على تكرمتي، واحفظ لهما ما حفظاه مني في صغري).
- د- (اللهم لا تُنسني ذكرهما في أدبار صلواتي، وفي إنني من آناء ليلي، وفي كل ساعة من ساعات نهاري).

ها نحن قد وصلنا الى الحق الثاني من حقوق الرحم وياله من حق عظيم. ايها الأعبة انه حق الأب:

### حق الأب

وَأَمَّا حَقُّ أَبِيكَ فَتَعَلَّمَ أَنَّهُ أَصْلُكَ، وَأَنَّكَ  
فَرْعُهُ، وَأَنَّكَ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ. فَمَهْمَا رَأَيْتَ  
فِي نَفْسِكَ مِمَّا يُعْجِبُكَ فَاعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ  
النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِيهِ وَاحْمَدِ اللَّهَ وَاشْكُرْهُ عَلَى قَدْرِ  
ذَلِكَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وردت كلمة «اب» في القرآن الكريم بمختلف صيغها «١١٣» هذا غير كلمة والد أو والدين ووردت هذه الكلمات في معرض تأثير الأب على الابن في الهداية او الظلال وهذا يدل على مكانة الأب وتأثيره في التربية.

الأبوان ركننا الأسرة وعماد قومهما وقد أولاها الإسلام عناية فائقة النظير وأمر بإطاعتها - في غير محرم - ودفع الأبناء الى تلمس مواطن رضاهما وراحتهما

وكما ذكرنا في مقالنا السابق حق الأم فكذلك فإن حق الأب كبير على الولد فإن هذا الأب قد تعب واجتهد وكد من أجل تحصيل لقمة العيش له ولأبنائه فكم من المشاق والمخاطر والآلام قد تكبد من أجل ان يسعد آبنائه ويجعلهم في مقدمة الناس.

والولد يشعر بأن اباه أعظم الناس وأحقهم بالإجلال والتعظيم وقد كان العرب يتفاخرون بأبائهم في اسواقهم، وفي معاهد الحج، حتى قال الله تعالى:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ - البقرة: ٢٠٠.

فالولد يشعر بأنه بضعة من أبيه، يرث بعض صفاته وطباعه وشأئله من جسدية

ونفسية وعقلية وحيث أن الأب يشعر بأن ابنه بضعة منه ووجوده مستمداً من وجوده وانه نسخة ثانية منه فهو يحرص على بقاءه كما يحرص على نفسه أو اشد حرصاً ويحرم نفسه كثيراً من الطيبات ايثاراً له في حاضر أمره ومستقبله فهو مجتهد طوال حياته في تغذيته وإنعاشه وتربيته.

وما أجل ما سطره شاعرنا الكبير جاسم الصحيح في هذا المعنى:

أبي تعال. ويجري من «تعال» دمٌ  
برْدُ الغيابِ تغشائي، فمعدرةٌ  
بكي السريرُ الذي ما كنتَ تأنسُهُ  
بكي السريرُ وقد حنَّتْ قوائمهُ مثلي  
من قبل موتك أعوامي مؤجلةٌ  
منْ ذا سيمسحُ رأسي بعدما أنقذحتُ  
كم انحنيتُ على مهدي تُمسدُهُ  
وكم رددتَ غطائي حين بعثَرهُ  
روحُ الأبوةِ تحميناً من الكبرِ  
بكي السريرُ وقد حنَّتْ قوائمهُ مثلي  
وأقسمُ بالقبر الذي أنفرطتُ  
روحُ إنتمائي لهذي الأرض ما أكتملتُ  
آباؤنا بالأفعالِ مضارعةٍ  
هم يحملون الليالي عن كواهلنا

من أجل ذلك جعل الله طاعته واجبة، وطلب رضاه حتماً. وجعل طاعته منوطة بطاعته، ورضاه منوطاً برضاه وسخطه.

والأحاديث في ذلك متواتره:

قال رسول الله ﷺ: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد».

وقال ﷺ «بروا آباءكم تبركم أبناءكم»، وقال ﷺ: «إن الوالد باب من أبواب الجنة فاحفظ ذلك الباب». وقال ﷺ: «من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار».

وعن إبراهيم بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن أبي قد كبر جدا وضعف فنحن نحمله إذا أراد حاجة. فقال عليه السلام إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل، ولقمه بيدك فإنه جنة لك غدا».

وقال الحسن: «حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم».

وقال سليمان الملك: «إن العين المستهزئة بأبيها، والمتحقرة طاعة أمها تقورها غربان الوادي، وتأكلها فراخ النسر» وقال موسى عليه السلام: «أكرم أباك لكي تطول أيامك على الأرض» وقال ﷺ: «بروا آباءكم تبركم أبناءكم».

رجوعا الى الفقرات التي نقلناها من دعاء الإمام زين العابدين المذكور في الصحيفة السجادية في مقدمة المقال «اللهم اجعلني أهابها هيبة السلطان العسوف وابرها بر الأم الرؤف»، وهي من أثن الكلمات في التراث اسلامي بعد القرآن على الإطلاق، وما قرأها انسان الا نقلته الى أجواء يشعر بنشوة لا عهد لأهل الأرض بمثلها.

من ذا الذي يقرأ هذا القول ولا يترك في نفسه أعماق الآثار؟!... يهابها مهابة السلطان مع مخالطته لهما، ودنوه منهما، وعلمه بأنهما أرأف به من نفسه. إنها هيبة التعظيم والتوقير، لا هيبة الخوف من الحساب والعقاب بل هيبة الأبوة التي لا يقدرها الا العارفون.

كانت فاطمة «سلام الله عليها» بضعة النبي ﷺ وأحب الخلق إلى قلبه، ومع هذا كانت تقول:

«ما استطعت أن أكلم رسول الله من هيئته».

وما أجمل هذه الكلمات من امامنا زين العابدين التي تنم عن قمة الطاعة والإحترام والإيثار للأبوين:

وَصَيَّرَنِي بِهِمَا رَفِيقًا، وَعَلَيْهِمَا شَفِيقًا. اللَّهُمَّ اشْكُرْهُمَا تَرْبِيَّتِي وَأَثْبُهُمَا عَلَى تَكْرِمَتِي، وَاحْفَظْهُمَا مَا حَفَظَهُ مِنِّي فِي صَغَرِي. اللَّهُمَّ وَمَا مَسَّهَا مِنِّي مِنْ أَذَى أَوْ خَلَصَ إِلَيْهَا عَنِّي مِنْ مَكْرُوهِ أَوْ ضَاعَ قِبَلِي لَهَا مِنْ حَقٍّ فَاجْعَلْهُ حِطَّةً لِدُنُوبِهَا وَعُلُوءًا فِي دَرَجَاتِهَا وَزِيَادَةً فِيحَسَنَاتِهَا يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ. اللَّهُمَّ وَمَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ أَسْرَفَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ، أَوْ ضَيَّعَا لِي مِنْ حَقٍّ أَوْ قَصَّرَا بِي عَنْهُ مِنْ وَاجِبٍ فَقَدْ وَهَبْتُهُ وَجَدْتُ بِهِ عَلَيْهِمَا، وَرَغِبْتُ إِلَيْكَ فِي وَضْعِ تَبِعَتِهِ عَنْهُمَا فَإِنِّي لَا أَتِمُّهُمَا عَلَى نَفْسِي، وَلَا أَسْتَبْطِئُهُمَا فِي بَرِّي، وَلَا أَكْرَهُ مَا تَوَلَّيَاهُ مِنْ أَمْرِي يَا رَبِّ فَهُمَا أَوْجِبُ حَقًّا عَلَيَّ، وَأَقْدِمُ أَحْسَانًا إِلَيَّ وَأَعْظُمُ مَنَّةً لَدَيَّ مِنْ أَنْ أَقَاصَهُمَا بِعَدَلٍ، أَوْ أَجَازِيَهُمَا عَلَى مِثْلِ، أَيْنَ إِذَا يَا إِلَهِي طَوَّلَ شُغْلُهُمَا بِتَرْبِيَّتِي؟ وَأَيْنَ شَدَّةُ تَعَبِهِمَا فِي حِرَاسَتِي؟ وَأَيْنَ إِفْتَارُهُمَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا لِلتَّوَسُّعَةِ عَلَيَّ؟ هِيَهِتَا مَا يَسْتَوْفِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا، وَلَا أَذْرِكُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَهُمَا وَلَا أَنَا بِقَاضٍ وَظِيفَةَ خِدْمَتِهِمَا. فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعْنِي يَا خَيْرَ مَنْ اسْتَعِينَ بِهِ. وَوَفَّقْنِي يَا أَهْدَى مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ، وَلَا تَجْعَلْنِي فِي أَهْلِ الْعُقُوقِ لِلآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.

وبالجملة، فإن لفظ الأب يوحي معنى الاحترام والحب، وكل ابن مسؤول عن تعظيم أبيه والإخلاص له أمام الله والناس والضمير.

وما أجمل هذه المقطوعة لفضيلة العلامة «الشيخ الفرطوسي»:

عهد الأبوة والأبوة كلها  
حلم يريح من العناء المفزع  
رغد من العيش الهني ورقدة  
غرقت بها نفسي ولما تهجع  
روح لذيذ أنقي في ظله  
حري وبردي لاهيا بتمتعي  
حقل خصيب بالأمانى لم أزل  
كالطير ألهو في ثراه وأرتعي  
قلب جهلت حنانه بطفولتي  
وعرفته من قلبي المتصدع  
وتر أهز شعوره بعواطفني  
فيثور في تياره المتدفع  
ما كنت أشعر بالمتاعب كلها  
حتى تنائي لحنه عن مسمعي

وكما اسلفنا في حق الأم بأن جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله من أحق بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أبوك».

هذا الحديث يدل على أن لكل من الأبوين حقا في المصاحبة الحسنة والعناية التامة بشؤونهم وصاحبهما في الدنيا معروفا (ولكن حق الأم فوق حق الأب بدرجات، إذ لم يذكر حقه إلا بعد أن أكد حق الأم تمام التأكيد، بذكرها ثلاث مرات. وإنما علت منزلتها منزلته مع أنها يشتركان في تربية الولد، هذا بهاله ورعايته، وهذه بخدمته في

طعامه وشرابه، ولباسه وفراشه وغير ذلك».

وفي الكافي في باب البر، سأل رجل رسول الله ﷺ البررة الكرام؟.

ما حق الوالد على ولده؟ قال صلوات الله المتعال عليه وآله الطاهرين: لا يسمّيه باسمه، ولا يمشى بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستسب له، الكافي، ج ٢، ص ١٢٧، الحديث ٥.

وقال رجل لرسول الله ﷺ: «إن أبوي بلغا من الكبر، وإني ألي منهما ما وليا مني في الصغر، فهل قضيتها حقهما. قال ﷺ: لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يجبان بقائك، وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتها».

ومن حسن المصاحبة للأبوين الإنفاق عليهما طعاما وشرابا، ومسكنا ولباسا، وما إلى ذلك من حاجات المعيشة، إن كانا محتاجين، بل إن كانا في عيشة دنيا أو وسطى، وكنت في عيشة ناعمة راضية فارفعهما إلى درجتك أو زد، فإن ذلك من الإحسان في الصحبة.

واذكر ما صنع يوسف مع أبويه وقد أوتي الملك إذ رفعهما على العرش بعد أن جاء بهما من البدو.

على انه لو افترض أن الأب تعدى وقصر في واجب ابنه فإن حقه على الولد طبعي لا يسقطه شيء، وكبير لا يعادله شيء، فلقد تحمل الشدة لتكون في سعة والتعب والعناء لتكون في راحة.

جاء إلى رسول الله ﷺ ذات يوم أب كبير السن يشكو إليه عقوق ولده فقال:

يا رسول الله كان ضعيفا وكنت قويا، وكان فقيرا وكنت غنيا، وقدمت له كل ما يقدم الأب الحاني للابن المحتاج.

ولما أصبحت ضعيفا وهو قوي، وكان غنيا وأنا محتاج، بخل علي بهاله، وقصر



عني بمعروفه، ثم التفت الى ابنه منشدا:

غذوتك مولودا وعلتك يافعا  
تعل بما أدني إليك وتنهل  
إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت  
لشكواك إلا ساهرا أتململ  
كأني أنا المطروق دونك بالذي  
طرقت به دوني وعيني تهمل  
فلما بلغت السن والغاية التي  
إليها مدى ما كنت منك أو مل  
جعلت جزائي منك ج بها وغلظة  
كأنك أنت المنعم المتفضل  
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي  
فعلت كما الجار المجاور يفعل  
فأوليتني حق الجوار ولم تكن  
علي بمال دون مالك تبخل

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى) ثم قال للولد: (أنت ومالك لأبيك).

ولا تقتصر عقاب عقوق الوالدين على الآخرة بل ان تنجر الى الحياة الدنيا وهذه نماذج من آثار عقوق الوالدين:

- ١- قال سيدنا رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يدخلون الجنة: منهم: العاق.
- ٢- قال امير المؤمنين سلام الله عليه: من ظلم يتيما عَقَّ اولاده.
- ٣- عن مولانا الصادق عليه افضل الصلاة والسلام: لا يدخل الجنة العاق

لوالديه، والمدمن من الخمر، والمنان بالفعال الخير اذا عمله.

- ٤- عن شيخنا المفيد باسناده عن أبي اسحق الهمداني، عن أبيه، عن سيّد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام، (قال) قال رسول الله ﷺ: ثلاثة من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تأخر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان.
- ٥- وفي رواية (الكراجي): ملعون ملعون من ضرب والده، ملعون من عقّ والده، ملعون من قاطع رحمة.

- ٦- عن مولانا الباقر عليه الصلاة والسلام: اياكم والعقوق فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة مائه سنة، وما يجدها عاق ولا قاطع رحم.
- وحيث اننا نتكلم عن العقوق فقد وجدت اثناء البحث هذه القصة العجيبة المنقولة عن الأصمعي قال:

حدثني رجل من الأعراب قال:

خرجت من الحي أطلب أعقّ الناس، وأبرّ الناس، فكنت أطوف بالأحياء حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجرة والحرّ الشديد، وخلفه شاب في يده رشاء (أي حبل) ملوي يضربه به، قد شق ظهره بذلك الحبل، فقلت: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنه مع هذا أبي. فقلت: فلا جزاك الله خيرًا. قال: اسكت فهكذا كان هو يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع.

فانظر كيف قىض الله لهذا الوالد العاق من أبنائه من يعقه! والجزاء من جنس العمل: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦).

ومن حسن الصلابة بل جماع أمورها ما ذكره الله بقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ

هَمًّا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿١﴾ فامنع عنهما لسان البذاءة، ولو بالهينات الصغيرة، وجنبهما أنواع الأذى، وألن لهما قولك، واخفض لهما جناحك، وذلّل لطاعتها نفسك، وأذك في روحك العطف عليهما، والرحمة بهما ورطب لسانك بالدعاء لهما من خالص قلبك وقرارة نفسك، وقل: رب ارحمهما كما ربياني صغيرا، ولا تنس زيادة العناية بالأم، عملا بإشارة الوحي ومسايرة لمنطق الحديث. وقد استنبط جمهور الفقهاء من الحديث تقديم الأم على الأب في النفقة إذا كان مال الولد لا يتسع إلا لواحد منهما وقيل إنها سواء.

قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه».

قال الشاعر:

إن للوالدين حقا علينا  
بعد حق الإله في الاحترام  
أوجدانا وربيانا صغارا  
فاستحقا نهاية الإكرام  
كم أذيقا من الصغار هوانا  
في رضانا وجرعنا شر جام  
كم ليال قد قضياها سهادا  
قاوما ما بنا من الآلام  
كم أرادا ولو بروحيهما أن  
يفديانا وأن نرى في سلام

وما اروع كلمات سيدنا علي ابن الحسين في دعائه لوالديه:

اللَّهُمَّ لَا تُنْسِنِي ذِكْرَهُمَا فِي أَذْبَارِ صَلَوَاتِي وَفِي أَنَا مِنْ أَنَاءِ لَيْلِي، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ  
مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِي. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاغْفِرْ لِي بِدُعَائِي هُما، وَاغْفِرْ لَهُمَا  
بِبِرِّهِمَا بِي، مَغْفِرَةً حَتْمًا وَارْضَ عَنْهُمَا بِشَفَاعَتِي هُما رِضًى عَزْمًا، وَبَلِّغْهُمَا بِالْكَرَامَةِ  
مَوَاطِنَ السَّلَامَةِ. اللَّهُمَّ وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ هُما فَشَفِّعْهُمَا فِيَّ، وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لِي  
فَشَفِّعْنِي فِيهِمَا، حَتَّى نَجْتَمِعَ بِرَأْفَتِكَ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ وَمَحَلِّ مَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ، إِنَّكَ ذُو  
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالْمَنِّ الْقَدِيمِ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

لئن كانت الكلمة الطيبة صدقة والتبسم في وجه المؤمن عبادة فهما في حق  
الوالدين اوجب وأعظم.





## حق الولد

### رحلة حقوقية

من قصيدة تنسب للإمام أمير المؤمنين علي يعظ فيها ابنه الإمام الحسين عليه السلام :

أحسين اني واعظ ومؤدب  
فافهم فأنت العاقل المتأدب  
واحفظ وصية والد متحنن  
يغدوك بالأدب كيلا تعطب  
أبني إن الرزق مكفول به  
فعليك بالإجمال في ما تطلب  
أبني إن الذكر فيه مواعظ  
فمن الذي بعظاته يتأدب  
والضيف أكرم ما استطعت جواره  
حتى يعدك وارثا يتنسب  
وأقل الكذوب وقربه وجواره  
إن الكذوب ملطخ من يصحب  
يعطيك ما فوق المنى بلسانه  
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي  
والنصح أرخص ما يباع ويوهب

ومن دعاء للإمام زين العابدين عليه السلام لولده:

اللَّهُمَّ وَمَنْ عَلَيَّ بَقَاءٌ وَلَدِي، وَبِإِصْلَاحِهِمْ لِي، وَبِإِمْتَاعِي بِهِمْ. إلهي أُمِّدْ لِي فِي  
أَعْمَارِهِمْ، وَزِدْ لِي فِي أَجَالِهِمْ، وَرَبِّ لِي صَغِيرَهُمْ وَقَوِّ لِي ضَعِيفَهُمْ، وَأَصِحِّ لِي أَبْدَانَهُمْ  
وَأَدْيَانَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ.

إن هذه الرحلة الحقوقية الشاملة قلما تجد لها نظيرا في التاريخ البشري انها رسالة  
حقوق الإمام زين العابدين الشاملة الكاملة. وبعد حقوق الأم والأب يرشدنا إمامنا  
الى حقوق الأبن «الولد» لكي تكون المنضومة متكاملة في حقوق الرحم، فيعرف كل  
ذي حق حقه.

### حق الولد

وَأَمَّا حَقُّ وَلَدِكَ فَتَعَلَّمْ أَنَّهُ مِنْكَ وَمُضَافٌ  
إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَأَنَّكَ  
مَسْئُولٌ عَمَّا وَلَّيْتَهُ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ وَالِدَلَالَةِ  
عَلَى رَبِّهِ وَالْمُعُونَةِ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ فِيكَ وَفِي  
نَفْسِهِ، فَمُنَابٌّ عَلَى ذَلِكَ وَمُعَاقِبٌ، فَاعْمَلْ فِي  
أَمْرِهِ عَمَلَ الْمُتَزَيِّنِ بِحُسْنِ أَثَرِهِ عَلَيْهِ فِي عَاجِلِ  
الدُّنْيَا، الْمُعْذِرِ إِلَى رَبِّهِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِحُسْنِ  
الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَالْأَخْذِ لَهُ مِنْهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

تكررت لفظة الولد ومشتقاتها في القرآن الكريم «٤٥»، ولفظ بنات وابناء وابن  
بما يخص هذا المعنى «٧٨» مرة وكلها جاءت توضح ما لهؤلاء وما عليهم من الحقوق.  
إن الولد إنما هو امتداد لحياة أبيه، واستمرار لوجوده، فهو بعضه بل هو

كله، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الإمام الزكي الحسن عليه السلام:  
ووجدتك بعضي، بل وجدتك كلي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو  
أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي.

وتلقي التربية الإسلامية العبء الكبير على الأب في تربية ابنه، ويبين لنا عليه السلام  
ثلاثة أمور:

١ - فيما بينه وبين نفسه فعلى الأب أن يغرس في أعماقه النزعات الكريمة  
والصفات الشريفة، ويعوده على العادات الحسنة ويجنبه الرذائل.

٢ - فيما بينه وبين ربه بأن يقيم له الأدلة على الخالق العظيم الذي بيده ملكوت  
كل شيء.

٣ - فيما بينه وبين المجتمع بأن يعمل في أمره عمل المتزن في حسن أثره بحسن  
القيام.

فإن قام بذلك فقد أدى واجبه نحو ابنه ونحو المجتمع بأسره لأن الإنسان  
الصالح لبنة في بناء المجتمع، وإن لم يقم بذلك فهو مسؤول أمام الله تعالى، ومعاقب  
على ذلك.

لم يقتصر اهتمام الإسلام بحقوق الأولاد وتربيتهم من بعد الولادة، بل ذهب  
إلى أبعد من ذلك، فهذا هو ذا يبحث على اختيار التربة الصالحة والطهارة العائلية لوضع  
النفطة فيها، ورد في كتاب الطفل بين الوراثة والتربية لمحمد تقي فلسفي:

١ - عن النبي ﷺ «أنظر في أي شيء تضع ولدك، فإن العرق دساس»، وحينما  
تراجع المعاجم اللغوية في معنى «دساس» تجد أن بعضها - كالمنجد - يعلق على ذلك  
بالعبارة التالية: العرق دساس أي أن أخلاق الآباء تنتقل إلى الأبناء.

فهذا الحديث يتحدث عن قانون الوراثة بصراحة. ويعبر عن العامل فيها  
بالعرق. فالنبي ﷺ يوصي أصحابه ألا يغفلوا عن قانون الوراثة بل يفحصوا عن

التربة الصالحة التي يريدون أن يبذروا فيها، لكي لا يرث الأولاد الصفات الذميمة.

٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام «وحسن الأخلاق برهان كرم الأعراق» وهذا الحديث يثبت إمكان اكتشاف الطهارة العائلية للفرد من السجاياء الفاضلة عنده.

وهذا علي عليه السلام يتوجه لأخيه عقيل بن أبي طالب الذي كان نَسابة عالماً بأخبار العرب وأنسابهم، فسأله أن يختار له زوجة «قد ولدتها الفحولة من العرب»، وكما جاء نصاً:

«ابغني امرأة وقد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها لتلد لي غلاماً فارساً، فقال له (عقيل): أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس».

وقد وُصفَ حزام (جد العباس لأمه) في المصادر التاريخية بأنه «من أعمدة الشرف في العرب، ومن الشخصيات النابهة في السخاء والشجاعة وقري الأضياف»، كما وُصِفَتْ أسرتها بأنها من أجَلِّ الأسر العربية، وقد عرفت بالنجدة والشهامة، وقد اشتهر منهم جماعة بالنبل والبسالة. فتزوجها علي بن أبي طالب، ووَلَدَتْ له أربعة فرسان كانوا من أبرز أنصار الحسين عليه السلام في كربلاء، وبرزهم قمر بني هاشم العباس بن علي عليه السلام.

عندما حثَّ الإسلام على بناء الأسرة، بنى الأسرة على مجموعة من الحقوق والواجبات، وهذه الحقوق والواجبات تتعلق بكل فرد من أفراد الأسرة، نعم ورد الحثُّ الشديد على أداء الولد لحقِّ الوالدين وهو من الحقوق العظيمة، ولكن الإسلام أكَّد أيضاً على حقوق الولد على والديه وهذه الحقوق تجمعها روايات وردت عن المعصومين عليهم السلام تفترض حقوقاً ترتبط بجوانب متعدّدة من الحياة الإنسانيّة، وجعل الإسلام من حرمان الولد من هذه الحقوق عقوباً من قِبَل الوالدين للولد، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «يلزم الوالدين من العقوق لولدهما - إذا كان الولد صالحاً - ما يلزم الولد لهما».



ومن هذه الحقوق:

### ١- تعليم المهارات

عن رسول الله ﷺ: «حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة، والسباحة، والرماية، وأن لا يرزقه إلا طيباً». وإنما عني بالكتابة العلم، وبالسباحة الرياضة، وبالرماية القوة وأنها ليست مقتصرة على الأقوال وإنما تتجاوزها الى المعنى.

أي جميع فنون العلم كالطبيعية والصحية والسياسية والعسكرية، وجميع فنون الرياضة المرتبطة بعصرنا الحاضر، والفنون الحربية من التدريب على احدث الأسلحة وآلات الحرب.

### ٢- اسم حسن وأدب حسن

عن رسول الله ﷺ: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويحسن أدبه». عن الإمام علي عليه السلام: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويحسن أدبه، ويعلمه القرآن».

### ٣- تعليم القرآن والعقيدة الصحيحة

عن رسول الله ﷺ: «حق الولد على والده أن يحسن اسمه، ويزوجه إذا أدرك، ويعلمه الكتاب».

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «الزموا أولادكم وأحسنوا آدابهم، فإن أولادكم هدية إليكم».

وعن الإمام علي عليه السلام: «علموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به».

### ٤- علمه الصلاة

عن رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر».

## ٥- حق قبل الولادة

عن الإمام الصادق عليه السلام: «تجب للولد على والده ثلاث خصال: اختياره لوالده، وتحسين اسمه، والمبالغة في تأديبه». وهذا ما أشرنا إليه سابقا.

## ٦- أعنه على برك

عن النبي ﷺ: «رحم الله من أعان ولده على برّه، وهو أن يعفو عن سيئته، ويدعو له فيما بينه وبين الله».

وعنه ﷺ: «رحم الله والدأ أعان ولده على برّه، قال: قلت كيف يعينه على برّه؟ قال: يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره ولا يرهقه».

## ٧- بر بولدك

عن أبي عبد الله عليه السلام لرجل سأله: «من أبر؟ قال: والديك، قال: قد مضيا، قال: بر ولدك».

غير أن هذه التربية الخلاقة يجب أن تتماشى مع تطورات كل عصر بما يتطلبه وإحتياجاته حيث كانت لعصور آبائنا وأجدادنا متطلبات كما أن لعصرنا احتياجات ومتطلبات وأيضا سيكون لعصور أبنائنا وأحفادنا متطلبات جديدة إذ أن عجلة العلم في تقدم سريع فلا يكاد يمر يوم إلا وجد فيه اختراع جديد أو تطور جديد فعليه يجب أن لا نقسر أبنائنا وبناتنا على عاداتنا وأخلاقنا، وهذا ما تنبأ به سيد البلغاء الذي عودنا التجديد فيما يقول ونهجه حافل بمثل هذه الروائع. قال عليه السلام:

«لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم».

ولقد كان الإمام يرمي بكثير من أقواله إلى بناء الأمة في مستقبلها العتيد وفي نهجه كثير من آرائه التي أشار بها إلى العلوم والفنون في العصور المختلفة حتى عصرنا الحاضر، وفي هذه الكلمة التي يدور حولها بحثنا إشارة صريحة إلى ضرورة التطور في الحياة، فهو يريد أن يحمل الناس حملا على الإيمان بالتطور، إذ لو جمد الأبناء على سيرة

الآباء لكانوا إياهم خَلَقاً وُخِلَقا وهذا مغاير لسنن الطبيعة في التطور المفروض طبعا على كل كائن.

وما عنى الإمام صفات الكرم والوفاء والتسامح والإباء وغيرها من السجيا النبيلة، فالإمام أسمى من أن ينهانا عن أن نروض أولادا عليها ونلزمهم بها. بل عنى العادات والسجيا والتقاليد التي تلائم عصر الآباء ولا تتسق للأبناء من وراء الرقي المفروض بدافع التطور الطبيعي في الإنسان، ومثالا على ذلك: إنا نحن الآباء درجنا في جيل مضى على أن نلبس الجلباب ونأكل باليدين ونضطجع أو ننام على الأرض، وأن نتخذ من دورنا محافل وأندية للسمر والتندر.

قال الشاعر:

وإذا الأخلاق كانت سلما نالت النجم يد المتلمس  
فارق فيها ترق أسباب السما وعلى ناصية الشمس اجلس  
يقول الإمام الغزالي في رسالة أنجع الوسائل: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وكن معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم؛ شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه ].

يضاف الى ما ذكر سابقا من حقوق الولد على أبيه:

١ - إتباع السنة في استقبال المولود، كأن يؤذن في أذنه بعد ولادته، ويعد له العقيقة.

٢ - عدم تسخط البنات، لأن الهدف هو إنجاب الذرية الصالحة، ولذا كان أم بنتاً، فالولد الصالح يشمل الذكر والأنثى، وتسخط البنات اعتراض في محله، وعدم رضى لما أعطى الله عز وجل، وهي بقية من الجاهلية؛ لأنهم كانوا يرغبون بالذكر

لأنهم محاربون ينفعونهم في الغزو والسلب والنهب، بينما تكون البنت عالة على الرجال في القبيلة، لأنها ليس محاربة، وهذا ضيق أفق وجهل قبلي، أليست المرأة تلد الرجال المحاربين...!!؟؟ وكل عظيم وراءه امرأة كما قيل.

٣- أن يختار له والده مرضعة صالحة، وأفضلهم أمه التي أنجبته، لما للبنها من توافق مع الطفل، كما للرضاعة من الأم أثر طيب في النمو النفسي والعاطفي للطفل، وإن تعذر على الأم إرضاعه، فينبغي على الأبوين البحث عن مرضعة ذات دين، لا تأكل حراماً ولا تقترب منه، فيستفيد الطفل عندئذ من حليبها إن شاء الله وكان الإمام علي عليه السلام يقول تخيروا للرضاع كما تتخرون للنكاح فإن الرضاع يغير الطباع كما أن الإسلام أمر الآباء وجعل من حقوق الأولاد عليهم أن يحسنوا أسماءهم ويحسنوا أديهم.

٤- أن ترعاه أمه وتحضنه، - وخاصة خلال الطفولة المبكرة - ولا تتركه للخدمات أو المربيات مهما أخلصن في عملهن، فالأم لا تعوض عند الطفل بالدنيا كلها.

٥- ألا يرزقه إلا طيباً، من الكسب الحلال، فقد روى الطبراني في الأوسط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [ من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء ]

٦- أن يعلمه الصلاة ويدربه عليها في سن السابعة، ويواظب على هذا التدريب والتعليم حتى ترسخ عنده، ويصحبه إلى المساجد للصلاة، وسماع الدروس، والمواظب والجلوس عند العلماء.

٧- أن يكون الوالدان قدوة حسنة لأطفالهما في البيت وخارجه، فالأطفال يتعلمون من اقتدائهم بأفعال والديهم أضعاف ما يتعلمونه من أقوالهم.

٨- أن يعلمه آداب الاستئذان وسائر الآداب الاجتماعية، ويدربه عليها ويلقنه إياها بالقدوة والقول.

٩- أن يوفر له الرفقة الصالحة، ويخطط بشكل غير مباشر ليضع ولده في بيئة صالحة، كالسكن بقرب أماكن العبادة، والمدرسة.

١٠- أن يعوله حتى سن الرشد، وأن يعده للحياة في مجتمعه، فيدرسه ويديره ويعده بما يلزم ليكون عنصراً صالحاً في المجتمع المسلم.

١١- أن يعدل الوالدان بين أولادهم، فلا يفضلون أحدهم على الآخر، بل يساوون بينهم في الحب والعطف والمعاملة. وخاصة بين الذكور والإناث.

١٢- أن يزوجه ويساعده على البحث عن الزوجة الصالحة ذات الدين، أو يبحث لابنته عن الزوج الصالح ذي الدين. وينفق على ولده أو ابنته من ماله الخاص - إن كان غنياً - من أجل الزواج وبناء أسرة مسلمة جديدة.

١٣- أن يرشده بعد الزواج إلى سعادته في الدنيا والآخرة، وأن يزوره في بيته، ولا يضعف صلته به بعد زواجه

وهذه بعض الإيضاعات بها تحتويه وتدل عليه بعض حقوق الأولاد:

### أولاً: حق الولد في الاسم الحسن:

للبعض أسماء جميلة، تحمل معاني سامية، وتولد مشاعر جميلة، فتجذبك للشخص المسمى بها كما يجذب شذا الأزهار النحل، وللبعض الآخر أسماء سميكة، مفرغة من أي مضمون، وتحس عند سماعها بالضيق والاشمئزاز، وما اعظم التأثير النفسي والاجتماعي للاسم الذي نطلقه على أطفالنا، ورد في الزيارة الجامعة «فما أحلى أسمئكم وأكرم أنفسكم» فكان الإثنان متلازمان.

فكم من الأولاد قد أرق اسمه البشع ليله، وقص مضجعه، نتيجة الاستهزاء والازدراء الذي يلاقيه من مجتمعه، فيتملكه إحساس بالمرارة والتعاسة من اسمه الذي أصبح قدراً مفروضاً عليه، كالوشم على الجلد تصعب إزالته.

وهناك بالطبع نفوس قوية لم تسمح لسحابة الاسم السوداء أن تنغص حياتها،

فعملت على تغيير اسمها السيئ، واستأصلته كما يستأصل الجراح الماهر خلية السرطان.

ولم يهمل الإسلام كدينٍ يقود عملية تغيير حضارية كبرى شأن الاسم، وكان النبي ﷺ يقوم بتغيير الأسماء القبيحة، أو الأسماء التي تتنافى مع عقيدة التوحيد، واعتبر من حق الولد على والده أن يختار له الاسم المقبول.

فقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يَنْحُلُ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ الْإِسْمَ الْحَسَنَ فَلْيُحْسِنِ أَحَدُكُمْ اسْمَ وَلَدِهِ).

وقد بين ﷺ في حديث آخر الأبعاد الأخروية المترتبة على الاسم، فقال ﷺ: (اسْتَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ، فَإِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: قُمْ يَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ إِلَى نُورِكَ، وَقُمْ يَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ لَأُورِكَ).

إن علم النفس قد اكتشف - أخيراً - علاقة وثيقة بين الإنسان واسمه ولقبه، ويضرب علماء النفس لنا - مثلاً - رجلاً اسمه (صعب)، فإن دوام انصباب هذه التسمية في سمعه ووعيه، يطبع عقله الباطن بطابعه، ويسم أخلاقه وسلوكه بالصعوبة.

وذلك لا ريب هو سرّ تغيير الرسول أسماء بعض الناس، الذين كانت أسماءهم من هذا القبيل، فقد أبدل باسم (حرب) اسماً آخر هو (سمح)، فهناك - إذن - وحي مستمر توحيه أسمائنا ويلوّن إلى حدّ كبير طباعنا.

فالاسم ليس مجرد لفظ يكتب بالمداد على شهادة الميلاد، بل هو حق طبيعي للمولود، يعيّن هويته، وتتفتح نفسه الغضة على مضمونه البديع، كما تتفتح براعم الزهور في الربيع.

### ثانياً: حق التأديب والتعليم:

لا شك أن السنوات الأولى من عمر الطفل هي أهم مراحل حياته، ومن هذا المنطلق يؤكد علماء التربية على ضرورة الاهتمام الزائد بالطفل، وأهمية تأديبه

بالآداب الحسنة.

فقال الإمام علي عليه السلام مبيِّناً أهمية الأدب وأرجحيته على غيره: (خَيْرُ مَا وَرَثَ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءُ الْأَدَبَ).

وسلَّط حفيده الإمام الصادق عليه السلام أضياء معرفية أقوى، فكشَفَ عن العِلَّةِ الكامنة وراء تفضيل الأدب على المال، بقوله عليه السلام: (إِنَّ خَيْرَ مَا وَرَثَ الْآبَاءُ لِأَبْنَائِهِمُ الْأَدَبَ لَا الْمَالَ، فَإِنَّ الْمَالَ يَذْهَبُ وَالْأَدَبُ يَبْقَى).

وينبغي الإشارة إلى أن موضوع (أدب الأطفال) قد احتلَّ مساحة واسعة من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، فنجد تأكيداً على المبادرة إلى تأديب الأحداث قبل أن تقسو قلوبهم، ويصلب عودهم، لأن الطفل كورقة بيضاء تقبل كل الخطوط والرسوم التي تنتقش عليها. فيقول الإمام علي لولده الإمام الحسن عليه السلام: (إِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ، مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ، وَيَشْتَغَلَ لُبُّكَ).

ويمكن إبراز الخطوط الأساسية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام في بيان تأديب الطفل وتعليمه في النقاط التالية:

**الأولى:** لا تقتصر تربية الأولاد على الأبوين فحسب، بل هي مسؤولية اجتماعية تقع أيضاً على عاتق جميع أفراد المجتمع، وحول هذه النقطة بالذات يقول الإمام الصادق عليه السلام: (أَيُّهَا نَاشِئُ نَشْأٍ فِي قَوْمٍ ثُمَّ لَمْ يُؤَدَّبْ عَلَى مَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوَّلُ مَا يِعَاقِبُهُمْ فِيهِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ).

فرؤية أهل البيت عليهم السلام تنطوي على ضرورة تأديب أفراد المجتمع - وخصوصاً الأحداث منهم - على الطاعة، وتميل إلى أن المسؤولية في ذلك لا تُنَاط بالوالدين فحسب، وإن كان دورهم أساسياً، وإنما تتسع دائرتها لتشمل الجميع، فالسنة الاجتماعية بطبيعتها تنطبق على الجميع بدون استثناء.

**الثانية:** من الضروري مراعاة عمر الطفل، فلكلِّ عمر سياسة تربوية خاصة،

فمدرسة أهل البيت عليهم السلام سبقت المدارس التربوية المعاصرة بالأخذ بمبدأ (التدرُّج)، وهو مبدأ التَّزَمَّتْ به المناهج التربوية المعاصرة، بعد أن أثبتت التجارب العملية فائدته وجدواه.

وهنا يبدو من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الأئمة عليهم السلام يتبنُّون بصورة عامة تقسيماً ثلاثياً لحياة الطفل، ففي كل مرحلة من المراحل الثلاث، يحتاج الطفل لرعاية خاصة من قبل الأبوين، وأدب وتعليم خاص.

واستقرنا ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المجال، وكشاهد على تبنيهم التقسيم الثلاثي نورد هذه الرواية:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (دَعِ ابْنَكَ يَلْعَبُ سَبْعَ سِنِينَ، وَيُؤَدِّبُ سَبْعَ سِنِينَ، وَالزِّمُّهُ نَفْسَكَ سَبْعَ سِنِينَ، فَإِنْ أَفْلَحَ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ).

فالمرحلة الأولى: هي مرحلة لعب، والثانية مرحلة أدب.

والثانية: مرحلة تبني مباشر للطفل، وملازمته كَطَلِّهِ.

الثالثة: ينبغي عدم الإسراف في تدليل الطفل، واتباع أسلوب تربوي يعتمد على مبدأ الثواب والعقاب، كما يحذّر أئمة أهل البيت عليهم السلام من الأدب عند الغضب. فيقول الإمام علي عليه السلام: (لَا أَدَبَ مَعَ غَضَبٍ).

وذلك لأن الغضب حالة تحرك العاطفة ولا ترشد العقل، ولا تعطي العملية التربوية ثمارها المطلوبة، بل تستحق هذه العملية ما تستحقه الأمراض المزمنة من الصبر، والأناة، وبراعة المعالجة.

فالطفل يحتاج إلى استشارة عقلية متواصلة لكي يدرك عواقب أفعاله، وهي لا تتحقق - عادة - عند الغضب الذي يحصل من فوران العاطفة وتأججها، وبدون الاستشارة العقلية المتواصلة لا تحقق العملية أهدافها المرجوة، فتكون كالطَّرْقِ على الحديد وهو بارد.



وهناك حقٌّ آخر للطفل مكمل لحقه في اكتساب الأدب، ألا وهو حق التعليم، فالعلم كالأدب وراثته كريمة، يحث أهل البيت عليهم السلام الآباء على توريثه لأبنائهم، فالعلم كنز ثمين لا ينفذ، أما المال فمن الممكن أن يتلف أو يسرق، وبالتالي فهو عرضة للضياع، ومن هذا المنطلق يقول الإمام علي عليه السلام: (لَا كَنْزَ أَنْفَعَ مِنَ الْعِلْمِ).

ولما كان العلم في الصغر كالنقش على الحجر، يتوجب استغلال فترة الطفولة لكسب العلم أفضل استغلال، وفق برامج علمية تتبع مبدأ الأولوية، أو تقديم الأهم على المهم، خصوصاً ونحن في زمن يشهد ثورة علمية ومعرفية هائلة، وفي عصر هو عصر السرعة والتخصص.

ولقد أعطى أهل البيت عليهم السلام لتعلم القرآن أولوية خاصة، وكذلك تعلم مسائل الحلال والحرام، ذلك العلم الذي يمكنه من أن يكون مسلماً يؤدي فرائض الله المطلوبة منه.

وللتدليل على ذلك نجد أن من وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن عليه السلام: (ابْتَدِئْتُكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ).

وفي هذا الصدد نقطة جوهرية كانت مثار اهتمام الأئمة عليهم السلام، وهي ضرورة تحصين عقول الناشئة من الاتجاهات والتيارات الفكرية المنحرفة من خلال تعليمهم علوم أهل البيت عليهم السلام وإطلاعهم على أحاديثهم، وما تتضمنه من بحر زاخر بالعلوم والمعارف.

وحول هذه النقطة بالذات، يقول الإمام علي عليه السلام: (عَلِّمُوا صِبْيَانَكُمْ مِنْ عِلْمِنَا مَا يَنْفَعُهُمْ اللَّهُ بِهِ لَا تَغْلُبْ عَلَيْهِمُ الْمَرْجئةُ بِرَأْيِهَا). والمقصود من المرجئة أي فكر أو تيار منحرف في أي زمان ومكان لا فكر أو تيار بعينه.

### حق العدل والمساواة:

إنَّ النظرة التمييزية للأطفال - وخصوصاً بين الذكر والأنثى - تزرع بذور

الشقاق بين الأشقاء، وتحفر الأخاديد العميقة في مجرى العلاقة الأخوية بينهما.

فالطفل ذو نفسية حساسة، ومشاعره مرهفة، فعندما يحس أن والده يهتم كثيراً بأخيه سوف يطفح صدره بالحقده عليه.

وقد يحدث أن أحد الوالدين أو كليهما يحب أحد أولاده، أو يعطف عليه - لسبب ما - أكثر من أخوته، وهذا أمر طبيعي وغريزي، ولكن إظهار ذلك أمام الأخوة، وإيثار الوالدين للمحبوب بالاهتمام والهدايا أكثر من أخوته، سوف يؤدي إلى تعميق مشاعر الحزن والأسى لدى الآخرين، ويفرز مستقبلاً عاقبته قد تكون وخيمة.

وعليه فالتزام العدالة والمساواة بين الأولاد يكون أشبه بمانعة الصواعق، إذ تحيل العدالة والمساواة من حصول أدنى شرخ في العلاقة بين أفراد الأسرة، وإلا فسوف تكون عاملاً مشجعاً لانطلاق مشاعر الغيرة والحقده فيما بينهم.

وهناك عدة شواهد من السنة النبوية تعطي وصايا ذهبية للوالدين في هذا المجال، وتكشف عن الحقوق المتبادلة بين الجانبين، حيث يلزم الوالد من الحقوق لولده ما يلزم الولد من الحقوق لوالده.

فيقول ﷺ: (إِنَّ هُمْ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَعْدَلَ بَيْنَهُمْ، كَمَا أَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ أَنْ يَبْرُوكَ). وأيضاً يقول ﷺ: (اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي النَّحْلِ - أَي: الْعَطَاء - كَمَا تَحْبُونَ أَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَكُمْ فِي الْبِرِّ وَاللُّطْفِ).

فهنا نجد نظرة أرحب وأعمق للحق، فكما أن للأب حق البر، عليه بالمقابل حق العدالة، فالحقوق يجب أن تكون متبادلة، وكل يتوجب عليه الإيفاء بالتزاماته.

ويمكن التدليل على عمق النظرة النبوية من قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ حَتَّى فِي الْقُبُلِ).

صحيح أن القاعدة العامة في الإسلام تجاه الأبوين هي قاعدة الإحسان لا قاعدة العدل، فلا يسوغ للابن أن يقول: إن أبي لا يعطيني فأنا لا أعطيه، أو: إنه لا

يحترمني فلا أحترمه، ذلك أن الأب هو السبب في منح الحياة للولد، وهو أصله.

ولكن الصحيح أيضاً هو أن يتبع الآباء مبدأ العدل والمساواة في تعاملهم مع أبنائهم، ليس فقط في الأمور المعنوية من إعطاء الحنان والعطف والتقبيل، بل أيضاً في الأمور المادية في العطية.

فقد أوصى النبي الأكرم ﷺ الآباء بقوله: (سَاوُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، فَلَوْ كُنْتُمْ مُفَضِّلًا أَحَدًا لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ).

### نماذج من وصايا الآباء

وصايا لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ \* وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ \* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* يَا بُنَيَّ إِنِّي أَنَا تَكَ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ \* يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ \* وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ \* واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان: ١٣-١٩)

وصايا أمير المؤمنين علي لأبنه الحسن عليه السلام:

ورد في تحف العقول: من الوالد الفان المقر للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر، الذام للدنيا، الساكن مساكن الموتى، الى المولود المؤمل مالا يدرك السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام ورهينة الأيام. فإني اوصيك بتقوى الله أي بني ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره والإعتصام بحبله. أي بني لما رأيته قد بلغت سنا ورأيتني أزداد وهنا، بادرت بوصيتي اياك خصالا منهن بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشغل لبك لتستقبل بجدر رأيك. ففهم أي بني وصيتي وأعلم أن مالك الموت هو

مالك الحياة وأن الخالق هو المميت وأن المفي هو المعيد. وأعلم أن من الكرم الوفاء بالذمم والدفع عن الحرم والصدود آية المقت وكثرة العلل آية البخل. والوصية طويلة وثرية بالحكم والمعاني ومن مقطوعة شعرية للعلامة الشيخ مرزا محمد الخليلي يوصي بها ولده:

بني أوصيك نلت العز والرشدا	وصية بر فيها الوالد الولدا
فكر تجد سبل الغايات واضحة	فالفكر إن لم يجد تنبيهة رقدا
واعمل ولا تتكل إن رمت نيل منى	فالذهن إن لم يجد تحريكة خمددا
كن ابن من شئت لا تنظر إلى سلف	وهذب النفس بالعرفان والجسدا
وامسك بدينك واعلم أن خالقنا	ما كان أنشأ هذي الكائنات سدى
وافخر بدين الهدى إذ صرت متبعا	لخير دين به الرحمن قد عبدا
وحسن الزرع في الدنيا لتحصده	غدا بدار بها قد فاز من حصدا
فليس بالعاقل المرموق من ترك	العقبى لدنيا جناحها ضني وردى
وإنما الكيس الفذ الذي جمع	الدنيا إلى الدين عن عقل له وهدى

ما اجملك يا زين العابدين كأبن بار بوالديه ووالد قد ربي أبناؤه فهذا ابنه زيد الشهيد خير انموذج للتربية الصالحة، ألا ترون انه من عظمته وعلمه اصبح له مذهبا يؤتم به.

يقول سلام الله عليه في دعائه لأولاده:

«وَجَعَلَهُمْ أَزْوَاجًا أَتَقِيَاءَ بُصْرَاءَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ لَكَ وَلَا أَوْلِيَاءَكَ مُحِبِّينَ مُنَاصِحِينَ، وَلَجَمِيعِ أَعْدَائِكَ مُعَانِدِينَ وَمُبْغِضِينَ آمِينَ. اللَّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضْدِي، وَأَقِمْ بِهِمْ أَوْدِي، وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدِي، وَزَيِّنْ بِهِمْ مُحَضَّرِي، وَأَحْيِي بِهِمْ ذِكْرِي، وَاكْفِنِي بِهِمْ فِي غَيْبِي وَأَعْنِي بِهِمْ عَلَى حَاجَتِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي مُحِبِّينَ، وَعَلَيَّ حَدِيدِينَ مُقْبِلِينَ مُسْتَقِيمِينَ لِي، مُطِيعِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا عَاقِينَ وَلَا مُخَالِفِينَ وَلَا خَاطِئِينَ، وَأَعْنِي عَلَى تَرْبِيَتِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ وَبِرِّهِمْ».



## حق الأخ

### رحلة حقوقية

نادى رسول الله ﷺ علي ابن أبي طالب ليلة الهجرة وقال له إن الله عز وجل أمرني أن أهاجر وأمرني أن أضجعك مكاني فما أنت صانع، قال أوى تسلم يا رسول الله، قال نعم، قال إذا روعي لروحك الفداء ونفسي لنفسك الوقاء.

ومناقب لك دون احمد

جاوزت بمقامك التعديدا والتحييدا

فعلى الفاراش مبيت ليلى

والعدى تهدي إليك بوارقا ورعودا

فرقدت مثلوج الفؤاد كأنما

يهدي القراع لسمعك التغريدا

ووقيت ليلته وبت معارضا

بالنفس لا فشلا ولا رعيديدا

لم يعرف تاريخ الإنسانية أخوة في الإيمان كما عرفها في الإسلام والمسلمين، ولم يعرفها تحديدا كما عرفها في علي ابن أبي طالب وفي رسول الله وفي أولادهما صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما.

أي أخوة تلك التي جعلها رسول الله لعلي في يوم الدار في يوم الإنذار «وانذر  
عشيرتك الأقربين» حيث قال رسول الله ﷺ فأَيُّكُمْ يوآزرنِي على أمري هذا ويكون  
أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

فأحجم القوم عنها جميعاً. ويقول علي:

فقلت وأنا أحدثهم سنّاً: يا نبيّ الله، أكون وزيرك عليه.

أي أخوة هذه التي تجعل علي بيت في فراش رسول الله ليلة الهجرة وهو في مقتبل  
العمر يفديه بنفسه ويعرض نفسه إلى أربعين سيفاً من أشد وأحد سيوف المشركين.

إنها أخوة الإيمان التي تعلوا على أخوة النسب والتي لا تعلوها أخوة.

مثال آخر مشرق للأخوة وينبع من نفس المشكاة، إنها مشكاة علي ومحمد، أخوة  
الدين والنسب معاً، الأخوة التي يكل اللسان ويقف عن وصفها عاجزاً مهما قال،  
إنها أخوة العباس ابن علي ابن أبي طالب وأخيه الحسين سيد شباب أهل الجنة. والتي  
تجسدت في يوم عاشوراء والتي جسدها العباس عليه السلام يوم تمكّن من النهر، ورفض  
شرب الماء، وأثر آخاه على نفسه رغم شدة عطشة، تلك الحادثة التي يرصدها الشاعر  
بن نزار:

شلون أشرب وخوي حسين عطشان

وسكنة والحرم وأطفال رضعان

وظن قلب العليل إلهب نيران

يريت الهامي بعده لا حله ومر

أية مواساة، أي أخوة هذه بين العباس والحسين التي تمنعه من شرب الماء في  
ذلك الموقف الرهيب حيث لا مشاهد ولا رقيب، نعم إنها أخوة الإيمان.

تعالوا معاً لنرى لماذا هذه الأخوة التي تجعل العباس تقطع أعضاؤه وتزهق

نفسه فيها، حيث يقول العباس سلام الله عليه:

والله إن قطعتموا يميني إني أحامي أبداً عن ديني  
وعن إمام صادق اليقين سبط النبي المصطفى الأميني

فهو يحامي عن الدين أولاً وثم عن الحسين لأنه يمثل ويجسد هذا الدين.

سفینتنا هذه المرة سوف ترسي على شاطئ مهم من شواطئ الحقوق من رسالة  
صادق السر الإمام زين العابدين. إنه حق الأخوة أو حق الأخ وهو آخر حق من  
حقوق الرحم.

### حق الأخ

وَأَمَّا حَقُّ أَخِيكَ فَتَعَلَّمَ أَنَّهُ يَدُكَ الَّتِي تَبْسُطُهَا،  
وَزَهْرُكَ الَّذِي تَلْتَحِيءُ إِلَيْهِ، وَعِزُّكَ الَّذِي  
تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَقُوَّتُكَ الَّتِي تَصُولُ بِهَا، فَلَا  
تَتَّخِذُهُ سِلَاحًا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا عُدَّةً  
لِلظُّلْمِ بِحَقِّ اللَّهِ، وَلَا تَدْعُ نُصْرَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ  
وَمَعُونَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ وَالْحَوْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيَاطِينِهِ  
وَتَأْدِيَةَ النَّصِيحَةِ إِلَيْهِ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي اللَّهِ فَإِنْ  
انْقَادَ لِرَبِّهِ وَأَحْسَنَ الْإِجَابَةَ لَهُ وَإِلَّا فَلْيَكُنِ اللَّهُ  
آثَرَ عِنْدَكَ وَأَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْهُ.

تكررت كلمة أخ في القرآن الكريم بمختلف صيغها ٨٦ مرة، وكعادة القرآن  
إنما تتكرر الألفاظ للعناية والاهتمام والإلتفات لهذا الأمر.

### مفهوم الأخوة، الأخوة في اللغة:

أخ: الأصل «أخو»، وهو المشارك آخر في الولادة من الطرفين، أو من أحدهما،

أو من الرِّضَاع، ويُستعار في كلِّ مشاركَ لغيره في القبيلة، أو في الدِّين، أو في صنعة، أو في معاملة، أو في مودَّة، وفي غير ذلك من المناسبات، والأخت: تأنيث الأخ، وجعل التاء فيه كالعوض من المحذوف منه.

وُسِّمِيَ الْأَخُ أَخًا - كما قاله بعض النحويين - لِأَنَّ قَصْدَهُ قَصْدَ أَخِيهِ، وَأَصْلُهُ مِنْ وَخَى؛ أَي: قَصَدَ.

فالأخوة إما أن تطلق على الأخوة في النسب: الأشقاء أو غير الأشقاء؛ كالأخوة لأم، أو الإخوة لأب، أو الإخوة من الرضاعة، وإمّا أن تطلق استعارة، ويدخل تحتها أنواع عديدة، كما جاء في القرآن الكريم.

بين الإمام في هذا المقطع الرائع فائدة الأخ وما هي حقوقه، وما فوائده:

- يد يسط بها

- وظهر يلتجأ إليه

- وعز يعتمد عليه

- قوة يصال بها

وكل هذه كناية عن القوة التي يمكن أن يمنحها الأخ، على أن هذه القوة يجب أن تستثمر في المكان والزمان الصحيحين كما بينها إمامنا عليه السلام :

- أن لا يتخذة سلاحا وعدة لظلم الناس وعلى معاصي الله

- نصرته على نفسه

- الحول بينه وبين شيطانه

كل ذلك مع أداء النصيحة إليه ونصرته على عدوه على أن يكون ذلك كله في الله والله وإلا فإن الله أكرم وأثر منه ومن كل شيء.

والأخوة اخوتان أخوة في النسب وأخوة في الدي، وإن اجتمعت الأخوتان



فذلك غاية المرام وعز الطلب وإلا فإن أخوة الدين مقدمة على أخوة النسب، مع الإبقاء والحفاظ على الحقوق الأخرى للأخوة.

بعد هذه المقدمة البسيطة لنذهب معا ونرى ما هي حقوق كلا النوعين من الأخوة، أخوة النسب وأخوة الإيمان.

### أولاً: أخوة النسب

إن الأخ الذي اشتركت معه في وعاء واحد وتغذيت معه من دم واحد ورضعت معه من ثدي واحد ونمت في نفس الحضن الذي نام فيه وولدت معه من أب وأم واحدة هو أولى بك بالإهتمام به وتأدية حقوقه عليك.

ولقد بين لنا القرآن الكريم وأوضح مكانة الأخ وكيف أنه هو الساعد الأول والسلاح الذي يتقوى به.

قال تعالى على لسان النبي موسى ﷺ :

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \* وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (طه: ٢٥-٣٥).

وقال تعالى:

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (القصص: ٣٥).

لذلك كله على الأخ واجبات كثيرة نحو أخوته نذكر أهمها:

١ - يجب عليه محبتهم واحترامهم وحسن معاملتهم، لأنهم أقرب الناس إليه بعد أبويه، وأن يجب لهم ما يجب لنفسه، عملاً بالحديث الشريف: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

٢ - عليه أن يعتبر الأخ الأكبر في منزلة الوالد، فيعامله بالأدب والمعروف، وأن

يذعن لنصائحه، ويعمل بإرشاداته النافعة.

٣ - عليه أن يعامل إخوته الأصغر باللطف والإحسان، وأن يشفق عليهم ولا يتسبب في ضررهم أو أذاهم، وأن يكون لهم مثال الاحترام والوقار وعنوان الاستقامة والاعتبار، فلا يشتمهم، ولا يأخذ من أيديهم بغير رضاهم، لأن ذلك يسوءهم ويغضب والدهم، وله إذا رأى منهم أمراً غير لائق أو خارجاً عن حد الأدب أن ينهاهم عنه باللطف واللين، وأن يعرفهم ضرره ويرشدهم إلى طريق الخير والصواب.

٤ - يجب أن يكون عضداً ونصيراً لإخوته في كل ملمة، غير منتظر في ذلك سؤالاً منهم، يساعدهم بما في قدرته، وأن يسعى لما فيه مصلحتهم على قدر طاقته، وعليه أيضاً المحافظة على أسرار إخوته، وأن لا ينقل عنهم شيئاً يلحق بهم ضرراً وإلا كان عدواً لهم، وأن يكون صادقاً معهم قولاً وفعلًا.

٥ - ليجتنب الأخ معاداة إخوته، والوقوع معهم في مشاحنات أو مخاصمات أو منافسات، طمعا في ميراث أو ثروة يرثها عن والده فيقضي وقته، وينفق أمواله في ما لا يرضي الله، وبذلك يسئ إلى نفسه وإلى إخوته، وإلى سمعة أبيهم ويحط من شرف أسرته، وليكن على الدوام معهم في وفاق واتحاد، لا في نزاع واختلاف، ليعيش معهم في راحة ومسرة وهناء: قال رسول الله ﷺ: «مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى».

وما أجمل ما قال هذا الشاعر في الأخوة:

وليس أخي من ودني بلسانه      ولكن أخي من ودني في النوائب  
ومن ماله مالي إذا كنت معدماً      ومالي له إن عصّ دهرٌ بغاربِ

أخوك الذي يحملك في الغيب جاهداً      ويستر ما تأتي من السوء والقبح  
وينشر ما يُرضيك في الناس معلناً      ويُغضي ولا يألوا من البر والنصح

يروى أن أحد العرب قد عاد إلى بلده بعد سنين من الإنقطاع، وبينما هو وافد عند مدخل البلدة إذ برجل يعرفه فسلم عليه وأخذ يسأله عن أهله.

قال المسافر: ما فعلت أُمي؟

فرد عليه: آجرك الله فقد ماتت..!!

قال: أذهب الله همي وملكني نفسي..!! ما فعلت أختي؟؟

فرد عليه لقد ماتت..

قال: ستر الله عورتي..! ما فعلت زوجتي؟؟

فرد: لقد ماتت أيضاً..

فقال: جدد الله فراشي..!! ما فعل أخي؟؟

فرد: لقد مات أيضاً..

فقال: الآن ضعف جانبي.. ووهنت قوتي.. وأستمرأ على عدوي...!!

ولله در القائل:

فالأخ هو العون في الشدة - بعد الله تعالى - والمغيث في الكرب - أيضاً بعد الله تعالى.

## ثانياً : أخوة الدين

ثبتت رابطة الاخوة بين المؤمنين بقوله تعالى ذكره ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فهي رابطة بعقد الله سبحانه وتعالى، وإن أول ما يميز هذه الرابطة أنها في ذاته سبحانه وتعالى، فمفهوم الأخوة الإسلامية هي امتداد لمحبة الله تعالى وتوحيده، فالمحبة والموالاتة للمؤمنين هي لازم لمحبة الله وموالاته، فمن أحب الله وولاه لا بد أن يحب من يحبه الله سبحانه وتعالى ومن يقرب من الرسل والصديقين والمؤمنين.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١)، هكذا بهذا العموم، فالأخوة الإيمانية تفتح لكل موحد باب عظيم للأخوة في كل أنحاء الأرض، وما أجهله من شعور، أن نشعر بأن كل موحد على وجه الأرض هو أخ لنا، له من الحقوق ما له وعليه من الواجبات ما عليه، في أي بقعة كان ومن أي شعب أو لغة كان ما دام على عقده وميثاقه التوحيدي مع الله سبحانه وتعالى، فالأخوة الإيمانية فوق كل الحواجز والعلائق الأرضية، وفي هذا الإماحة إلى ضلال أولئك الذين يفرقون المسلمين والموحدين على أساس ولاءات عصبية، وجنسيات وتابعيات مقبلة، تفتت الأمة وتمزقها، وتضع الحدود التي تفصل بين أبنائها.

ورحم الله القائل:

يا أخي المسلم في كل مكان وبلد أنت مني وأنا منك كروح في جسد  
هذه الأخوة هي روح الإيمان الحي ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم  
لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم، فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة أو  
روح واحدة حلت في أجسام متعددة.

وحينما كان المسلمون ينعمون بهذه الروح العالية كانوا كالجسم الواحد  
يتشاركون في واجبات الحياة وينهضون بتكاليفها من أيسر تكليف، ويحملون روح  
التضحية في سبيل المجموع وقد تجلى ذلك واضحا بعد المآخاة التي أسسها رسول الله  
ﷺ بعد هجرته إلى المدينة.

حتى أن القرآن امتدح هذه الأمة قائلا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

تجلى هذا الواقع المشرق المضيء المنير يوم أن أخى النبي ابتداءً بين الموحدين  
في مكة، على الرغم من اختلاف ألوانهم وأشكالهم، وألستهم وأوطانهم، أخى بين  
حمزة القرشي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي وأبى ذر الغفاري،

وراح هؤلاء القوم يهتفون بهذه الأنشودة العذبة الحلوة.

أبى الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمٍ

راحوا يرددون جميعاً بلسان رجل واحد قول الله عز وجل:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

(الحجرات: ١٠). هذه هي المرحلة الأولى من مراحل الإخاء.

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: أخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه، فجاء علي تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله: آخيت بين أصحابك، ولم تواخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

وكان ﷺ يقول:

أخاك أخاك إن من لا أخ له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وروى الحاكم في المستدرک بسنده عن ابن عباس قال: كان علي يقول في حياة رسول الله ﷺ، إن الله يقول: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، والله لا ننقلب على أعقابنا، بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل، لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت، والله إني لأخوه ووليه، وابن عمه، ووارث علمه، فمن أحق به مني).

ثم أخى النبي - ثانياً - بين أهل المدينة من الأوس والخزرج، بعد حروب دامية طويلة، وصراع مر مرير، دمر فيه الأخضر واليابس.

ثم أخى رسول الله بين أهل مكة من المهاجرين وبين أهل المدينة من الأنصار، في مهرجان حبٍّ لم ولن تعرف البشرية له مثيلاً، تصافحت فيه القلوب، وامتزجت فيه الأرواح.

وأما عن حقوق هذه الأخوة فهي كثيرة جدا ونحن نقتصر على أهمها والجدير بالذكر أن هذه الأخوة قد طبقها المسلمون في واقعهم الحياتي تطبيقا عمليا وقد مرت علينا أمثلة كثيرة، واستمر هذا التطبيق على مر التاريخ كما سيمر علينا، ومنها:

- أن تحب لنفسك ما تحب وتكره له ما تكره لها، عن أبي عبد الله عليه السلام (في حديث) قال: قال رسول الله ﷺ: ست خصال من كن فيه كان بين يدي الله عز وجل وعن يمين الله فقال له ابن أبي يعفور: وما هن جعلت فداك؟ قال: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعز أهله، ويكره المرء المسلم لأخيه ما يكره لأعز أهله، ويناصحه الولاية (إلى أن قال): إذا كان منه بتلك المنزلته بثه همته ففرح لفرحه إن هو فرح، وحزن لحزنه إن هو حزن، وإن كان عنده ما يفرج عنه فرج عنه، وإلا دعا له.

- أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره

- أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك

قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الأخوان فقال: «الأخوان صنفان: إخوان الثقة وإخوان المكاشرة. فأما إخوان الثقة فهم كالكف والجناح والأهل والمال، وإذا كنت من أخيك على ثقة فابذل له مالك ويدك، وصاف من صافاه، وعاد من عاداه واكتم سره وأعنه، واطهر منه الحسن، واعلم أيها السائل أنهم اقل من الكبريت الأحمر.

وأما إخوان المكاشرة: فانك تصيب منهم لذتك ولا تطلبن ما وراء ذلك وابدل ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان».

وأخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين، لا تناصر العصبيات العمياء بل تناصر المؤمنين المصلحين لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وردع المعتدي وإجارة

المهضوم، فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده في معترك، بل لا بد من الوقوف بجانبه على أي حال: لإرشاده إن ضل، وحجزه إن تطاول، والدفاع عنه إن هوجم والقتال معه إذا استبيح... وذلك معنى التناصر الذي فرضه الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قال: أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجزه عن ظلمه فذلك نصره». وفي حديث آخر روي عن النبي ﷺ: «من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام».

- أن تكون عينه ودليله ومرآته، قال الإمام الصادق عليه السلام: المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه. وعنه أيضاً (المسلم أخو المسلم هو عينه ومرآته ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه).

- ألا تشبع ويجوع ولا تروى ويظماً ولا تلبس ويعرى، فعن الباقر عليه السلام: «من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته ويواري عورته، ويقضي دينه فإذا مات خلفه في أهله وولده».

- في حال كان لك خادم وليس له خادم فواجب أن تبعث خادمك فتغسل ثيابه وتضع طعامه وتمهد فراشه.

- أن تبرقسه وتحجب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته وإذا علمت له حاجة تبادر إلى قضائها، ولا تلجئه إلى أن يسلكها ولكن تبادره مبادرة فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك.

جاء في شرح رسالة الحقوق للقبانجي كما في الوسائل عن ميمون بن مهران قال: كنت جالسا عند الحسن ابن علي (صلوات الله وسلامه عليه) فأتاه رجل فقال: يا ابن رسول الله إن فلانا له علي مال ويريد أن يجبسنني. فقال: «والله ما

عندي مال فأقضي عنك قال فكلمه. قال: فلبس عليه السلام نعله. فقلت له أنسيت اعتكافك. فقال له: لم أنس ولكني سمعت أبي يحدث عن جدي رسول الله ﷺ أنه قال: «من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنما عبد الله عز وجل تسعة آلاف سنة صائماً نهاره قائماً ليله».

وهذا الحديث يصور إعزاز الإسلام لعلائق الإخاء الجميل، وتقديره العالي لضروب الخدمات العامة التي يحتاجها المجتمع لإرساء أركانه وصيانة بنيانه. لقد أثر الإمام عليه السلام أن يدع اعتكافه، والاعتكاف عبادة محضة رفيعة الدرجة عند الله لأنها استغراق في الصلاة والصيام والذكر، ثم هو في مسجد رسول الله ﷺ حيث يضاعف الأجر ألف مرة فوق المساجد الأخرى. ومع ذلك فإن جوهر الإسلام جعله يدع ذلك ليقدم خدمة إلى مسلم يطلب العون. هكذا تعلم من رسول الله.

وملخص القول أن على المسلم زكاة في كل ما آتاه الله وعليه بذلها في مصلحة الإخوان والمجتمع ونصرة المظلومين، فزكاة الجاه والسيادة أن تسعى بها في قضاء حوائج الأخوان، وزكاة العلم نشره، وهكذا، وجاء في مستدرک سفينة البحار ج ٤، عن أمير المؤمنين أنه قال: «زكاة العلم نشره، زكاة الجاه بذله، زكاة الحلم الإحتمال، زكاة المال الإفضال، زكاة القدرة الإنصاف، زكاة الجمال العفاف، زكاة الظفر الإحسان، زكاة البدن الجهاد والصيام، زكاة اليسار بر الجيران وصلة الأرحام، زكاة الصحة السعي في طاعة الله، زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله، زكاة السلطان إغاثة الملهوف، زكاة النعم اصطناع المعروف، زكاة العلم بذله لمستحقه وإجهاد النفس بالعمل به.

وتستمر هذه الصور الرائعة فيروي لنا التاريخ قصصاً شهيرة وقع فيها من الإيثار والأخوة ما تذهل له العقول.



ففي آخر عهد ملوك الطوائف في بلاد الأندلس وبعد أن ضعفت شوكة المسلمين، وأصبح للنصارى كنائس في قرطبة، إحترق مسجد للمسلمين، فأجتمعت ثلة من الشباب طلاب العلم فيها ورأوا أن سبب الحريق هم النصارى، فقاموا ليلاً بإحراق أحد الكنائس، من باب العين بالعين والسن بالسن، (والبادي أظلم). وقام النصارى وقد أصبحت كنيستهم خاوية على عروشها، فشكوا الأمر إلى ولي الأمر الذي خذل المسلمين - خذله الله - فجمع جميع طلاب العلم، وكان يكتب أوراقاً صغيرة وجمعها وكان في بعضها قتل، وبعضها جلد، وبعضها حبس، وأوجب على كل واحد من شباب المسلمين أن يأخذ ورقة، وتكون ورقة كل واحد هي عقوبته، ففتح أحدهم ورقته فوجد فيها قتل، فقال: والله ما أبالي بالقتل لولا أن لي والدة لا يعولها غيري، وفتح زميله ورقة فوجد فيها جلد، فأخذ ورقة صاحبه التي فيها القتل وأعطاه ورقة الجلد فقال عد إلى والدتك، أما أنا فوالله مالي من والد ولا والدة، وأحب أن يجمعني الله بهم في جنات النعيم. فقتل وأما الآخر فجلد وعاد إلى والدته.

وهذه مجموعة من الأبيات سطرها الشاعر مضمناها معاني الأخوة:

أخوة الدين يا قومي تناديننا بها نحقق يا قومي امانينا  
في ظلها الرحب نسما في تطلعنا لكي ننال بها عز وتمكيننا

\*\*\*

أخوة الدين سر النصر فالتحموا بحبل خالقكم ياخوتي اعتصموا  
فالشرق والغرب لا يرضى تجمعنا فأخلفوا ظنه يا قومي والتئموا

\*\*\*

أخوة الدين أقوام عرى النسب أخوة الدين فوق المال والذهب  
فحققوا أمل الاسلام امتنا فقد مضى زمن الشتيت واللعب

\*\*\*

أخوة الدين يا قومي لنا سكن      وفي حماها يسود الأمن امتنا  
ففي حماها يذوب الحقد والفتن      ويختفي من سمانا الضعف والوهن

\*\*\*

أخوة الدين لاشيئ يدانيها      فأسرعوا أخوة الاسلام نحيها  
وانشدوها تكون يا قوم نغمتنا      سلمان منا فما أحلى معانيها

أترى تعود الأخوة بين المسلمين على مختلف أطيافهم واعراقهم ومذاهبهم  
وأماكنهم كما رسمها لنا رسولنا العظيم وقرآنا الكريم ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً  
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة  
إخواناً﴾ (آل عمران - ١٠٣).

هذا ما نتمناه جميعاً.





## حق المنعم على مولاه

### رحلة حقوقية

لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بُعَدَ غَائِبِهِمْ  
وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا  
مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرُ أَوْلِيَّةَ ذَا  
فَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالُهُ الْأُمَمُ

ومن دعاء للإمام زين العابدين بالتقصير عن أداء الشكر:

اَللّٰهُمَّ اِنَّ اَحَدًا لَا يَبْلُغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةً اِلَّا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ اِحْسَانِكَ مَا يُلْزِمُهُ  
شُكْرًا، وَلَا يَبْلُغُ مَبْلَغًا مِنْ طَاعَتِكَ وَاِنْ اجْتَهَدَ اِلَّا كَانَ مُقْصِرًا دُونَ اسْتِحْقَاقِكَ بِفَضْلِكَ،  
فَاَشْكُرُ عِبَادَكَ عَاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ وَاَعْبُدُهُمْ مُقْصِرٌ عَنْ طَاعَتِكَ، لَا يَجِبُ لِاحَدٍ اَنْ تَغْفِرَ  
لَهُ بِاسْتِحْقَاقِهِ، وَلَا اَنْ تَرْضَى عَنْهُ بِاسْتِجَابِهِ، فَمَنْ غَفَرْتَ لَهُ فَبَطُولِكَ، وَمَنْ رَضِيتَ  
عَنْهُ فَبِفَضْلِكَ تَشْكُرُ يَسِيرَ مَا شَكَرْتَهُ وَتُثِيبُ عَلَى قَلِيلٍ مَا تُطَاعُ فِيهِ حَتَّى كَانَ شُكْرُ  
عِبَادِكَ الَّذِي اَوْجَبْتَ عَلَيْهِ نَوَابِهِمْ وَاَعْظَمْتَ عَنْهُ جَزَاءَهُمْ اَمْرٌ مَلَكُوا اسْتِطَاعَةَ الْاِمْتِنَاعِ  
مِنْهُ دُونَكَ.

لم تعرف الإنسانية منظومة حقوق كما عرفتها في هذه الرسالة، منظومة مترابطة  
تبين حقوق الروح والجوارح والأرحام والمجتمع لكي تبني الإنسان، هذا الإنسان  
الذي أراد الله له أن يكون خليفته على الأرض، أن تبنيه بناء متكاملًا.

بعدما ينتهي إمامنا من حقوق الرحم ينتقل بنا إلى حقوق الآخرين ويبدأ بها بحق المنعم على مولاه، ولكي تكتمل الصورة في الحقوق بخصوص ملك اليمين والتي أولاهها الإمام اهتماما خاصا بحيث ذكر حقها في باب حقوق الرعية تحت عنوان حق الرعية بملك اليمين، ثم يأتي ليذكر حق المعتق جزاء وشكرا له لما انفق عليه من ماله ووهبه من حرية وجعله عضوا فاعلا في المجتمع.

### حق المنعم على مولاه

وَأَمَّا حَقُّ الْمُنْعَمِ عَلَيْكَ بِالْوَلَاءِ فَإِنَّ تَعْلَمَ  
أَنَّهُ أَنْفَقَ فِيكَ مَالَهُ، وَأَخْرَجَكَ مِنْ ذُلِّ الرِّقِّ  
وَوَحْشَتِهِ إِلَى عِزِّ الْحُرِّيَةِ وَأَنْسَهَا، وَأَطْلَقَكَ  
مِنْ أَسْرِ الْمَلَكَةِ، وَفَكَ عَنْكَ حِلَقَ الْعُبُودِيَّةِ،  
وَأَوْجَدَكَ رَائِحَةَ الْعِزِّ، وَأَخْرَجَكَ مِنْ سِجْنِ  
الْقَهْرِ، وَدَفَعَ عَنْكَ الْعُسْرَ، وَبَسَطَ لَكَ لِسَانَ  
الْإِنْصَافِ، وَأَبَاحَكَ الدُّنْيَا كُلَّهَا فَمَلَكَكَ  
نَفْسَكَ، وَحَلَّ أَسْرَكَ، وَفَرَّغَكَ لِعِبَادَةِ رَبِّكَ،  
وَاحْتَمَلَ بِذَلِكَ التَّقْصِيرَ فِي مَالِهِ، فَتَعْلَمَ أَنَّهُ  
أَوَّلَى الْخَلْقِ بِكَ بَعْدَ أَوْلَى رَجْمِكَ فِي حَيَاتِكَ  
وَمَوْتِكَ، وَأَحَقُّ الْخَلْقِ بِنَصْرِكَ وَمَعُونَتِكَ  
وَمُكَانَفَتِكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ، فَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْهِ نَفْسَكَ  
مَا احْتِيَاجُ إِلَيْكَ.

لقد تطرقنا في حق ملك اليمين بشيء من التفصيل عن سياسة الإمام زين العابدين والإسلام في تحرير العبيد.

وهنا في هذا الحق وهو حق المنعم أو المعتق سنقسم الحديث إلى جزأين، الأول

سنتطرق بشئ من الإيجاز عن سياسة الإمام في تحرير العبيد وأما في الجزء الثاني فسنتناول شكر المنعم.

## الجزء الأول :

سياسة تحرير العبيد

### النظام الإسلامي والرق:

إن الإسلام بحق لم يشرع نظام الرق، فان هذا النظام موجود منذ العصور الغابرة والعهود السحيقة. وإنما شرع نظام العتق والتحرير، واوجد مبررات عدة لها، وأوجد العديد من الوسائل المؤدية لها، حيث تطرقنا لها في حق الرعية بملك اليمين. وعلى مر التاريخ الإنساني كان يوجد سلوك استعلائي لدى بعض الأفراد في المجتمع حيث ينظر هؤلاء الى فئة المستضعفين ومن بينهم المماليك نظرة ازدراء، ويعاملهم من فوق الأبراج العاجية.

وما يلحظ في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك الرفض الحازم، والاستنكار العنيد لهذا السلوك نظرياً وعملياً. ومن الأدلة على ذلك انه كان لا يمنعه شيء من مجالسة الطبقة المسحوقة حتى دهش منه نافع بن جبير فقال له: انك تجالس أقواما دوننا، فقال علي بن الحسين: إني أجالس من انتفع بمجالسته. ومن رحمته بهم وعطفه عليهم انه كان يشتري العبيد وهم من اضعف المستضعفين فيرحون عنده قليلاً ثم يطلقهم أحراراً. وبلا ريب إن هذا الموقف هو بمثابة دعوة وحث عملي للآخرين على التأسى، إذ الإسلام قد أكد تأكيداً عظيماً على التحرير، ورسم ما لفاعله من الجزاء الوافر والأجر الجميل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ \* فَكَ رَقَبَةٌ﴾.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: أن فاطمة بنت أسد قالت لرسول الله ﷺ: إني أريد أن اعتق جاريتي هذه فقال لها: إن فعلت اعتق الله بكل عضو منها عضواً منك من النار.

وفي هذا المعنى وردت عدة أحاديث.

ولقد اعتق علي عليه السلام ألف مملوك من كدّ يده.

إن موقف الإمام زين العابدين عليه السلام من المماليك هو خلاصة الموقف الإسلامي بما فيه من نظام دقيق، وقيم خلاقة وأساليب تربوية وسياسية رفيعة. فمما لا ريب فيه أن الفترة التي يلبث فيها المماليك عند الإمام زين العابدين عليه السلام يلقّنهم فيها من التربية والآداب والتوجيه والسداد ما يجعلهم أحرار النفوس قبل أن يكونوا أحراراً في واقع الحياة.

كان في استطاعه أن يطلق سراحهم من أوّل عقد الشراء، أو حصوله عليهم من دون أن يلبثوا عنده. فما انتفاعه من الأشهر التي يقيمون فيها لديه ثم يطلقهم، ولا سيما أن العملية تتكرر؟

إن مجموعة منهم لو بقوا لديه بغير تحرير فإنهم يغنونهُ عما يليهم من المماليك بيد أن هنالك هدفاً أسمى من الخدمة والمعونة المتوخاة منهم، انه هدف التربية والإرشاد، هدف التعليم والتوجيه وغير ذلك.

كانت لكل واحد من العبيد صحيفة أعمال يسجل فيها الإمام سيئاته وأخطائه فإن حان وقت التحرير قرأ عليهم صحائف أعمالهم وهنا يعترفون بما ارتكبوا من الأخطاء فيعفو عنهم ثم يطلب منهم أن يعفوا عنه ويصفحوا فيقولون: قد عفونا عنك وما أسأت.

ولا يخفى عليه أن المماليك يرغبون بعد تحريرهم أن يكتسبوا ويشقوا درهمهم العملي في الحياة فيعطيهم رؤوساً من الأموال على هيئة منح وهبات، ولا يسترد منهم ذلك ما سمر سمر.

هذه طريقته في تحرير العبيد ذكرناها بشكل موجز. ولكن الذي لا شك فيه

أن تاريخ سياسة تحرير العبيد عند إمامنا زين العابدين التي تتعلق بإطلاق سراح الأرقاء والتي تعبر عن روح الإسلام ونظراته للأرقاء، حيث أنها مادة تربوية وأخلاقية واجتماعية عالية المضامين، وهي في نفس الوقت جواب عميق عن الأسئلة والإشكالات التي تطرحها فئة من المستشرقين حول الإسلام. نريد أن نقول لهم: هذا هو الإسلام في نظراته وأخلاقته وجوهره متمثلاً في سياسة أحد كبار قادته الميامين تجاه العبيد.

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة. وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده: أذنب فلان، أذنبت فلانة، يوم كذا وكذا ولم يعاقبهم، فيجتمع عليهم الأدب.

حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم اظهر الكتاب ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤدبك، أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا بن رسول الله، حتى يأتي على آخرهم ويقررهم جميعاً، ثم يقوم وسطهم ويقول لهم:

ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت، كما أحصيت علينا كل ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها، وتجد كل ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً، فاعفُ واصفح كما ترضو من المليك العفو، وكما تحب أن يعفو المليك عنك فاعفُ عنا.. تجده عفواً، وبك رحيماً، ولك غفوراً، ولا يظلم ربك أحداً. كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا. لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما آتينا إلا أحصاها، فاذكر يا علي بن الحسين ذلّ مقامك بين يدي ربك الحكم العدل، الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل.

ويأتي بها يوم القيامة وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعفُ واصفح يعفُ عنك المليك ويصفح، وهم ينادون معه وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويقول:

ربّ انك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا، وقد عفونا عمن ظلمنا كما أمرت فاعف عنا، فانك أولى بذلك منا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نردّ سائلاً عن أبواننا، وقد أتيناك سؤلاً ومساكين وقد أنخنا بفنائك وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك، فامنن بذلك علينا ولا تحيّبنا فانك أولى بذلك منا ومن المأمورين.

إلهي كرمت فأكرمني إذ كنت من سؤالك وجدت بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك يا كريم.

ثم يقبل عليهم فيقول: قد عفوت عنكم فهل عفوتم عنيّ ومما كان مني إليكم من سوء ملكة؟ فيقولون: قد عفونا عنك يا سيّدنا، وما أسأت. فيقول لهم قولوا: اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفا عنا، فاعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرقّ. فيقولون ذلك. فيقول: اللهم آمين ربّ العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتني فيعتقهم، فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس، وما من سنة إلّا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً إلى أقل أو أكثر.

وما استخدم خادماً فوق حوله، كان إذا ملك عبداً في أول السنة أو في وسط السنة إذا كان ليلة الفطر اعتق، واستبدل سواهم في الحول الثاني ثم أعتق، كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى، ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم من حاجة يأتي بهم عرفات فيسدّ بهم تلك الفرج والخلال فإذا أفاض أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال.

ولا شك أن الحرية التي يمنحها الإسلام لهؤلاء الأحرار بل لكل الناس هي على أربعة أقسام:

أولاً: حرية العقيدة، وهي الحرية الدينية إذ كانت خطة النبي الأكرم ﷺ هي إبلاغ مبادئه إلى المجتمع، فإن شاءوا آمنوا بها وإن شاءوا لم يؤمنوا منطلقاً من



قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾، حيث يتفرع عن هذه الحرية ما يلي:

- حرية الفكر وهي كما يعرفها الشاعر الإنجليزي (ملتون) هي حرية اكتساب المعرفة، وحرية النطق بها وإعلانها ومناقشتها، حسب ما يمليه عليه الضمير وهي فوق كل الحريات»

- حرية التعبير عن الرأي: وهي متممة لحرية الفكر وهي حرية التعبير نطقا وكتابة ويجب أن لا تكون منافية للأخلاق والآداب العامة أو منطلقا للمبادئ الهدامة وخلق المشاكل بين المجتمع بل حرية النقد الهادف والحجة الدامغة لأي جهة كانت حاکمة أو محكومة.

ثانيا: الحرية السياسية، ولقد عرفت بأنها: أن يكون المرء عضوا فعالا في الهيئة ذات السيادة، وفي الهيئة الداخلية بحيث تكون الفرصة متاحة له لأن تكون إرادته مسموعة، وأن يكون له أثر على سن القوانين ورسم سياسة الدولة، وذلك باستعمال حقوقه في حرية الكلام وحرية اقتراح القوانين، وينبثق منها:

- حرية الاجتماع، ولقد ندب إليه الإسلام ما دام في مصلحة المجتمع، وكما كفله إعلان حقوق الإنسان الدولي في الفقرة «١» من المادة الحادية والعشرين ما نصه «إن لكل إنسان الحق في حرية الاجتماع وتكوين الجمعيات السلمية»

- تأليف الجمعيات: يشجع الإسلام على تأليف الجمعيات التعاونية والخيرية التي فيها مصلحة للناس وللمجتمع.

ثالثا: الحرية المدنية، وهي إعطاء الفرد حرية اختيار مجال العمل والسكن والزواج، وهي:

- الحرية الشخصية، وهي اختار نوع العمل الذي يتلاءم وقدراته ومؤهلاته

على أن لا يكون محرماً، كما أن له اختيار الزوجة التي يرغب الارتباط بها على أن لا تكون من المحارم.

- حرية السكن، كما أن له الحرية في اختيار المكان والبلد ونوع السكن الذي يرغب فيه على أن لا يكون مغصوباً.

رابعاً: الحرية الاقتصادية، وهي إباحة حرية تصرف الفرد في ملكه كيفما شاء، ومنه تتفرع الملكية الفردية ونعني بها حرية الشخص في استغلال ملكه والتصرف فيه أنى له شاء وذلك في حدود حرية التملك التي أباحها له الإسلام.

بعد هذه المقدمة عن سياسة تحرير العبيد في الإسلام، وما أتاح لهم من حريات مساواة لهم بسائر الناس، وكما عرفنا بأنهم لم يتركوا هملاً بل قد اعتنى بتربيتهم وإرشادهم وتعليمهم وتوجيههم بل وإعطائهم الأموال والأراضي لكي يكتفوا ذاتياً ولا يكونوا عالة على المجتمع، وحيث أن هذه العطاء يمثل جميع أنواع النعم (نعمة النفقة والمعيشة، ونعمة العلم والأدب، ونعمة الأبوة، ونعمة الولاء، كان حري بهذا المملوك شكر مالكة والمنعم عليه بل هو يأتي في المرتبة الثانية بعد أولي الأرحام، بل أكثر من ذلك بأن لا يؤثر عليه نفسه ما احتاج إليك، وكل أقسام النعم يرأسها المنعم الحقيقي، والسبب التام في كل نعمة وهو موجدتها وهو الله تبارك وتعالى.

(لا يؤثر عليه نفسه ما احتاج إليك).

من هذا المنطلق أحببنا أن نبين معنى الشكر ومبانيه مع تبيان بعض الأمثلة العملية على ذلك.

وردت كلمة الشكر بمختلف صيغها في القرآن الكريم ٨٨ مرة، بينما وردت كلمة شكور (١٤) وكثرة التكرار يدل على أهمية الشكر والعمل به وقد قيل أن الشكر نصف الإيثار، وأما النصف الآخر فهو الصبر، كما ورد في بعض الروايات.

## تعريف الشكر في اللغة:

مادة (ش ك ر) تدل في اللغة على الشاء على المحسن، والمجازاة، وعرفان الإحسان، يقال: شَكَرَهُ وشَكَرَ لَهُ يَشْكُرُ شُكْرًا وشُكُورًا وشُكْرَانًا.

فالشُّكْرُ بالضم: عِزْفَانُ الإحسان ونَشْرُهُ أو لا يكون إلا عن يَدٍ ومن الله: المُجَازَاةُ والثَّنَاءُ الجميلُ شَكَرُهُ وله شُكْرًا وشُكُورًا وشُكْرَانًا.

والشُّكْرُ الشَّاءُ على المُحْسِنِ بما أَوْلَاكَهُ من المعروف يقال شَكَرْتُهُ وشَكَرْتُ لَهُ. يقال شكرت الله وشكرت لله وشَكَرْتُ بالله وكذلك شكرت نعمة الله وتَشَكَرَ له بلاءه كَشَكَرَهُ وتَشَكَرْتُ له مثل شَكَرْتُ لَهُ، وأنشد احدهم:

وإِنِّي لَا تِيَكُمُ تَشَكَّرَ مَا مَضَى من الأَمْرِ واستِجَابَ مَا كَانَ فِي الْغَدِ

أي لِتَشَكَّرَ مَا مَضَى وأراد ما يكون فوضع الماضي موضع الآتي، ورجل شُكُورٌ كثير الشُّكْرِ وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وفي الحديث حين رُؤِيَ ﷺ وقد جَهَدَ نَفْسَهُ بِالْعِبَادَةِ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ أَنَّهُ قَالَ ﷺ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟». وكذلك الأَنْثَى شُكُورٌ بغير هاء.

والشُّكْرَانُ خلاف الكُفْرَانِ والشُّكُور من الدواب ما يكفيه العَلْفُ القليل، وقيل الشُكُور من الدواب الذي يسمن على قلة العلف كأنه يَشْكُرُ وإن كان ذلك الإحسان قليلاً، وشُكْرُهُ ظهورُ نمائه وظُهُورُ العَلْفِ فيه. فأصل الشكر ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان، ظهوراً بينا يقال: شكرت الدابة تشكر شُكْرًا على وزن سمتت تسمن سمنًا: إذا ظهر عليها أثر العلف ودابة شُكُور: إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تأكل وتعطى من العلف، وفي السنة: «حتى إن الدواب لتشكر من لحومهم أي لتسمن من كثرة ما تأكل منها».

فمن خلال ما سبق يمكن القول أن الشكر على جملة من المعاني :

- بمعنى الثناء على المحسن بما قام به من المعروف.
- الرضا بالقليل ومنه الدواب الشكور التي يكفيها العلف القليل.
- ويأتي بمعنى الظهور يقال دابة شكور: إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تأكل وتعطي من العلف.

**والشُّكُورُ:** من صفات الله جل اسمه: معناه أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء وشُكْرُهُ لعباده مغفرته لهم، قال تعالى ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٣٠)، وقيل: الشُّكُورُ في أسمائه هو مُعْطِي الثَّوَابِ الْجَزِيلِ بِالْعَمَلِ الْقَلِيلِ فَالشُّكُورُ من أبنية المبالغة.

وأما الشُّكُورُ من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وَظَّفَ عليه من عبادته وقد قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ﴾ (سبأ: ١٣).

يقول الجرجاني: (النحوي المعروف مؤسس علم البلاغة): والشكر اللغوي هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجنان والأركان.

### الشكر في الاصطلاح:

وسبق وذكرنا أن الشُّكْرُ هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف، وعبارات أهل العلم في تعريف الشكر كثيرة دارت معظمها بين الثناء والاعتراف والمشاهدة.

فقد قيل في تعريفه هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع.

وقيل: الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فالعبد يشكر الله أي يشني عليه بذكر

إحسانه الذي هو نعمة والله يشكر العبد أي يثني عليه بقبوله إحسانه الذي هو طاعته.

وقال بعضهم: هو عُكُوفُ الْقَلْبِ على محبة المنعم والجوارح على طاعته وجريان اللسان بذكره والثناء عليه، وهذا تعريف للشكر بضروبه الثلاثة كما سيأتي.

وقيل: هو مُشاهدةُ الْمِنَّةِ وحفظُ الْحُرْمَةِ، وقال الجنيد «وهو عالم متصوف» الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة. وقال: «كنت بين يدي سري ألعاب، وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر؛ فقال لي: «يا غلام! ما الشكر» قلت: «الشكر ألا تعصي الله بنعمه». فقال لي: «أخشى أن يكون حظك من الله لسانك!» قال الجنيد: «فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها لي السري».

وقيل: هو إضافة النعم إلى مولاها، وقال بعضهم: الشُّكْرُ: اسْتِفْرَاغُ الطَّاقَةِ يعني في الخدمة.

وقالوا: الشكر عبارة عن معروف يقابل النعمة سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب.

ويقول الجرجاني: والشكر العرفي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله.

والشكر على ثلاثة أنواع هي:

وقد جمعها الشاعر في قوله:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

١ - شكر القلب: وهو تصور النعمة.

٢ - وشكر اللسان: وهو الثناء على المنعم، ومنه قوله - ﷺ -: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»، ومن الشكر باللسان التحدث بنعمة الله تعالى عليك فعن النعمان بن بشير، قال قال النبي - ﷺ -: «من لم يشكر القليل

لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله - عز وجل - والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب».

٣- وشكر الجوارح: وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه بمعنى استعمالها فيما خلقت له.

ومنه قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ (سبأ: ١٣)، يقول القرطبي - رحمه الله - قال الزهري: اعملوا آل داود شكرا أي قولوا الحمد لله، وشكرا نصب على جهة المفعول أي اعملوا عملاً هو الشكر، وكأن الصلاة والصيام والعبادات كلها هي في نفسها الشكر إذا سدت مسده، فحقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة للمنع، واستعمالها في طاعته، والكفران استعمالها في المعصية، بمعنى أن العبادات وخاصة البدنية هي شكر الجوارح.

### مبنى الشكر:

يبنى الشكر على خمسة قواعد يدور عليها الكلام في الشكر:

وأول هذه القواعد هي خضوع الشاكر للمشكور.

والثانية: الحب للمشكور.

والثالثة: اعتراف الشاكر بنعمة المشكور.

الرابعة: ثناء الشاكر عليه.

والخامسة: استعمال هذه النعم فيما يرضيه، وعدم استعمالها فيما يكره.

وعن عمار الدهني قال: سمعت علي ابن الحسين عليه السلام يقول: إن الله يحب كل قلب حزين، ويجب كل عبد شكور، يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبده يوم القيامة: أشكرت فلانا؟ فيقول: بل شكرتك يا رب فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره،

أشكركم الله أشكركم للناس.

وفي هذه المقطوعة الحقوقية الرائعة ضرب لنا الإمام زين العابدين أروع أنواع الشكر العملي وذلك بإنفاق ماله على هؤلاء المملوكين بل وإعتاقهم وإعطائهم حرياتهم وفكهم من أسار الربق والعبودية بل وأعطاهم الأموال، انظر إلى قوله عليه السلام ودفع عنك العسر ليس فقط العسر المادي بل العسر المعنوي وبسط لك لسان الإنصاف». وأجل من ذلك «وأوجدك رائحة العز» و«باحك الدنيا كلها فملكك نفسك وحل آسرك».

ثم انه عليه السلام أبان له كيف يشكر المنعم الحقيقي وهو الله سبحانه شكرا عمليا «وفرغك لعبادة ربك»، ومن ثم يشكر المنعم عليه وأحق الناس به في حياته وموته بعد أقاربه وبنصره ومعونته في ذات الله، حتى ولو أدى ذلك إلى بذل نفسه لو دعت الحاجة إليه.

هكذا يرينا الإمام زين العابدين، ويبين لنا مكارم الأخلاق التي بعث من أجلها رسول الله، ولو بالنزر اليسير.

وهذا ما يستفاد من قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام «حق على من انعم عليه أن يحسن مكافأة المنعم، فإن قصر عن ذلك وسعه فعليه أن يحسن الثناء، فإن كل عن ذلك لسانه فعليه بمعرفة النعمة ومحبة المنعم بها، فإن قصر عن ذلك فليس للنعمة بأهل».

وما أروع ما قاله الشاعر إيليا أبو ماضي، في قصيدته حول المحبة والشكر:

كن بلسمًا إن صار دهرك أرقما	وحلاوة إن صار غيرك علقما
إن الحياة حبتك كل كنوزها	لا تبخلن على الحياة ببعض ما
أحسن وإن لم تجز حتى بالثنا	أي الجزاء الغيث يغني إن هما؟
من ذا يكفي زهرة فواحة؟	أو من يثيب البلبل المترنما؟

لولم تفح هذي وهذا ما شدى	عاشت مذمة وعاش مذمما
يا صاح خذ علم المحبة عنهما	أنى وجدت الحب علما قيماً
أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا	لولا شعور الناس كانوا كالدمي
أحب فيغدو الكوخ كونا نيراً	وأبغض فيمسي الكون سجنًا مظلمًا







## حق مولاك

### رحلة حقوقية

يقول مهيار الديلمي:

قد قبست المجد من خير أب  
وقبست الدين من خير نبي  
وضمت الفخر من أطرافه  
سؤدد الفرس ودين العرب

لقد أعطى الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين الدروس في معاملة العبيد «الخدم»  
وعلموا الناس كيف يسلكوا معهم طرق التربية والتهذيب والتعليم والتأديب، فهذا  
الإمام زين العابدين بينما الجارية تسكب الماء على يديه إذ يسقط الإبريق منها فيشج  
رأس الإمام فيرفع رأسه إليها.

فقلت: والكاظمين الغيظ.

قال: الإمام كظمت غيظي.

قلت: والعافين عن الناس.

قال: عفا الله عنك.

قلت: والله يحب المحسنين.

قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

هذه صورة من أروع صور الحلم والعفو المحمدي والعلوي.

وجاء في نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لأبنة الإمام الحسن عليه السلام: واجعل لكل إنسان من خدمك عملاً تأخذه به، فإنه أحرى أن لا يتواكلوا في خدمتك.

رحلتنا الحقوقية تسير وتجد السير ذللاً فتخط على شواطئ حقوق العبيد «الخدم» وهذا الحق المهم من رسالة الحقوق:

### حق مولاك

وَأَمَّا حَقُّ مَوْلَاكَ الْجَارِيَةِ عَلَيْهِ نِعْمَتُكَ فَإِنَّ  
تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ حَامِيَةً عَلَيْهِ، وَوَاقِيَةً  
وَنَاصِرًا وَمَعْقِلًا، وَجَعَلَ لَكَ وَسِيلَةً وَسَبِيًّا  
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَبِالْحُرِّيِّ أَنْ يَحْجُبَكَ عَنِ النَّارِ  
فَيَكُونَ فِي ذَلِكَ ثَوَابٌ مِنْهُ فِي الْآجِلِ، وَيَحْكُمُ  
لَكَ بِمِيرَاثِهِ فِي الْعَاجِلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحِمٌ،  
مُكَافَأَةً لِمَا أَنْفَقْتَهُ مِنْ مَالِكَ عَلَيْهِ وَقُضِيَ بِهِ مِنْ  
حَقِّهِ بَعْدَ إِنْفَاقِ مَالِكَ، فَإِنْ لَمْ تَقُمْ بِحَقِّهِ خِيفَ  
عَلَيْكَ أَنْ لَا يَطِيبَ لَكَ مِيرَاثُهُ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا  
بِاللَّهِ.

معنى مولاك: عبدك - خادمك، ومعنى حامية: حماية، ومعنى معقلاً: ملجأ، ومعنى، فبالحرري: بالأولى والأجدر.

لقد سطرت يدا الإمام الذهبية وعقله الرباني مفردات فذة تتسامى فوق عقول البشر.

وهذه وما قبلها من النفحات المختصة بهذه النسمة تعيد الروح لهذا الكائن الحي الذي يسمى عبداً أو أمة.

لقد كانت الأمم السابقة وحتى ما قبل بعثة النبي تذل العبيد والخدم بل لا ترى لهم أية كرامة، وما قرأناه من سيرة قريش إبان الأيام الأولى من بعثة النبي ﷺ من اضطهاد الموالي وحتى منعهم من التفكير وحرية الرأي والعقيدة والإختيار لخير دليل. ولكن ما جاء به النبي ليترجم قوله تعالى ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ جاءت ليست لتقضي على كل هذه الإنحرافات فحسب بل لتضع لهذا العبد حقاً على مولاه.

ففي وصية النبي ﷺ اتقوا الله فيما ملكت أيما نكم أطعموهم مما تأكلون وأكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من الأمر ما لا يطيقون.

فهذه الوصية وما ذكره الإمام علي عليه السلام من حق تضع لنا النظام الذي يجب أن نتعامل به مع الخدم وسوف نتطرق إلى شيء منه.

ولقد طبق أصحاب النبي ﷺ هذه الوصايا تطبيقاً عملياً، فهذا هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يعطي غلامه دراهم ليشترى بها ثوبين متفاوتي القيمة، فلما أحضرهما أعطاه أرقاهما نسيجا وأغلاهما قيمة، وحفظ لنفسه الآخر وقال له: «أنت أحق مني بأجودهما، لأنك شاب تميل نفسك للتجمل، أما أنا فيكفيني هذا».

لقد كان الأولى يهتمون بالخدم والمماليك إلى درجة الوجد ولنا في قصة ابن منير وغلامه «تتر» وما حدث من موقف مع الشريف المرتضي ما يدل على ذلك، لقد أرسل ابن منير «أحد شعراء أهل البيت» إلى الشريف المرتضى الموسوي بهدية مع غلام أسود له، فكتب إليه الشريف: أما بعد، فلو علمت عدداً أقل من الواحد أو لونا شراً من السواد بعثت به إلينا والسلام. فحلف ابن منير أن لا يرسل إلى الشريف هدية إلا مع

أعز الناس عليه فجهز هدايا نفيسة مع مملوك له يسمى (تتر) وكان يهواه جدا ويحبه كثيرا ولا يرضى فراقه، حتى أنه متى اشتد غمه أو عرضت عليه محنة نظر إليه فيزول ما به، فلما وصل المملوك إلى الشريف توهم أنه من جملة هداياه تعويضا عن العبد الأسود، فأمسكه وعزت الحالة على ابن منير، فلم ير حيلة في خلاص مملوكه من يد الشريف إلا إظهار النزوع من التشيع إن لم يرجعه إليه، وإنكار ما هو المتسالم عليه من قصة الغدير وغيرها، فكتب إليه بهذه القصيدة :

عذبت طرفي بالسهر  
وأذبت قلبي بالفكر  
ومزجت صفو مودتي  
من بعد بعدك بالكدر  
ومنحت جثمانني الضنى  
وكحلت جفني بالسهر  
وجفوت صبا ماله  
عن حسن وجهك مصطبر  
يا قلب ويحك كم  
تخادع بالغرور وكم تغر  
والى ما تكلف بالاغن  
من الظباء وبالاغر  
لئن الشريف الموسوي  
ابن الشريف أبي مضر  
أبدى الجحود ولم يرد  
إلى مملوكي تتر  
واليت آل أمية الطهر  
الميامين الغرر

والقصيدة رائعة جدا نقلنا جانباً منها، ومنها أيضاً :

وحلقت في عشر المحرم      ما استطال من الشعر  
ونويت صوم نهاره      وصيام أيام آخر  
ولبست فيه أجل ثوب      للمواسم يدخر  
وسهرت في طبخ الحبوب      من العشاء إلى السحر

فلما وصل إلى الشريف تبسم ضاحكا وقال: قد أبطأنا عليه فهو معذور، ثم جهز المملوك مع هدايا نفيسة ورده إليه.

هذه القصة من التراث وغيرها تبين شدة العناية بالخدم والإهتمام بهم.

وما بينه الإمام هنا من حق يعتبر ضرباً من ضروب الرحم وربما يلحق به وحيث أنها علاقة متبادلة بين العبد ومولاه حيث أن المولى ينفق ويعطي ويقوم بجميع الواجبات التي عليه تجاه هذا الخادم، لذلك فإن عمله هذا يكون واقياً له وحامياً له وحاجباً له من النار، كما أنه يعد من عمل العقلاء، وكمكافأة لذلك فإنه يحق للمولى أن يرث هذا العبد أو الخادم شريطة أن لا يكون له رحم، وهذا هو السبب الذي جعل هذا الحق يلحق بحقوق الرحم. وفي المقابل إن أهمل هذا المولى وقصر في ما وجب عليه من حقوق تجاه هذا الخادم فإنه يخاف على المولى ولا يطيب له أن يرثه وإن لم يكن له رحم.

واليوم نرى جانباً من عدل الإسلام مع الخدم وإنصافهم وجعل حقوقهم واجبات شرعية يجب أن تؤدي إليهم. ومن هذه الحقوق التي اشرنا أننا سوف نتطرق إلى بعضها:

### ١- الحق في الإكرام والتكريم :

جاء عن المعروف بن سويد قال: رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلة،

وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: سابيت رجلاً فشكاني إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية، ثم قال: خولكم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم.

ففي هذا الهدي العلمي الاجتماعي الإنساني جعل المصطفى ﷺ تعبير الخادم من الجاهلية، وحفظ كرامته من الإسلام، وقد جاء الإسلام ليقضي على العصبية الجاهلية. كما أوصى ﷺ بهذه الوصية التي رفعت من شأن الخدم إلى درجة المخدومين والسادة، فبين ﷺ أن الخدم إخوان لمخدوميهم ولباقي المجتمع في الدين والإنسانية، وكان الظاهر أن يقول خولكم (أي خدمكم) إخوانكم ولكن قدم الأخوة على الخدمة، فالخدمة إعانة فكيف نجعلها سبب تحقير واهانة؟!

إن الأخوة وحدها داعية التجبيل والاحترام، فكيف إذا انضمت إليها الخدمة والمعونة والمساعدة؟

والخادم يقوم لنا بأمور نعجز عن معالجتها، والقيام بها فهو يكمل نقصنا ويوفر علينا وقتنا ويحقق أغراضنا، ولينظر كل منا حاله في حال غياب خادمه وخادمتة وكيف تتعطل الحياة، وتتعسر الحاجات فالذي يحقق مصالحنا خليف بإكرامنا ورعايتنا.

كما يستفاد منه انه إذا كلف بالعمل والخدمة وجب إن يكون ذلك في طاقتهم وإلا وجب إعانتهم.

## ٢- الحق في العناية والرعاية:

فقد جعل رسول الله ﷺ في الحديث السابق للخادم الحق في العناية والرعاية، العناية الصحية والرعاية الاجتماعية والقناعة والنفسية فنطعمهم من جنس ما نطعم، فلا نعد لهم طعاماً دون طعامنا، ولا عيشاً دون عيشنا، فإن كان طعامنا لحماً وأرزاً

وخضاراً وفاكهة وحلوى وشراباً لذيذاً فلنبق له من كل، ولا نحرمة من بعضه، قال ﷺ: (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليتناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي علاجه (أي طبخه وأعدّه)).

بل ورد في بعض الروايات استحباب الجلوس والأكل معهم كما كان يصنع ﷺ. وقد نهانا ﷺ أن نكلفهم من الأعمال ما يشق عليهم، ويستفرغ جهدهم وطاقاتهم ويسئهم فإن كلفناهم بالمشقة وجب علينا أن نعينهم بأنفسنا أو بخدم آخرين. كما يجب علينا مواساتهم في الشدة وعياداتهم عند المرض، ودعاء الطبيب لهم إذا ساءت حالتهم.

### ٣- الحق في الاحترام والتبجيل:

للخادم الحق في الاحترام والتبجيل وعدم الإهمال والازدراء فعن أبي سعيد الخدري أن شاباً أسود كان يقيم المسجد (ينظفه) ففقدته رسول الله ﷺ، فسأل عنه، فقالوا: مات، قال: أفلا كنتم آذنتموني به، فكأنهم صغروا أمره، فقال: (دلوني على قبره)، فدلوه عليه ثم قال: (إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله تعالى ينورها لهم بصلاتي عليهم).

وبهذا نرى عناية الإسلام للخدم واحترامهم ورفع شأنهم وقال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨) وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ ﴿فَإِذَا دُعِيَ إِلَى الْيَتِيمِ﴾ ﴿وَلَا يُخِصُّ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ (الماعون: ١-٢-٣) والرسول ﷺ يقول: (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم).

### ٤- الحق في التربية والتعليم:

لقد جعل الإسلام الحق في التعليم واجب على كل مسلم ومسلمة، وقد خصص رسول الله ﷺ للخدم والفقراء والعبيد وقتاً يجتمع فيهم ويعلمهم، وقد أستاذ سادة

قريش من ذلك، وطلبوا منه أن يبعد هؤلاء عنه حتى ينضموا إليه، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٢).

وقد أمر صلى الله عليه وسلم زيد أن يتعلم السريانية كما جعل الإسلام تعلم العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة والخدم من المسلمين ومن العجيب أن رواة القرآن وقراءه جلهم من الموالي والعبيد وهذا يدل على المكانة العالية التي أولاها المخدومون لخدمهم وحرصهم على تعليمهم ما يعلمون، كما أن حضور الصلاة يساويهم مع مخدوميهم أمام الله، كما يجب أن يكون المخدوم خير مثال يحتذيه الخادم في القول والعمل.

#### ٥ - بعض الوصايا التي تختص بالمعاملة الطيبة:

- شكرهم عند الإحسان وتعنيفهم عند التقصير.
- إعطائهم أجرهم كاملاً وفي زمنه المحدود، وإعطائهم مكافأة من حين لآخر.
- السماح للخدام بساعة في النهار يتروح فيها ويقوم فيها بشؤونه، وقد كان آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال في شأن الخدم:

«اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم: أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فما أحببتهم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا، ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم». وقال ﷺ للمملوك طعامه وشرابه وكسوته بالمعروف، ولا يكلف من العمل ما لا يطيق». وقال: لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيئ الملكة».

ورد أنه جاء رجل فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخدام فصمت عنه ثم قال أعف عنه كل يوم سبعين مرة.



إن مثل هذه الروايات في بيان السير والسلوك مع التربية الإسلامية في المسيرة مع الخدم والعبيد للتدليل على السماح والرحمة والصبر وحسن المعاملة وأن يكون التقابل بين الطرفين من المولى والعبد ومن الخادم والمخدوم وأن لا يكون الإنسان في صدد إظهار العظمة والكبرياء والجبروت.

وتلخيصا لما ذكرنا من مسألة الحقوق بين المولى والعبد فإنه يمثل عدة أدوار:

١ - دور الواجب الشرعي فإنه على المولى أن يوفي تمام حق العبد أو الخادم في مقام الاستئجار فلا يفرط كل منهما في مسألة الحق كما جرى عليه وظيفة شروط العبد والسيد والمؤجر والمستأجر.

٢ - دور الواجب الأخلاقي وهو أن يقوم العبد بالإخلاص والأمانة والمعاوضة التامة لسيدته كما أن دور السيد أن يقوم بالإنفاق واللفظ والمحبة مع عبده وخادمه وقد ورد إذا كفى الخادم أحدكم طعامه فليجلسه ليأكل معه.

٣ - الدور الاجتماعي بأن يجعل العبد مرتبطا بالهيئة الاجتماعية ولا ينفصل عن المجتمع حتى يكون لا مغلقا معقدا اجتماعياً وإنما يزجه بالروابط الاجتماعية أيضا غير منفصل عنها.

٤ - السماح للخدام بساعة في النهار يتروح فيها ويقوم فيها بشؤونه، وقد كان آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال في شأن الخدم:

«اتقوا الله فيما ملكت أيما نكم: أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فما أحببتهم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا، ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم».

وبقدر ما حاول الخلفاء من بني أمية من بعد الخلفاء الراشدون اذكاء العصبية في النفوس المريضة التي كانت العرب لا زالت حافلة بها وحقدا لمحمد وآل محمد،

بقدر ذلك نرى رسول الله ﷺ يقول: «سلمان منا أهل البيت».

هذا الدستور العظيم هل هو معمول به الآن. فها نحن نرى اليوم وحتى في من تعد نفسها من أعظم الأمم، الولايات المتحدة الأمريكية ففيها من العنصرية بين السود والبيض والغني والفقير ما تندى له جبين الإنسانية، نعم نحن نقدر لها رقيها العلمي واختراعاتها وتطورها شريطة ان تكون في خدمة العائلة الإنسانية.





## حق ذي المعروف

### رحلة حقوقية

قال امير المؤمنين:

الفضل من كرم الطبيعة  
والمن مفسدة الصنعة  
والخير أَمْنٌ جانبا  
ومن قمة الجبل المنية  
والشر أسرع جريّة  
من جريّة الماء السريعة  
ترك التعمه للصديق  
يكون داعية القطيعة

المعروف والفضل والكرم من طبيعة الإنسان، وهو كل ما يسديه المرء لأخيه أو صديقه من خدمة بهال أو عمل أو نصيحة، واداء حق ذي المعروف من اوجب الواجبات بل من مكارم الأخلاق وقد ورد في الأثر «من لا يشكر المخلوق لا يشكر الخالق»، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ وجاء في مجمع الحمام في حكم الإمام أمير المؤمنين «الشكر زينة الغنى». وقد يأتي الشكر احيانا على قدر المعروف.

ونحن لو شرقنا أو غربنا وبحثنا في آثار الحضارات الماضية كالإغريق والرومان

والهند وفارس وما جاء عنها من فلسفة ووضع الأسس والدساتير عن المدينة الفاضلة والأخلاق الفاضلة وتطبيقها على أرض الواقع «على أننا نكبر ما جاء فيها» فإننا لن نراها واقعا عمليا إلا في تراث المسلمين وتحديدًا في تراث أهل البيت.

ها نحن نصل إلى الحق الثالث من حقوق الآخرين وهو حق ذي المعروف

### حق ذي المعروف

«وَأَمَّا حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ عَلَيْكَ فَإِنْ تَشْكُرُهُ  
وَتَذْكُرَ مَعْرُوفَهُ وَتَنْشُرَ لَهُ الْمَقَالََةَ الْحُسَنَةَ،  
وَتُخْلِصَ لَهُ الدُّعَاءَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ،  
فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرًّا  
وَعَلَانِيَةً ثُمَّ إِنَّ أَمْرَكَ مُكَافَأَتُهُ بِالْفِعْلِ كَأَفْأَتِهِ  
وَالْأَكُنْتُ مُرْصِدًا لَهُ مُوْطِنًا نَفْسَكَ عَلَيْهَا»

وردة كلمة معروف في القرآن الكريم «٣٧» مرة أما كلمة الشكر في القرآن الكريم وردة بمختلف صيغها «٨٨» مرة، وكلمة شكور «١٤» مره، وما هذا التكرار إلا لأهمية هاتين الصفتين والتحلي بهما، على أننا لو راجعنا الكثير من آيات الشكر لوجدنا أن منافع الشكر تعود علينا وهذا كله من كرم نعم الله اذ يعطي فإذا شكر زاد واعطى.

وجاء في المنجد للأعلام واللغة في معنى كلمة شكر:

شكر - شكرا وشكورا وشكرانا الرجل وله «وباللام افصح» أثنى عليه لما اولاه من المعروف. ويقال شكر الله سعيك، أي اثناك، «وشكرت لفلان نعمته»، و«شكر الله والله وبالله» و«نعمة الله وبنعمة الله» فهو شاكر وجميعه شاكرون وشُكر.

والمعروف كما قال الراغب في المفردات: «اسم لكل فعل يُعرف بالعقل أو الشرع حسنه»، وقال ابن منظور: «هو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه،

والإحسان إلى الناس؛ وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة، أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا يُنكرونه، والمعروف النصفة وحسن الصُحبة مع الأهل وغيرهم من الناس والمنكر ضد ذلك جميعه.

أي دستور واية أخلاق يضعها لنا هذا الإمام العظيم في رسالة حقوقه، انه الشكر العملي الذي لا يتوقف على لقلة اللسان فقط بل يتعداه الى الشكر الفعلي العملي الذي يترجم المحبة والمؤاخات بين الشاكر والمشكور. فما هي هذه الأسس التي وضها لنا عليه السلام:

- ان تشكره وتذكر معروفه

- تنشر له المقالة الحسنة

- تخلص له الدعاء

- مكافأته بالفعل

وإذا ما ادينا هذه كنا قد شكرناه سرا وعلانية.

ان تراث أهل البيت مليء بالآحاديت والحكم التي تؤطر لكل خلق وصفة حسنة، وما صفة الشكر وأداء حق ذي المعروف إلا واحدة منها، ولقد ذكر مولانا أمير المؤمنين «١٥» حكمة في المعروف وشكره وردت كلها في كتاب «غرر الحكم ودرر الكلم» لعبدالوحد الأمدي، وسنذكر شيئا من تلك الآحاديث والحكم في طيات حديثنا إن شاء الله.

### مقدمة في المعروف:

لقد حض الله عز وجل في كثير من الآيات على قول المعروف وفعله، فقال عز من قائل في جانب القول: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى﴾ «البقرة: ٢٦٣»، وقال: ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ (محمد: ٢١، ٢٠)، وقال في جانب الفعل: ﴿فَأَمْسِكُوا هُتَنَ مَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (البقرة: ٢٣١)، وقال: ﴿وَمَنْ

كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴿ (النساء: ٦)، وقال:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩)، وقال: ﴿وَأَمُرُوا بِبَيْنِكُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾  
«الطلاق: ٦»؛ وأمر نبيه ﷺ أن يأمر بالمعروف كما في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ  
بِالْعُرْفِ﴾ «الآية الأعراف: ١٩٩».

وجعل الأمر به أو الأمر بضده علامة فارقة بين المؤمنين والمنافقين، فقال  
في حق المؤمنين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (التوبة: ٧١)، وقال على الطرف الآخر في حق المنافقين:  
﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾  
(التوبة: ٦٧)، وأخيراً، جعل الأمر بالمعروف من علامات خيرية هذه الأمة على غيرها  
من الأمم فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وهذا الذي سبق - وغيره كثير - يدل على أهمية قول المعروف وفعله.

ومن أطف ما جاء في نفع المعروف لصاحبه في الدنيا قوله ﷺ: «صنائع  
المعروف تقي مصارع السوء» وكم اجاد هذا الشاعر في تمثيل هذا الحديث:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ  
مكانة المعروف وأهله:

يمتاز أهل المعروف بمعروفهم، ولهم مكانة معروفة، وفي الحديث الشريف:

«من بذل معروفه آتاه الله جزاء معروفه «وفيه» أهل المعروف في الدنيا أهل  
المعروف في الآخرة».

وفي حديث ابن عباس قال: «يأتي أهل المعروف يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم  
وتبقى حسناتهم تامة فيعطونها لمن زادت سيئاته على حسناته فيغفر له، فيدخلون الجنة،  
فيجتمع لهم الإحسان إلى الناس في الدنيا والآخرة».

وفي الحديث: «ليش شيء أفضل من المعروف إلا ثوابه» وفيه «ليس كل من يحب أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه، وليس كل من يرغب فيه يقدر عليه، ولا كل من يقدر عليه يؤذن له فيه، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن تمت السعادة للطالب والمطلوب إليه، وصنائع المعروف تدفع ميتة السوء، وتقي مصارع الهون».

ويشير هذا الحديث على أن الأعمال الخيرية تحتاج إلى التوفيق من الله سبحانه بعد الرغبة والقدرة.

وقال عليه السلام «أول من يدخل الجنة المعروف وأهله وأول من يرد علي الحوض» وقوله عليه السلام «إن البركة أسرع إلى البيت الذي يمتاز فيه المعروف من الشفرة في سنام الجزور أو من السيل إلى منتهاه».

ومن حكم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في المعروف:

- المعروف أشرف سيادة
- المعروف أفضل الكنزين
- المعروف حسب
- المعروف رق
- المعروف غل لا يفكه إلا شكر أو مكافأة
- المعروف كنز فانظر عند من تودعه
- المعروف لا يتم إلا بثلاث «بتصغيره، وتعجيله، وستره، فإنك إذا صغرتَه فقد عظمتَه وإذا عجلتَه هنأتَه وإذا سترتَه فقد تَممتَه».
- المعروف يكدره تكرار المن به.

وعن الإمام الباقر عليه السلام «إن من أحب عباد الله إلى الله لمن حُبب إليه المعروف وحبب إليه فعالة» وقوله «إن من بقاء المسلمين وبقاء الإسلام أن تصير الأموال عند من يعرف الحق ويصنع المعروف، إن من فناء الإسلام وفناء المسلمين أن تصير الأموال

في أيدي من لا يعرف فيها الحق ولا يصنع فيها المعروف».

إن مما يندى له الجبين أن نرى اليوم أموال و ثروات المسلمين بأيدي أناس كتلك التي أشار لها الحديث أعلاه ينفقونها في شهواتهم وملذاتهم وأمورهم الخاصة.

وعنه عليه السلام مخاطبا زرارة: «ثلاثة إن تعلمهن المؤمن كانت له زيادة في عمره، وبقاء لنعمته عليه.

فقلت: وما هن؟ فقال: تطويله في ركوعه وسجوده في صلاته، وتطويله لجلوسه على طعامه إذا أطمع على مائدته، واصطناعه المعروف إلى أهله».

### أنواع المعروف

**الأول - معروف عام، وهذا النوع من المعروف يقتضي الجهر به والإعلان عنه.**  
قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، لأن في إعلانه المجد والشرف مثل غنائم الجيوش ومكافأة الملوك على الأعمال الصالحة وصدقات الفرائض.

**الثاني - معروف خاص، وهذا النوع من المعروف يقتضي الإخفاء والكتمان،**  
كالعطايا التي من شأنها سد الحاجة ودفع العوز وهذا يجب فيه الكتمان وجوبا محتوما، والا يعلم بالصنيع احد سوى المقصود وحده بها.

قال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «صدقات السر في التطوع تفضل علانيتهما سبعين ضعفا، وصدقة الفريضة علانيتهما أفضل من سرها بسبعين مرة.

وقوله ﷺ «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شئاله ما صنعت يمينه».

ونحن اذا اردنا ان ندلل على واقع عملي وتطبيق حي لصدقة السر فسوف نراها جلية واضحة في سيرة أهل بيت النبوة، فقد نقل معلّى بن خنيس وكان من



أصحاب الأمام الصادق عليه السلام ومحبيه، أنه رأى الأمام خارجاً في الليل قاصداً ظلة بني ساعدة، فتساءل في نفسه: أين يريد الإمام في هذا الليل يا ترى؟ والله لا أدعه وحده في ظلمة الليل الموحشة، فمشى خلف الإمام يراقبه والإمام لا يعلم به. وبينما هو يقتفي أثر الإمام إذ سمع فجأة أن شيئاً سقط من كتف الإمام وتبعثر على الأرض، وسمع الإمام يقول: بسم الله اللهم رده إلينا، فتقدم من الإمام وسلم عليه فعرفه الإمام الصادق عليه السلام من صوته فقال له: أمعلّي أنت؟ وحانت منه التفاتة إلى الأرض، فإذا هو بخبز كثير قد تناثر عليها، فقال الإمام: إلمس بيدك الأرض فما وجدت من شيء فهاته.. وبعد أن جمع معلّي الخبز من على الأرض وناولته إلى الإمام، علم أن الإمام عجز عن حمل جراب الخبز فسقط منه على الأرض، لذلك استأذن من الإمام أن يحمل الجراب بدلا عنه، فقال الإمام: لا، أنا أولى به منك، ولكن تعال معي، سارا معا والإمام يحمل الجراب على كتفه حتى بلغا ظلة بني ساعدة، فإذا هم يقوم فقراء نيام، لأن الظلة كانت ملجأ الفقراء ومأوى المساكين والضعفاء. فجعل الإمام يدس الرغيف والرغيفين حتى أتى على آخرهم فانصرف هو ومعلّي، قال الإمام لمعلّي: صدقة الليل تطفئ غضب الرب وتمحو الذنب وتهون الحساب.

### الثالث - الإحسان

قال مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام:

أحسن إلى من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره.

من أنواع المعروف، الإحسان، والمحسنون في نظر الإسلام أحباب الله يرعاهم، وأن رحمته ترعاهم قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقد عرف لغة: الإحسان ضدُّ الإساءة. مصدر أحسن أي جاء بفعل حسن.

معنى الإحسان اصطلاحاً: الإحسان نوعان:

- إحسان في عبادة الخالق: بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه. وهو الجِدُّ في القيام بحقوق الله على وجه النصّح، والتّكميل لها.

- وإحسان في حقوق الخلق، هو بذل جميع المنافع من أي نوع كان، لأي مخلوق يكون، ولكنه يتفاوت بتفاوت المحسن إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب الإحسان، وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسبب الداعي له إلى ذلك.

وقال الراغب: (الإحسان على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير، والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً).

قال ابو الفتح البستي:

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ فَطالما استعبد الإنسان إحسان

صور الإحسان:

قبل أن نُفَصِّلَ في صور الإحسان نذكر هذه الصور على جهة الإجمال، والتي منها الإحسان في العبادات، والإحسان في المعاملات، والإحسان إلى الحيوانات، والإحسان في الأعمال البدنية، ف(الإحسان في باب العبادات أن تؤدّي العبادة أيّاً كان نوعها؛ من صلاة أو صيام أو حجّ أو غيرها أداءً صحيحاً، باستكمال شروطها وأركانها، واستيفاء سننها وآدابها، وهذا لا يتم للعبد إلّا إذا كان شعوره قوياً بمراقبة الله عزّ وجلّ حتى كأنه يراه تعالى ويشاهده، أو على الأقلّ يشعر نفسه بأن الله تعالى مطّلع عليه، وناظر إليه، فبهذا وحده يمكنه أن يحسن عبادته ويتقنها، فيأتي بها على الوجه المطلوب، وهذا ما أرشد إليه الرّسول ﷺ في قوله: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

وفي باب المعاملات فهو للوالدين برّهما بالمعروف، وطاعتها في غير معصية

الله، وإيصال الخير إليهما، وكفّ الأذى عنهما، والدُّعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقيهما.

وهو للأقارب برّهم ورحمتهم والعطف عليهم، وفعل ما يَجْمُلُ فعله معهم، وترك ما يسيء إليهم.

وهو لليتامى بالمحافظة على أموالهم، وصيانة حقوقهم، وتأديبهم وتربيتهم بالحسنى، والمسح على رؤوسهم.

وهو للمساكين بسدّ جوعهم، وستر عورتهم، وعدم احتقارهم وازدراءهم، وعدم المساس بهم بسوء، وإيصال النّفع إليهم بما يستطيع، وهو لابن السّبيل بقضاء حاجته، وسدّ خلّته، ورعاية ماله، وصيانة كرامته، وإبراشاده إن استرشد، وهدايته إن ضلّ.

وهو للخادم بإتيانه أجره قبل أن يحفّ عرقه، وبعدم إلزامه ما لا يلزمه، أو تكليفه بما لا يطيق، وبصون كرامته، واحترام شخصيّته.

وهو لعموم النّاس بالتّلطّف في القول لهم، ومجاملتهم في المعاملة، وإبراشاد ضالّهم، وتعليم جاهلهم، والاعتراف بحقوقهم، وإيصال النّفع إليهم، وكفّ الأذى عنهم.

وهو للحيوان بإطعامه إن جاع، ومداواته إن مرض، وبعدم تكليفه ما لا يطيق، وحمله على ما لا يقدر، وبالرفق به إن عمل، وإراحته إن تعب.

وهو في الأعمال البدنيّة بإجادة العمل، وإتقان الصّنع، وبتخليص سائر الأعمال من الغش، وهكذا. وإليك تفاصيل هذه الصُّور:

### ١- الإحسان في عبادة الله:

(والإحسان في عبادة الله له ركن واحد بيّنه النّبي ﷺ بقوله: (بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك). فأخبر النّبي ﷺ أن مرتبة الإحسان على

درجتين، وأن المحسنين في الإحسان على درجتين متفاوتتين، الدرجة الأولى: وهي (أن تعبد الله كأنك تراه). الدرجة الثانية: أن تعبد الله كأنه يراك، والمعنى إذا لم تستطع أن تعبد الله كأنك تراه وتشاهده رأي العين، فانزل إلى المرتبة الثانية، وهي أن تعبد الله كأنه يراك. فالأولى عبادة رغبة وطمع، والثانية عبادة خوف ورهب).

## ٢- الإحسان إلى الوالدين:

جاءت نصوص كثيرة تحت على حقوق الوالدين وبرهما والإحسان إليهما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣-٢٤).

قال العلماء: فأحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة له والإذعان من قرن الله الإحسان إليه بعبادته وطاعته، وشكره بشكره، وهما الوالدان، فقال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (لقمان: ١٤).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الأنعام: ١٥١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (سألت رسول الله ﷺ أيُّ العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها. قال قلت: ثم أي؟ قال: برُّ الوالدين. قال قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله).

وأجمع أكثر العلماء على أنه يجب تعظيم الوالدين والإحسان إليهما إحساناً غير مقيد بكونهما مؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة: ٨٣).

## ٣- الإحسان إلى الجار:

عن أبي شريح الخزاعي أن النبي ﷺ قال: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ

بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت).

ويكرم جاره بالإحسان إليه وكف الأذى عنه، وتحمل ما يصدر منه، والبشر في وجهه، وغير ذلك من وجوه الإكرام.

#### ٤- الإحسان إلى اليتامى والمساكين:

ومن الإحسان إلى اليتامى والمساكين: المحافظة على حقوقهم والقيام بتربيتهم، والعطف عليهم، ومد يد العون لهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (البقرة: ٨٣).

فإن الإحسان إليهم والبر بهم وكفالة عيشتهم وصيانة مستقبلهم من أذى القربات، بل إن العواطف المنحرفة تعتدل في هذا المسلك وتلزم الجادة، وفي الأثر أن رجلاً شكّا إلى رسول الله قسوة قلبه، فقال: (امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين). وفي رواية: أن رجلاً جاءه يشكو قسوة قلبه، فقال له: (أحب أن يلين قلبك وتذكر حاجتك، ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك، يلين قلبك وتذكر حاجتك). وذلك أن القلب يتبدل في المجتمعات التي تضج بالمرح الدائم، والتي تصبح وتمسي وهي لا ترى من الحياة غير آفاقها الزاهرة ونعمها الباهرة، والمترفون إنما يتنكرون لآلام الجماهير؛ لأن الملذات -التي تيسر لهم- تغلف أفئدتهم وتطمس بصائرهم، فلا تجعلهم يشعرون بحاجة المحتاج وألم المتألم وحزن المحزون، والناس إنما يبرزون الأفئدة النبيلة والمشاعر المرفهة عندما ينقلبون في أحوال الحياة المختلفة، ويبلون مس السراء والضراء، عندئذ يحسون بالوحشة مع اليتيم وبالفقدان مع الثكلى وبالتعب مع البائس الفقير.

#### ٥- الإحسان في المعاملات التجارية:

قد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً، والعدل سبب النجاة فقط، وهو

يجري من التجارة مجرى سلامة رأس المال، والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة، وهو يجري من التجارة مجرى الربح، ولا يُعدُّ من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله، فكذا في معاملات الآخرة. ولا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم، ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: ٧٧)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦)، وينال المعامل رتبة الإحسان بواحدٍ من عدة أمور:

**الأول:** في المغالبة، فينبغي أن لا يغبن صاحبه، وأن يقنع بربح ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته، واستفاد من تكررها ربحاً كثيراً، وبه تظهر البركة.

**الثاني:** في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه مرةً بالمساحمة وخطّ البعض، ومرةً بالإمهال والتأخير، ومرةً بالمساهلة في طلب جودة النقد، وكلُّ ذلك مندوبٌ إليه ومحثوثٌ عليه، وفي الخبر: (من أقرض ديناراً إلى أجل، فله بكل يوم صدقة إلى أجله، فإذا حلَّ الأجل فأنظره بعده، فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة).

**الثالث:** في توفية الدين، ومن الإحسان فيه حسن القضاء، وذلك بأن يمشي إلى صاحب الحق، ولا يكلفه أن يمشي إليه يتقاضاه، فقد قال ﷺ: (خيركم أحسنكم قضاءً)، ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته، وإن عجز فليؤد قضاءه مهما قدر، ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن، فليتحمله وليقابله باللطف اقتداءً برسول الله ﷺ لما ردّد عليه كلامه صاحب الدين، فهمّ به أصحابه، فقال: (دعوه؛ فإنَّ لصاحب الحق مقالاً). ومن الإحسان أن يميل الحكم إلى من عليه الدين لعسره.

**الرابع:** أن يُقيل من يستقيه؛ فإنّه لا يستقيل إلاّ متدنّ مُستصرّ بالبيع، ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه، وفي الخبر: (من أقال نادماً صفقته، أقال الله عشرته يوم القيامة).

## ٦- الإحسان إلى المسيء:

(وَمِنْ أَجْلِ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ: الْإِحْسَانُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فَصَّلَتْ: ٣٤-٣٥).

ومن كانت طريقته الإحسان، أحسن الله جزاءه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠).

قال الشاعر:

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ      وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيَكُمْ وَنَعْتَدُكُمْ

وَمَنْ أَرَادَ فَهْمَ هَذِهِ الدَّرَجَةِ كَمَا يَنْبَغِي فَلْيَنْظُرْ إِلَى سِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ النَّاسِ يَجِدُهَا بَعِينَهَا).

## ٧- الإحسان في الكلام:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٥٣).

وفي الأثر أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة؛ فإنهم إذا لم يفعلوا ذلك، نزع الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة.

## ٨- الإحسان في الجدل:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَادِثُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

وفي الميزان: الجدل هو الحجة التي تستعمل لقتل الخصم عما يصير عليه و ينازع فيه، وفيه المجادلة منقسمة إلى حسنة و غير حسنة ثم الحسنة إلى التي هي أحسن و غيرها و المأذون فيها منها التي هي أحسن.

## ٩- الإحسان إلى الحيوان:

ومن الإحسان إلى الحيوان، إطعامه والاهتمام به، وحثُّ الشَّفْرة عند ذبحه، وأن لا يحدَّ الشَّفْرة أمامه، وعدم الحمل عليه أكثر من طاقته.

قال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ)، وروى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رأى رجلاً أضجع شاة، فوضع رجله على عنقها، وهو يحدُّ شَفْرَتَهُ، فقال له ﷺ: (ويلك، أردت أن تميتها موتات؟ هلا أهددت شَفْرَتَكَ قبل أن تضجعها)، وقال ﷺ: (في كُلِّ كبد رطبة أجر).

وروي عن رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»، بناء على ذلك فإن الإحسان مطلوب في كل شيء، حتى في حالة ما إذا أراد الإنسان أن يذبح ذبيحة فإنه لا ينبغي له أن يتخلى عن فضيلة الإحسان، وعليه أن يسوقها إلى الموت سوقاً رفيقاً، ويحد السكين ليجهز عليها في سرعة فيريحها ويخفف آلامها.

## الإحسان في الشعر:

قال أبو الفتح البستي:

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نَقْصَانُ	وَرِبْحُهُ غَيْرَ مُحْضٍ الْخَيْرِ خَسْرَانُ
أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ	فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالَ النَّاسِ قَاطِبَةً	إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَانُ
أَحْسِنُ إِذَا كَانَ إِمَّاكًا وَمَقْدِرَةً	فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِمَّاكُنُ
حَيَّاكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَحْيَتَهُ	لَوْلَا الدَّرَاهِمُ مَا حَيَّاكَ إِنْسَانُ

وقال أبو العتاهية:

لَا تَمْشِ فِي النَّاسِ إِلَّا رَحْمَةً لَهُمْ	وَلَا تَعَامِلْهُمْ إِلَّا بِإِنصَافٍ
وَاقْطَعْ قَوَى كُلِّ حَقْدٍ أَنْتَ مُضْمِرُهُ	إِنْ زَلَّ ذُو زَلَّةٍ أَوْ إِنْ هَفَا هَافٍ



وارغبُ بنفسك عما لا صلاحَ له      وأوسعِ النَّسَ من برٍّ وإِطافٍ  
وإن يكنْ أحدٌ أولاكِ صالحَةً      فكافِهْ فوقَ ما أولى بأضعافِ  
ولا تكشِّفْ مُسيئًا عن إساءتِه      وصلِ حبالَ أخيكِ القاطعِ الجافي

المتنبى:

أَحْسَنُ وَجْهِ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ      وَأَيَمُّنُ كَفٌّ فِيهِمْ كَفٌّ مُنْعِمٍ

«ومن المعروف»

#### الرابع - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا يرتاب ذو مسكة بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الفرائض لأن فيه حفظ النظام بين الناس وإقامة السنن ودرء المفسد، ولرب أمر بمعروف أو نهي عن منكر فعلت فعلها في هداية إنسان وتهذيبه وتحسين أخلاقه وذلك خيرا له من إعطائه مبلغا جزلا أو سد عوزه ببعض الطعام.

ولقد وردت الآيات الكثيرة في الحث على أداء هذه الفريضة ولو لم يكن إلا هذه الآية لكفى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (آل عمران: ١٠٤).

كذلك جاءت الأحاديث الكثيرة في الحث على العمل بهذه الفريضة ومما أثر عن ذلك، عن رسول الله ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعنا منهم البركات، وسلطنا بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: في وصيته للحسنين عليه السلام: «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم أشراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم».

وهذا هو الإمام الحسين عليه السلام في وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية عند خروجه من مكة يقول عليه السلام: «واني ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما

خرجت أريد الإصلاح في أمة جدي»، أي أريد الثورة لأجل الإصلاح لا للوصول إلى الحكم حتماً أو للشهادة حتماً، والإصلاح ليس بالأمر الهين، فقد تكون الظروف بصورة بحيث يصل الإنسان إلى سدة الحكم ويمسك بزمام السلطة وقد لا يمكنه ويستشهد، وفي كلتا الحالتين فالثورة تكون لأجل الإصلاح، ثم يقول عليه السلام: «أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي». والإصلاح يتم عن هذا الطريق، وهو هذا مصداق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال مولانا الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصالحاء، فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم، وصكوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم».

ولقد لخص هذا الحديث على اقتضابه فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين مراتب آدائها.

غير أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية كبيرة وتكليف شاق؛ لأنه ليس مجرد ألفاظ تردّد أو كلام يقال، وليس مجرد أمر ونهي، وإنما هو إصلاح وتغيير للمحتوى الداخلي للإنسان، وصياغة جديدة للأفكار والعواطف والسلوك.

ولهذا فلا بدّ أن يتّصف الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر بخصائص وصفات متميزة، تؤهلهم لخوض غمار المسؤولية إلى نهاية الشوط في تغيير ذهنية المجتمع إلى ذهنية اسلامية، وتغيير سلوكه إلى سلوك إسلامي.

وبما إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو تكليف شرعي فيجب أن يكون المكلف في جميع أحواله وفي جميع مراحل المسؤولية مخلصاً لله تعالى، وإن يتوكل

عليه، ويستمد العون والنصرة منه وحده، وان يستخدم الأساليب المشروعة في أدائه للتكليف والمسؤولية، وان يكون متفائلاً بالنجاح، وان يندفع ذاتياً للعمل لا ينتظر أجراً ولا جزاءً بشرياً من أحدٍ، وإنما أجره على الله تعالى.

ويمكن تصنيف الخصائص والصفات إلى خصائص وصفات ذاتية، خصائص وصفات عملية أو سلوكية.

### أولاً: خصائص وصفات ذاتية:

#### ١ - العلم والمعرفة:

من أهم الخصائص والصفات أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عالماً بقواعد وأسس المنهج الإسلامي؛ ليصلح ويغيّر على ضوئها، والحد الأدنى من العلم أن يكون مطلعاً اطلاعاً إجمالياً على أصول العقيدة الإسلامية، وأصول العقائد السائدة في المجتمع، وان يكون على علم بالاحكام الشرعية التي تصنّف إلى معروف ومنكر، وتصنّف أيضاً إلى واجب ومستحب، وحرام ومكروه، ومباح، والحد الأدنى أن يكون على علم بمسائل يتلي بها أفراد المجتمع.

قال رسول الله ﷺ: «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث: عالماً بما يأمر به عالماً بما ينهى عنه».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك: إياك أن تفتي الناس برأيك أو تدين بما لا تعلم».

وينبغي أن يطّلع المكلف على السيرة النبوية وسيرة أهل البيت عليهم السلام وسيرة المصلحين؛ ليكون أكثر خبرة في أداء العمل.

وأن يكون على معرفة بأحوال المجتمع وخصائص أفراده من حيث أفكارهم وعواطفهم وممارساتهم العملية، وأن يكون مطلعاً على الأحداث والمواقف ليتخذ الأسلوب الانجح في حركته الإصلاحية، وأن يكون قادراً على تشخيص ما ينبغي أن

يعمله تبعاً للظروف من حيث اللين والشدة، أو الحيلة والحذر، أو الإسراع والتأني. وأن يكون مطلّعا على الفوارق الطبيعية بين بلدٍ وآخر، أو قوم وآخرين.

وعدم المعرفة بالأوضاع الاجتماعية والفردية، أو بعدم استخدام الأسلوب الأنجح، أو عدم الاطلاع على أساسيات المفاهيم والقيم الإسلامية، قد تؤدي إلى نتائج عكسية ومنها النفور من الإسلام أو من الداعين له.

قال رسول الله ﷺ: «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح».

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلاّ بعداً».

## ٢ - القدوة:

إن لم يكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدوة لغيره فإن عمله لا يثمر، ولا يستطيع أن ينفذ إلى القلوب لتبناه الجوارح في ممارسات عملية، فالناس ينظرون إلى شخصية من يريد إصلاحهم وتغييرهم ومدى تجسيده للمفاهيم والقيم التي يدعوهم إلى التمسك بها، ومقدار ابتعاده عن النواهي التي يدعو للإنتهاء عنها.

قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «يا بن مسعود لا تكوننّ ممن يهدي الناس إلى الخير ويأمرهم بالخير وهو غافل عنه».

وقال ﷺ: «أيها الناس إني والله ما أحثكم على طاعة إلاّ وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلاّ وأتناهى قبلكم عنها».

ودعا أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى تجسيد المفاهيم والقيم في النفس والارادة والسلوك العملي قبل دعوة الناس إليها، فقال عليه السلام: «اتمروا بالمعروف وأمروا به، وتناهوا عن المنكر وانهاؤا عنه»، كما قال «احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من

صدرك»، «كفى بالمرء غواية أن يأمر الناس بما لا يأتمر به، وينهاهم عما لا ينتهي عنه».

وقال ابو الأسود في قصيدة له :

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم  
وعدم الإلتزام بموارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل الأمرين به  
والناهين عنه يكون حجة عليهم، ولا ينتفع الناس بهم، قال الإمام الصادق عليه السلام:  
«من لم ينسلخ عن هواجسه، ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها، ولم يهزم الشيطان،  
ولم يدخل في كنف الله وأمان عصمته؛ لا يصلح له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛  
لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة، فكُلَّمَا أظهر أمراً كان حجة عليه، ولا ينتفع الناس به».

وقال عليه السلام: «فإنّ مثل الواعظ والمتعظ كاليقظان والراقد، فمن استيقظ عن  
رقدته وغفلته ومخالفاته ومعاصيه، صلح أن يوقظ غيره من ذلك الرقاد».

وقال عليه السلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم؛ ليروا منكم الورع والاجتهاد  
والصلاة والخير، فإنّ ذلك داعية».

وقد جسّد أهل البيت عليهم السلام دور القدوة في حركتهم الإصلاحية والتغييرية، قال  
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أيّها الناس، إنّني والله ما أحثكم على طاعة إلّا وأسبقكم  
إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلّا وأتناهى قبلكم عنها».

وحينما دعا الإمام الحسين عليه السلام إلى الجهاد تجسيدا للأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر، تقدّم بنفسه وأهل بيته وعياله، فكان قدوة لأصحابه في جميع قيم الأيثار  
والتضحية، والإخلاص لله تعالى.

### ٣ - البشاشة وطلاقة الوجه ولين الكلام:

البشاشة وطلاقة الوجه ولين الكلام تساعد على جذب الناس وامتلاك  
عواطفهم ومشاعرهم، وتوجيهها توجيهاً رسالياً؛ لأنّ الناس غالباً ما يتأثرون  
بالأشخاص قبل التأثر بالأفكار والقيم.

وفي ذلك قال إمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «طلاقة الوجه بالبشر والعطية وفعل البر وبذل التحية داعٍ إلى محبة البرية، عليك بالبشاشة فإنها حباله المودّة».

## ثانيا : خصائص وصفات عملية وسلوكية:

### ١ - المداراة

يجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصنافاً من الناس يختلفون في طاقاتهم وامكاناتهم الفكرية والعاطفية والسلوكية، فلا بد وأن يتصف بالمداراة ليستطيع التأثير على تعدد أصناف الناس المنتمين إلى مدارس عقائدية وفكرية متنوعة، والمتوزعين على ولايات متعددة قبلية وقومية وطائفية. ومداراة الناس من أولويات العمل في أوساطهم، كما أكد رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: «أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض».. و«رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك الحق»... و«رأس العقل المداراة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة».

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من سالم الناس كثر اصدقاؤه وقلّ أعداؤه. المداراة أحمد الخلال. رأس الحكمة مداراة الناس».

وتتمثل المداراة بتكليم الناس على قدر عقولهم، قال رسول الله ﷺ: «إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم». وأن يتحدث المكلف بكلام مفهوم من قبل الجميع بلا حاجة إلى استخدام العبارات الغامضة، والمصطلحات غير الواضحة، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أحسن الكلام ما زانه حسن النظام، وفهمه الخاص والعام».

## ٢ - الرفق

الإنسان غالباً ما يأنس بآرائه وأفكاره ومواقفه حتى تصبح جزءاً من كيانه، يرى فيها كرامته وكبريائه، ولا يتنازل عنها أحياناً؛ لأنه يرى في ذلك تنازلاً عن كرامته، ولهذا فالتعامل مع هكذا إنسان يجب أن يكون برفق وهدوء، لذا كان الرفق صفة وخاصة مستحسنة لدى المكلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرفق ييسر الصعاب ويذل الشدائد، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الرفق ييسر الصعاب ويسهل شديد الأسباب. من استعمل الرفق لأن له الشديد».

## ٣ - الإحسان

الإحسان صفة محمودة يستطيع بها الإنسان أن يؤثر على عواطف الآخرين ومن ثم عقولهم وسلوكهم؛ لأن النفس الإنسانية مجبولة على حب من أحسن إليها. والإنسان يؤدي إلى كسب ود الآخرين وثقتهم بالإحسان الذي يرافق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يساعده في استهواء الآخرين وشدّهم إلى ما يمليه عليهم من أفكار وقيم، ومن نصائح وارشادات، ويدفعهم لمراجعة نفوسهم وسلوكهم، واصلاحها حياءً أو قناعة في مقابل الإحسان إليهم. فقد استطاع رسول الله ﷺ أن يؤثر على الكثيرين ويوجههم للإنتاء إلى الإسلام بالإحسان إليهم، فقد أسلم مالك بن عون كبير هوازن لاحسان رسول الله ﷺ إليه وأسلم عدي بن حاتم واخته بسبب الإحسان إليهم.

## ٤ - التعايش مع الناس

من أهم الصفات التي تجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قادراً على الإصلاح والتغيير هي عدم الانعزال عن الناس؛ لأن التكليف وأداء الواجب لا يقتصر على إلقاء الخطب في مجالس محدودة، وإنما هو حركة وعمل دؤوب في وسط

الناس، يشاركهم في أعمالهم، ويعيش معهم كواحد منهم يفرح لأفراحهم ويحزن لأحزانهم، ويكون شريكاً لهم في آمالهم وآلامهم، وهذه الصفة تجعله قادراً على التأثير على أفكارهم وعواطفهم وممارساتهم العملية.

## ٥ - الصبر والحلم

إنَّ طريق الدعوة والإصلاح والتغيير طريق طويل مليء بالمعوقات والعراقيل، فلا بدَّ وأن يتحلَّى من تبنَّاه بصفة الصبر، ولا بدَّ وأن يتحمل التكاليف المترتبة عليه، وأن يصبر على ردود الأفعال الاجتماعية والدوافع النفسية التي تدعوه إلى الراحة والهدوء. فعليه يجب أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صابراً على طول الطريق، رغم كثرة المعوقات والمثبطات؛ يصبر على التكذيب والإستهزاء والأذى المادي والمعنوي، ويصبر أمام ضغط النفس التي تروم حب الراحة والسكينة، وأن يصبر على الوحشة في حالة فقدان الناصر والمعين. قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾. ولا بدَّ من صبرٍ على الشدائد المحيطة بالمصلح والمغيّر وينبغي هنا أن يكون الصابر حليماً حتى ينال احترام وتقدير الآخرين، ويملك قلوبهم بحلمه.

## ٦ - عدم الانشغال في أمور هامشية

من الخصائص التي ينبغي أن يعتمد عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي الإستمرار في أداء التكليف والمسؤولية، وعدم الانشغال بأمور هامشية تقضي على الوقت وتصرف العمل عن هدفه، وتحرفه عن مساره، وهو مدعو مع هذا للإعراض عن الأشخاص والمواقف التي تشغله عن أداء الواجب. قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. والإعراض هو الترك والإهمال، وعدم الدخول في



جدال يضيع معه الوقت والجهد دون ان يحقق شيئاً في طريق الواجب.

وقال الفقهاء ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يأتي على ثلاث صور، وكما جاء عن منهاج الصالحين، جزء العبادات:

**الأولى:** أن يأتي بعمل يظهر به انزجاره القلبي وكرهته للمنكر أو ترك المعروف، كإظهار الإنزعاج من الفاعل، أو الإعراض والصد عنه، أو ترك الكلام معه، أو نحو ذلك من فعل أو ترك يدل على كراهة ما وقع منه.

**الثانية:** الأمر والنهي باللسان والقول، بأن يعظ الفاعل وينصحه، ويذكر له ما أعد الله سبحانه للعاصين من العقاب الأليم والعذاب في الجحيم، أو يذكر له ما أعدده الله تعالى للمطيعين من الثواب الجسيم والفوز في جنات النعيم، ومنه التغليظ في الكلام والوعيد على المخالفة وعدم الإقلاع عن المعصية بما لا يكون كذباً.

**الثالثة:** إعمال القدرة في المنع عن ارتكاب المعصية بفرك الأذن أو الضرب أو الحبس ونحو ذلك، وفي جواز هذه المرتبة من غير إذن الإمام عليه السلام أو نائبه إشكال، ولكل واحدة من هذه المراتب مراتب أخف وأشد، والمشهور الترتب بين هذه المراتب، فإن كان إظهار الإنكار القلبي كافياً في الزجر اقتصر عليه، وإلا أنكر باللسان، فإن لم يكف ذلك أنكره بيده، ولكن الظاهر أن القسمين الأولين في مرتبة واحدة فيختار الأمر أو الناهي ما يحتمل التأثير منهما، وقد يلزمه الجمع بينهما. وأما القسم الثالث فهو مترتب على عدم تأثير الأولين، والأحوط بل الأقوى في الأقسام الثلاثة الترتيب بين مراتبها فلا ينتقل إلى الأشد إلا إذا لم يكف الأخف إيذاءً أو هتكاً، وربما يكون بعض ما تتحقق به المرتبة الثانية أخف من بعض ما تتحقق به المرتبة الأولى، وقال الشيخ الطوسي رحمته الله: «وإنكار المنكر يكون بالأنواع الثلاثة التي ذكرناها، فأما باليد: فهو أن يؤدب فاعله بضرب من

التأديب، وأما الجراح أو الألم أو الضرب غير أن ذلك مشروط بالإذن من جهة السلطان حسب ما قدمناه، فمتى فقد الإذن من جهته اقتصر على الإنكار باللسان والقلب».

### حقوق صاحب المعروف:

عودا على بدء لما ذكره مولانا زين العابدين من حقوق صاحب المعروف، غير أن للشكر أنواع ومقامات تختلف باختلاف صاحب المعروف وبحسب الفعل والعمل، فمنه ما يكون:

اولاً: علنا خاصة اذا كان صاحب المعروف موجودا بالمجلس وذلك بإحترامه وتقديمه وتعظيمه وذكر معروفه ونشر مقالته.

ثانياً: وإن كان غائبا فالواجب ذكره من أهل الخير والإحسان والمعروف إن ذكروا، وذكر فضائله ومجهداته ومدحه بما يليق بإسمه، لأن في عمل هذا فوائد جليلة تعود على المجتمع والأفراد ومنها:

أ - : ذكرك لصاحب المعروف وذكر معروفه ونشر مقاله يبين شكرك العملي ويكشف عن ارومة اصلك وطيب معدنك وحسن نيتك وطهارة قلبك ورفعته أخلاقك وما إلى ذلك من الصفات الحميدة وذلك ما عناه الإمام زين العابدين «وأما حق ذي المعروف عليك، فأن تشكره وتذكر معروفه».

ب - : أنك أهل للمعروف ومن مستحقه وان المعروف غير ضائعاً في حقك، فبذلك تكسب سمعة حسنة فيزيد صاحب المعروف بإحسانه اليك وسوف يشجع الآخرين للإحسان إليك.

فعن الإمام الصادق عليه السلام «لعن الله قاطعي سبيل المعروف، قيل: وما قاطعوا سبيل المعروف؟ قال عليه السلام: الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره، فيمتنع صاحبه من

أن يصنع ذلك إلى غيره»، وعنه عليه السلام «أحسنوا جوار النعم، قيل وما حسن جوار النعم؟ قال الإمام عليه السلام الشكر لمن أنعم بها، وأداء حقها».

ج - : كسب رضا الله سبحانه وتعالى حيث أنك اتصفت بصفة أولياء الله حيث ذكرت صاحب المعروف واشدت به في المجالس ليقتردي الناس به، وبذكرك إياه والدعاء له ولأهله وذويه وأصحابه سراً وعلانية ليلاً ونهاراً حياً كان أو ميتاً.

«وتخلص له في الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه، فإنك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرا وعلانية».

ثالثاً : مكافئة ذي المعروف : يؤكد الإمام زين العابدين عليه السلام على مكافأة صاحب المعروف بالفعل والقول، فإن أمكن مكافأته الآن وفي الحاضر لزم التعجيل بذلك وإن لم توجد الإ استطاعة فيجب توطين النفس متى ما أمكن ذلك، وهذا ما عناه إمامنا عليه السلام، «ثم إن أمكن مكافئته يوماً كافأته، وإلا كنت مرصداً له موطناً نفسك عليها».

قال يحيى بن زياد الحارثي بن كعب:

فمن شكر المعروف يوماً فقد أتى  
أخا العرف من حسن المكافأة من عل  
وقال الشريف الرضي:

ألبستني نعماً على نعم	ورفعت لي علماً على علم
وعلوت بي حتى مشيت على	بسط من الأعناق والقمم
فلاشكرن يديك ما شكرت	خضر الرياض مصانع الديم
فالحمد يبقى ذكر كل فتى	وبين قدر مواقع الكرم
والشكر مهر للصنعة إن	طلبت مهوور عقائل النعم

على أن إتيان المعروف يجب أن يكون بغير منة على هذا الفقير والمحتاج لأن

ذلك يذهب ببهاء المعروف ويسبب الألم والكرب والأذى لهم، ويبتل عمل العامل،  
قال تعالى:

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ \* يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ  
عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٦٤-٢٦٣).





## حق المؤذن

### رحلة حقوقية

الله اكبر

نشيد الروح: من روائع الأستاذ شاعر الطبيعة «السيد احمد الصافي النجفي»:

أفكر بالسفاسف في الحياة  
وأحسبها حقائق راهنات  
فيقطع لي سلاسل ترهاتي  
هتاف مؤذن : الله اكبر

\*\*\*

وأضرب سادرا بين الهموم  
وأسعى للوصول إلى النعيم  
فيهديني إلى النهج القويم  
هتاف مؤذن الله اكبر

\*\*\*

وأفنى في الرقاد ثمين عمري  
كأنني ميت في جوف قبر

فيوقظني لأحشر كل فجر  
صياح مؤذن الله أكبر

\*\*\*

وتبهرني أحاديث العظام  
وما تحويه من حكم سوام  
سينفد في غد كل الكلام  
ولا يبقى سوى : أله أكبر

المؤمنون يقيمون الأذان للتذكير بالصلاة أو لأداء الفرائض أو للإستعداد  
لحرب الأعداء، أما أعداء الله من الفاسقين فإنهم يستخدمون الأذان لطمس الحقائق  
والتدليس على الناس.

خطب الإمام زين العابدين خطبته الشهيرة بمجلس يزيد خلال السبي وأبان  
للناس حقيقة أهل البيت، وحقيقة يزيد. فخشي يزيد أن تكون الفتنة وانقلاب الأمر  
عليه فأمر المؤذن أن يؤذن ليقطع على الإمام خطبته، فلما قال المؤذن: الله أكبر الله  
أكبر قال علي ابن الحسين عليه السلام: لا شيء أكبر من الله كبرت كبير لا يقاس، فلما قال  
المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله قال علي بن الحسين: شهد بها شعري وبشري ولحمي  
ودمي. فلما قال المؤذن: أشهد أن محمدا رسول الله التفت الإمام زين العابدين وهو  
بعد على المنبر إلى يزيد، فقال محمد هذا جدي أم جدك يا يزيد، فإن زعمت أنه جدك  
فقد كذبت وكفرت وأثمت، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت ذريته وسييت نسائه.

وهذا هو إمامنا زين العابدين عليه السلام قائد موكب الأحزان والإباء والعزم  
والإرادة والوفاء عندما دخل إلى المدينة وسأله شامت وقال له: من الغالب؟ فقال  
عليه السلام ما مضمونه: إذا سمعت الأذان عرفت من الغالب، إذا سمعت الأذان يصدق  
بـ «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» ﷺ عرفت من هو الغالب.

لأهمية الأذان رثينا إمامنا زين العابدين يفرد لمن يقوم بهذه الشعيرة حقاً خاصاً

تحت عنوان حقوق الآخرين وهو الحق التاسع والعشرون من رسالة الحقوق:

### «حق المؤذن»

وَأَمَّا حَقُّ الْمُؤَذِّنِ فَإِنْ تَعَلَّمَ أَنَّهُ مُذَكِّرُكَ بِرَبِّكَ  
وَدَاعِيكَ إِلَى حَظِّكَ وَأَفْضَلَ أَعْوَانِكَ عَلَى  
قَضَاءِ الْفَرِيضَةِ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ  
فَتَشْكُرُهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرَكَ لِلْمُحْسِنِ إِلَيْكَ وَإِنْ  
كُنْتَ فِي بَيْتِكَ مُتَهَمًا لِذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لِلَّهِ فِي أَمْرِهِ  
مُتَهَمًا، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ، لَا  
شَكَّ فِيهَا، فَأَحْسِنْ صُحْبَةَ نِعْمَةِ اللَّهِ بِحَمْدِ  
اللَّهِ عَلَيْهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

«الله أكبر... الله أكبر» لحن من الحان السماء يرتله الإنسان على هذه الأرض  
فينساب داخل القلوب المؤمنة فينعشها ويحرك فيها الصلة بالله التي قد يكون اتى  
عليها شيئا من النسيان والخفوت.

الأذان بفصوله وقفة إقرار وإعتراف وتصميم على المضي في درب السماء، كل  
فصل منه يدعوك إلى المبادرة نحو هدف معين ومحدد لك، «الله أكبر» بهذا الشعار  
سقطت السلطات الفاجرة وتحطمت دول الظلم والجور وقضى على الفراعنة الذين  
عبّدوا الناس لهم واستذلّوهم لصالحهم...

بنداء «الله أكبر» تصاغر كل شيء في أعين المجاهدين الأبطال فساروا والنصر  
يرفرف فوق رؤوسهم وبين أيديهم حتى فتحوا الدنيا وهدوا العالم ووفروا له السعادة  
والرفاهية...

«الله أكبر» من أن يحد، وأكبر من أن يوصف، وأكبر من أن يتناهى في كبريائه،  
وأكبر من أن يقايس بكبير، أو أن يقايس به كبير.

«الله أكبر» من أن يغفل عنه، أو تصد الحوادث عن ذكره أو تشغل عن امتثال أمره.

ولسنا نقصد في ذكرنا للأذان الحكم الفقهي بل إلى ما انطوى عليه من القيم العليا.

لا شك أن لكل إنسان في هذه الحياة: نفس وأهل ومال وجاه.

فالأذان بمفرداته «الله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر... أكبر من نفس الإنسان فمهما دار الأمر بين أن تذهب كلمة الله أو أن تزهق النفس فالله أكبر. بل يجب تقديم النفس ضحية في سبيل إبقاء الإسلام والدين.

وهكذا فالله أكبر من أهلي وأهلك إن كان ولا بد من التضحية بالأهل، ولنا في موقف الإمام الحسين عليه السلام وتضحيته بأهله وصحبه وماله أسوة حسنة كما مر علينا من موقف الإمام زين العابدين مع ذلك الشامت.

والله أكبر من مال الشخص إذا توقفت سلامة الدين على بذل المال إن لزم ذلك لأن الله أكبر.

والله أكبر من جاه الفرد ومنصبه، فإذا توقفت سلامة الدين على التخلي عن المنصب وجب لأن الله أكبر.

فذا هو أمير المؤمنين علي عليه السلام في موقفه من قضية الشورى حيث رفض الإمبراطورية الإسلامية المترامية الأطراف الفتية القوية بإقتصادها ورجاها المغرية بجاهها، كل ذلك في كفة وفي كفة أخرى كذبة بسيطة يقولها الإمام علي عليه السلام لينال هذا المنصب الخطير، وهي «نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين» ولكن عليا الذي يقول لابن عباس وقد دخل عليه بذى قار ووجده يخصف نعله فيقول له وقد نبذها إليه يا ابن عباس ما تساوي هذه النعل قال لا تساوي شيئا، قال علي إنها



أهم عندي من خلافتكم إلا أن أقيم حقا أو ادفع باطلا، ولكنه عليه السلام ضح بكل ذلك الجاه والخلافة الظاهرية وقال أما كتاب الله وسنة نبيه فنعم وأما سيرة الشيخين فلا، كان بإمكانه فعل ذلك ولكن كلمة «الله أكبر» عنده أهم.

وخلاصة القول ف «الله أكبر» هذا النشيد الذي لم يحمل بريد السماء إلى أهل الأرض، ولم يلتق لسان الزمان في أذن الدنيا، نشيدا مثله، حريبا إن شئت للحرب، عاطفيا إن شئت للقلب، صوفيا إن أردته للصفاء.

«اشهد أن لا إله إلا الله»، «اشهد أن لا إله إلا الله»

«اشهد أن محمدا رسول الله»، «اشهد أن محمدا رسول الله»

«اشهد أن عليا ولي الله»، «اشهد أن عليا ولي الله»

هذه الفصول الثلاثة، لتقوية صلوات المسلم بإلهه الواحد، الذي ليس له شريك: مادة كانت، أو صنما أو إنسانا أو جمادا أو حيوانا أو نباتا أو نحوها، إنها شهادة وجدانية تتجسد في رفض كل الآلهة البشرية، رفض كل الآلهة ما عاد الله، وجعلت بعد التكبير لأن أول الإيمان هو التوحيد والإقرار لله تبارك وتعالى بالوحدانية.

وبنييه العظيم: عليه السلام ليس نبيا كاذبا ولا مرميا بما هو برئ منه كالألوهية التي تزعمها النصراني للنبي عيسى عليه السلام، وهي شهادة إقرار وإذعان انه الرسول من الله المبلغ لكلامه المتلقي منه الوحي والبيان، سفير الله إلى أهل الأرض عنه يؤخذ الأمر والنهي وعن طريقه يكون القانون والدستور وشرعة الحياة.

وبإمامة خليفة رسول الله عليه السلام: علي أمير المؤمنين.

فقد اشتملت هذه الفصول الثلاثة على ثلاثة من أصول الدين، التوحيد والنبوة والإمامة.

ولقد اتفق المسلمون في أن التكبيرة أربع مرات، وشهادة التوحيد، وشهادة الرسالة للنبي ﷺ.

واختلفوا في شهادة الولاية لأمر المؤمنين علي عليه السلام، وملخص الحديث في هذه المسألة:

أجمع فقهاء الشيعة من الأولين والآخرين «ره» بأن «اشهد أن عليا ولي الله» في الأذان والإقامة لم تعد من أجزاء فصول الأذان والإقامة، بل هي من باب الاستحباب المطلق، والرجحان الذاتي الذي أفادته الأخبار المتضمنة للدعوة إلى ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام على اختلاف ألفاظها، وعلى هذا الرأي شيوخ الطائفة كالشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي، والشهيد الثاني.

وقال علماء الشيعة وفقهائهم «أنها من مكملات الشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولمحمد بالرسالة، بدليل الآية الكريمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٤).

وقد جرت سيرة العلماء الأبرار على الشهادة بالولاية في الأذان والإقامة، لا بقصد الجزئية، منذ عهد بعيد من دون نكير من أحدهم، حتى أصبح ذلك شعارا للشيعة.

«حي على الصلاة، حي على الصلاة»

«حي على الفلاح، حي على الفلاح»

«حي على خير العمل، حي على خير العمل»

وإنما جعل بعد الشهادتين الدعاء إلى الصلاة، لأن الأذان إنما وضع لموضع الصلاة، وإنما هو نداء إلى الصلاة في وسط الأذان، ودعاء إلى الفلاح، وإلى خير العمل، وجعل فتح الكلام باسمه كما فتح بإسمه».

وهذه الفصول دعوة إلى الصلاة التي هي صلة بين العبد وربّه، «حي على الصلاة» التي ترتفع بهذا الإنسان إلى مراقي الكمال والفضيلة وتجعله إنساناً صالحاً يتوجه إلى خير الإنسان ورفاهيته. هذه الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وتبني الجليل الرباني الذي يقود الحياة إلى العز والرفعة والسمو والعظمة. هذه الصلاة التي عرفها أسلافنا فأبدعوا من خلالها واتوا بالمعجزات والخوارق واستطاعوا أن يحولوا كل كلمة منها إلى ثورة وكل حرف إلى بركان.

وإلى «الفلاح»: بما تشتمل عليه هذه الكلمة من معنى فلاح الدنيا وفلاح الآخرة، فلاح عن الجهل والفقر والمرض، فلاح عن القلق والخوف والإنهيار. «حي على الفلاح» الذي يريده الله لعباده أنه يحثهم عليه في اليوم خمس مرات ويدفعهم نحوه كي يتسلموا مقاليد الحياة ويقودوا العالم نحو الخير والصلاح.

وإلى «حي على خير العمل»، وأي عمل خير من عمل يصلح الجهاز النفسي عامة الذي هو مصدر الخير والشر في العالم، والذي يجعلك تلتقي بالله وتتفاعل مع أحكامه وتأخذ منه القوة والعزم وسلامة المسيرة الحياتية كلها وهل هناك أفضل من لقاء الله الذي وقته لنا بنفسه وضربه لنا موعداً واستقبلنا به تكرماً وإحساناً.

كذلك اتفق المسلمون في «حي على الصلاة» مرتين و«حي على الفلاح» مرتين، واختلفوا في «حي على خير العمل» فعلماء الشيعة يعتبرونها جزءاً من الأذان والإقامة بالأدلة العامة، بخلاف كلمة «الصلاة خير من النوم»، حيث روى العلامة الحلبي في باب بدء الأذان ومشروعيته أن الإمام زين العابدين عليه السلام وعبدالله بن عمر كانا يقولان في الأذان بعد حي على الفلاح: حي على خير العمل.

وهذا هو الثابت من طريق أهل البيت عليهم السلام أنها «أي على عهد رسول الله ﷺ» كما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: وكانت هذه الكلمة «حي على خير العمل» في الأذان،

فأمر عمر بن الخطاب أن يكفوا عنها مخافة أن تثبط الناس عن الجهاد، ويتكلموا على الصلاة.

وحكى سعد الدين التفتزاني «في حاشيته على شرح العضد» عن ابن عمر أنه كان يقول: ثلاث كن على عهد رسول الله ﷺ أنا أحرمهن، وأنهى عنهن: متعة الحج، ومتعة النكاح، وحي على خير العمل.

وروى المحب الطبري في أحكامه عن زيد بن أرقم: أنه أذن في حي على خير العمل.

وروى محمد بن منصور في كتابه «الجامع» عن أبي مخذور أحد مؤذني رسول الله ﷺ أنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقول في الأذان حي على خير العمل» وعن علي عليه السلام أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن خير أعمالكم الصلاة» وأمر بلال أن يؤذن حي على خير العمل.

والخلاصة أن الشيعة قد أجمعوا على لزوم الإتيان بلفظ حي على خير العمل لأنها ثابتة على عهد الرسول الأعظم ﷺ وقد أمر أهل البيت عليه السلام أتباعهم بذلك، فكانت شعارهم في جميع أدوار التاريخ.

أما كلمة «الصلاة خير من النوم» فالشيعة لا يجيزون ذلك وذهب الشافعي في قوله إلى الكراهة. إذ من المعلوم أن هذه اللفظة لم تكن على عهد رسول الله ﷺ وأول من جعلها في الأذان عمر بن الخطاب.

جاء في موطأ مالك أن المؤذن جاء عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً، فقال المؤذن: الصلاة خير من النوم فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصبح.

وقال علي عليه السلام عندما سمع ذلك: لا تزيدوا في الأذان ما ليس منه.

«الله اكبر الله اكبر»

«لا اله إلا الله لا إله إلا الله»

عود على بدأ، توثيق الصلة بالله الواحد الذي هو أكبر من كل شيء وإرساء لدعائم الإيمان في قرارة النفس حتى لا تتزعزع بالرياح الهوجاء التي تهب من اليمين والشمال لتكسح نبات الإيمان المزيف من أصله.

إن فصول الأذان حيث يرفعها المؤذن في أوقاتها وخصوصا عند الفجر تحرك الإنسان وتوجهه نحو الله وتثبت فيه القوة والعزيمة وتجعله ينظر إليه في كل أمر ومع كل ومع كل أمر وفوق كل أمر، هذا اللحن السماوي يشد هذا الإنسان المتشاغل بالحياة وما فيها إلى الله كي يرفعه قليلا عن صخب الدنيا وضجيجها، وصفوة القول - إن - حكمة الأذان هي في أمور ثلاثة:

١ - تذكير الإنسان بدخول وقت الصلاة إذ كان من دأبه مزاوله أعماله وتعاطي أسباب الكسب. وهي تشغله وتنسيه دخول وقت الصلاة فتفوته صلاة الجماعة ذات الخير الكثير، أو خشية خروج الوقت فتفوته صلاة الآداء.

٢ - حيث أن الصلاة من أجل النعم، إذ تقرب العبد وهذا هو الفلاح بعينه، كان الأذان بصفته دعوة خير حتى لا تفوت المسلم هذه النعمة الكبرى، فهو يدعو له لإغتنام الفرصة واكتساب النعمة.

٣ - هو إظهار عظمة الدين الحنيف لغير المسلمين، وباعثا للمشركين على الترغيب في الدخول فيه.

### فضل الأذان والمؤذن وفوائده

بعد هذه الرحلة الإيمانية والروحية في معاني مفردات الأذان، نتقل لنبين فضل المؤذن ومنافع الأذان وثمراته وأرباحه العائدة إلى المؤذن في العاجل والآجل:

- عن رسول الله ﷺ «لو يعلم الناس ما في التآذين لتضاربوا عليه بالسيوف».

- وعنه عليه السلام «المؤذن يغفر له مدى صوته، ويصدق له كل رطب ويابس».
- وعنه أيضا عليه السلام «يد الرحمان فوق يد المؤذن، وإنه ليغفر له مدى صوته أين بلغ».
- وعنه أنه قال «الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين».
- وعنه عليه السلام «المؤذن أطول الناس أعناقاً يوم القيامة».
- وعنه أيضا انه قال «ثلاثة على كثران المسك يوم القيامة، يغبطهم الأولون والآخرون: عبد أدى حق الله وحق مواليه، ورجل أم قوما وهم به راضون، ورجل ينادي بالصلوات الخمس في كل يوم وليلة».
- وعنه عليه السلام إذا أذن في قرية أمنها الله سبحانه من عذابه ذلك اليوم.
- وعنه أيضا «إذا كان الرجل بأرض قي - يعني قفراء - فحانت الصلاة فليتوضأ، فإن لم يجد ماء فليتييم، فإن أقام، صلى معه ملكاه، وإن أذن وأقام، صلى خلفه من جنود الله ما لا يرى طرفاه».
- وعن سعد ابن طرف عن أبي جعفر عليه السلام قال: من أذن عشر سنين محتسبا يغفر الله له مد بصره ومد صوته في السماء، ويصدق له كل رطب ويابس سمعه، وله من كل من يصلي معه في مسجده سهم، وله من كل من يصلي بصوته حسنة».
- وعن الصادق عليه السلام «في المؤذنين: «إنهم الأمانة».
- وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له علمني، أو دلني على عمل يدخلني الجنة، فقال صلى الله عليه وآله كن مؤذنا، قال لا أستطيع قال صلى الله عليه وآله كن إماما، قال لا أستطيع، قال صلى الله عليه وآله فقم بإزاء الإمام.

هذا ولا تقتصر فوائد الأذان على المؤذن بل تعم على كل الناس كما مر علينا في الأحاديث الآنف الذكر، وأما فوائده ومنافعه في هذه الحياة الدنيا فهي فوائد عظيمة، إذ أن من عماد رواج الشيء وقوامه والميل إليه والإرادة المقدمات المشوقة إليه، وإن الأذان من أعظم المقدمات للصلاة والعروج إلى الله سبحانه والتشويق إليها وتهيئة النفس لحضور القلب ومشاعره للدخول في الصلاة، ولا ريب أن تلك المقدمات تعين على تحصيل أفضل النتائج وأحسنها.

إما من الفوائد والتي بإمكاننا إدراكها وهي لا تقتصر على:

- الأذان أفضل الأعوان والمساعدين والمهيئين لقضاء الفريضة التي افترضها الله تعالى، سواء الصلاة الواجبة: كالصلاة اليومية المفروضة وصلاة الآيات أو غيرها، أو الصلاة المستحبة: كصلاة الجمعة والعيد.

- أن الأذان دافع للبلايا والخطايا والأقذار، ودافع للأسقام والأمراض والعلل، ففي الأثر أن هشام بن إبراهيم شكى إلى الإمام الرضا عليه السلام سقمه وأنه لا يولد له، «فأمره أن يرفع صوته بالأذان في منزله، قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني سقمي وكثر ولدي».

- أن الدوام عليه موجب لنزول البركة وحلول الرحمة، جالبا للرزق، منجي من الهلكة، حيث أن مقدمه خير، وأوله خير، ووسطه خير، وآخره خير.

- مذكر بالله وداعي إليه، وإلى حظك العظيم ونصيبك الوافر من الدنيا والآخرة، بسبب حثه للقيام بطاعة الله سبحانه.

في هذه الأجواء الملكوئية التي يردد فيها المؤذن فصول الأذان ويستمر يوالي هذه الإيقاعات الجميلة الرائعة بشهادة أن لا إله إلا الله وإن محمدا رسول الله، ليستفيق الضمير من رقدته ويعرف ببشارة السماء إلى الأرض، وإتباع دعوة

رسول الهدى ﷺ ليخفوا إلى الصلاة وسط هذا الجو الروحي العبق.

وفي هذه اللحظات الجليلة التي تفتح أبواب السماء، لتستمع إلى الدعاء، دعاء المظلومين والملهوفين والمستغفرين والتائبين، فيستجاب الدعاء وتكشف الهموم ويرفع البلاء وتدفع البلايا ويكثر العطاء، في ظل كل هذا العطاء غير المحدود الذي يذكرنا به المؤذن كان لزاما علينا شكره شكر المحسن والمنعم علينا وصحبته «قال زين العابدين: «فأشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك»، هذه هي وصية إمامنا زين العابدين وشتان بينها وبين من بعض الضالين المنحرفين الذين يتأذون من هذا الصوت السماوي ويحتجون عليه بالإزعاج خاصة عند الفجر لئلا يقوموا لله في تلك الأوقات العظيمة.

### متى شرع الأذان

والأذان بما أنه نداء للأمة ودعوة للإنقياد إلى الله سبحانه وبه التأهب لما هو «معراج الأمة» لا يعدوه الوحي الإلهي، مضافا إلى وقوف الرسول الأظهر ﷺ عليه ليلة الإسراء التي صلى فيها بالأنبياء والملائكة، غير أن تدرج التشريع في الأحكام أرجأ الأمر به إلى ما بعد الهجرة كغيره من الفرض والمندوبات والمكروهات.

وقد أجمعت الإمامية على كون الأذان مما نزل به الوحي كبقية الأحكام حتى عدوه من ضروريات مذهبهم، واليه تنبه الشهاب الخفاجي، فقال: الظاهر أن الأذان ثبت بحديث الإسراء، ولم يبين زمانه، ولم يكن إعلامه قبل الهجرة فأخر ذلك حتى يستقر ظهور الدين.

ولما استقر النبي بالمدينة هبط جبرائيل على رسول الله يخبره ويعلمه الأذان.

فعن طريق منصور ابن حازم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «أن جبرائيل هبط بالأذان على النبي ﷺ وكان رأسه في حجر أمير المؤمنين، فأذن وأقام، فلما



انتبه النبي سأل أمير المؤمنين عما سمعه ووعاه من الأذان، فقال نعم قال: علمه بلالا. جاء في رواية محمد ابن الحنفية عن أبيه في حكاية الأذان في المعراج، وخرجه الطبراني من طريق سالم بن عبدالله بن عمر، والدارقطني في الأفراد من حديث أنس وابو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار من حديث زياد بن المنذر عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عن الحسين بن علي بن أبي طالب، والشيخ الكليني من طريق زرارة، والفضل عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام قال: لما اسري برسول الله ﷺ إلى السماء وبلغ البيت المعمور أذن جبرائيل وأقام وتقدم النبي ﷺ فصلى بالأنبياء والملائكة.

وقد أنكر الإمام الحسين بن علي عليه السلام عندما سمع الناس يتحدثون عن رؤيا عبدالله ابن زيد في تشريع الأذان، فغضب وقال: «الوحي ينزل على الرسول ويزعمون أنه أخذ الأذان عن عبدالله بن زيد! والأذان وجه دينكم، ولقد سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول: أهبط الله ملكا عرج برسول الله ﷺ إلى السماء... الحديث».

أما القصة التي تروى في مشروعية الأذان عند الطائفة الأخرى من المسلمين من أن النبي ﷺ لما قدم المدينة عسر على المسلمين معرفة أوقات صلاته ﷺ لكثرتهم واتساع دائرتهم، فتشاوروا في أن ينصبوا علامة يعرفون بها وقت صلاة النبي ﷺ لئلا تفوتهم الجماعة فأشار بعضهم بالناقوس فقال النبي: هوى للنصارى. وأشار بعضهم بالبوق، فقال: هو لليهود. وأشار بعضهم بالدق، فقال: هو للروم. وأشار بعضهم بإيقاد النار، فقال ذلك للمجوس. وأشار بعضهم بنصب راية فإذا رآها الناس أعلم بعضهم بعضا. فلم يعجبه ذلك، وتخير إلى أن كشف هذه الكربة منام عبدالله بن زيد، فإنه رأى رجلا يحمل ناقوسا فأراد ابتياعه منه ليضرب به النبي ﷺ في الأوقات فأرشدته إلى الأذان، وتعلمه منه ثم قصه على النبي ﷺ ففرح وأمره أن يعلمه بلالا، فلما نادى به بلال خرج عمر يجرد رداءه صارخا إني رأيت كما رأى عبدالله.

هذا كل ما في علبة القوم مما هو ملحق بخرافة الغرائق وأمثالها، المنزه عنه جلال النبوة، لو لم تكن القصة مدبرة بلبيل، أرادوا من إثبات التشاور في الأحكام الإلهية بحضرة من تنزل عليه، إلى تصحيح الشورى في الخلافة الكبرى.

من هذا يتجلى أن الأذان كبقية الأحكام الموحى بها إلى نبي الإسلام، وهو ﷺ وإن كان مسددا بالفيض الأقدس ومستغنيا بالإرادة الإلهية عن الاستعانة بأي أحد، فقد صدرت منه المشاورة مع أصحابه لأجل أن يعرفهم خطأ الاستبداد بالرأي، والتعريف بأن الرجل الغير معصوم ومسدد من السماء مهما بلغ من الرتبة العالية في الإدراك، قد يضل في الرأي، فكانت الصحابة تبصر من أشعة أمره بالاستشارة فوائده مهمة، إلا أن مشاورته مع أصحابه مقصورة على الأمور العادية وما يتعلق بمصالح الحرب، وأما الأحكام الإلهية الشرعية فلا مجال للتشاور فيها.

### شروط الأذان والإقامة

كان رسول الله ﷺ إذا سمع المؤذن يقول: حي على الصلاة، على الفلاح، حي على خير العمل، قال ﷺ «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فإذا انقضت الإقامة، قال ﷺ «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، أعط محمدًا سؤاله يوم القيامة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة وتقبل شفاعته في أمته».

إلا أن لهذا النداء المقدس شروطاً منها:

- نية القربى لله تبارك وتعالى، لأنه عبادة.

- تقديم الأذان على الإقامة.

- الالتزام بتسلسل الأجزاء على النحو المحدد في صورة الأذان: التكبير شهادة

أن لا اله إلا الله، شهادة أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل، التكبير، لا اله إلا الله.

- التابع بين أجزاء كل منها مع البعض الآخر.
- دخول وقت الصلاة.
- الأذان والإقامة باللغة العربية الفصحى.
- يشترط في الإقامة الطهارة، القيام، استقبال القبلة، وأما في الأذان فيستحب ذلك.
- يجب أن يكون المؤذن عاقلاً، مسلماً، مؤمناً، عارفاً.
- يستحب لمن يصلي الصلوات الخمس اليومية أن يؤذن ويقيم لكل فريضة منها.
- لا أذان ولا إقامة للنوافل، ولا لغير الصلوات اليومية، كصلاة الآيات، وصلاة العيدين، وصلاة الميت وغيرها.
- إذا سمع الإنسان أذان آخر أمكنه الإكتفاء به.
- صلاة المكلف بدون أذان أو إقامة صحيحة.
- هذا الغذاء الروحي الذي يقدمه المؤذن، وهذه الترانيم السماوية، وجب أداء شكرها، قال سيدنا زين العابدين عليه السلام: «فتشكره على ذلك شكر كالمحسن إليك وإن كنت في بيتك مُتهماً لذلك لم تكن لله في أمره مُتهماً».
- والمتهم في اللغة: العاجز، قال القاموس «تهم الدهن واللحم أي تغير، وفيه تهمة: بالتحريك - خبت ريح زهوه - وفلان ظهر عجزه».
- وعليه فمعنى قول الإمام عليه السلام وإن كنت في بيتك مُتهماً، أي يجب عليك شكر المؤذن وإن كنت عاجزاً جليس بيتك، حيث أن الذكر وتلك الرعاية تتحقق ولو مع هذا الوصف، فيثبت له حق في عنقك، فيجب شكره على كل حال أنت عليه. والقصد

في التعبير بهذا الرقي، وتأكيد لزوم شكر المؤذن، إنه لا يسقط عن الإنسان إلا القيام به، وأداء حقه بصورته التامة، فمنه بالدعاء له، والإستغفار له حيا وميتا، أو الدعاء لأهله وذويه وإكرامهم وذكرهم في كل حال وفي كل ظرف.

وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: كان رسول الله ﷺ إذا سمع المؤذن يؤذن قال مثل ما يقول في كل شيء.

غفر الله لكل المؤذنين وأثابهم جزيل الثواب.





## حق إمام الجماعة

### رحلة حقوقية

يُنمى إلى ذُرْوَةِ الدِّينِ التي قَصُرَتْ  
عَنْهَا الْأَكْفُ، وعن إدراكِهَا الْقَدَمُ

### الصلاة ترهب الطفافة

عندما استمر موقف الإمام الرضا عليه السلام سلبيا تجاه النظام الحاكم بالرغم من توليه ولاية العهد وبعد فترة من الزمن، لاحظ المأمون أثر موقف الإمام هذا على الناس الذين بدأوا يتكلمون ضد الخليفة ونظامه، فطلب من الإمام أن يشارك على الأقل في صلاة العيد من أجل تهدئة الأوضاع، فامتنع عليه السلام وذكر المأمون بالإتفاق والشرط الذي بينهما، ولكن بعد الإصرار الشديد من المأمون قال الإمام: إذا كان لا بد من ذلك فعلى شرط أن أعمل كما عمل جدي رسول الله ﷺ لا كما هو المعمول به عندكم، فوافق المأمون، وما أن خرج الإمام من بيته لأداء مراسم صلاة العيد، حتى قامت ضجة بين الناس، وأخذ الهياج بين جماهير المسلمين يتصاعد بينما كان الإمام يمشي إلى مكان الصلاة بهيئة تنم عن الإحتجاج الصارخ على الأوضاع، مما اضطر السلطة إلى إرجاع الإمام بعد أن وصل إلى منتصف الطريق، تخوفا من أن يؤدي الأمر إلى ثورة جماهيرية عارمة ضد المأمون ونظامه.

إن لصلاة الجمعة والجماعة مقومات ومن أهم هذه المقومات إمام الصلاة،

وحضور الجماهير، وكيفية الأداء وما يصاحبها من خطب ورسائل.

وليس هناك من أئمة على مدى التاريخ كأئمة أهل البيت الذين قالت فيهم سيدة النساء فاطمة الزهراء «وطاعتنا نظاما للملة وإمامتنا أمانا من الفرقة». ولأن النفعيين والظلمة يخافون من مثل هؤلاء الأئمة، أو ممن تربوا في مدرستهم كالإمام الخميني والسيد الشهيد الصدر، والإمام موسى الصدر وغيرهم، فإنهم يقومون بقتلهم أو بتغييبهم خوفا منهم.

قال مولانا أمير المؤمنين: الإمامة نظام الأمة، وقال عليه السلام: إمام عادل خير من مطر وابل.

ولما لصلاة الجماعة وإمامها من أهمية، رأينا إمامنا زين العابدين يخصص حقا في رسالته في هذا السياق والمعنى، ألا وهو «حق إمام الجماعة»، يقول عليه السلام:

### حق إمام الجماعة

وَأَمَّا حَقُّ إِمَامِكَ فِي صَلَاتِكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ  
تَقَلَّدَ السَّفَارَةَ فِي مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَالْوَفَادَةَ  
إِلَى رَبِّكَ، وَتَكَلَّمَ عَنْكَ، وَلَمْ تَتَكَلَّمْ عَنْهُ، وَدَعَا  
لَكَ، وَلَمْ تَدْعُ لَهُ، وَطَلَبَ فِيكَ، وَلَمْ تَطْلُبْ  
فِيهِ، وَكَفَاكَ هَمُّ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، وَالْمَسْأَلَةَ  
لَهُ فِيكَ، وَلَمْ تَكْفِهِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ  
ذَلِكَ تَقْصِيرٌ كَانَ بِهِ دُونَكَ، .... فَتَشْكُرْ لَهُ  
عَلَى ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

إن صلاة الجمعة تعد نموذجا مصغرا وواقعيا وحييا لكل حراك وثورة في المجتمعات الإسلامية، ومكسبا هاما وتظاهرة عامة عظيمة تقام كل أسبوع، ولها فوائد ورموز وقواعد وآداب اجتماعية عديدة.

أما عن الدور الذي تلعبه صلاة الجمعة فيمكن ملاحظته من خلال ما تركه من أثر بكل مراسمها - فهي حلقة لقاء إسبوعي بين إمام الصلاة أو قل القائد ومجتمعه أو أفراد شعبه، ودرس إسبوعي يعطيه هذا الجيل إلى الأجيال اللاحقة، وأن تعاقب أئمة الصلاة على إمامة صلاة الجمعة، يوجد تقارباً روحياً في المفاهيم الثقافية والاجتماعية والسياسية بين المصلين والمسؤولين، وأن هذه الصلاة الأسبوعية تتيح الفرصة الكاملة للمسؤولين لكي يصلوا إلى كل أفراد المجتمع وطبقاته، لكي يعظهم وينصحهم ويتحدث إليهم عن مشكلات المجتمع والمسلمين محلياً ودولياً، وأن هذه الصلاة - على الرغم من أنها من الأمور التعبدية - إلا أنها تعد مجالاً من مجالات الإعلام التي تربط القيادة بالقاعدة الشعبية، وأن أي عدد يشارك في صلاة الجمعة سيعكس القاعدة الشعبية لكل منظومة جديدة، وأن المشاركة المستمرة في هذه الصلاة يقوى الأواصر الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

ومن هذا المنطلق سيكون بحثنا في فصلين صلاة الجماعة، وصلاة الجمعة.

### أولاً: صلاة الجماعة

وهي من المستحبات الأكيدة في الفرائض وخصوصاً اليومية ويتأكد استحبابها في الجهرية كالصبح والعشائين.

فعن رسول الله ﷺ أنه أجاب جماعة من اليهود عن مسائل إلى أن قال: «أما الجماعة فإن صفوف أمتي كصفوف الملائكة، والركعة في الجماعة أربع وعشرون ركعة، كل ركعة أحب إلى الله عز وجل من عبادة أربعين سنة، وأما يوم الجمعة فيجمع الله فيه الأولين والآخرين للحساب، فما من مؤمن مشى إلى الجماعة إلا خفف الله عليه أهوال يوم القيامة، ثم يأمر به إلى الجنة».

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة».

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أدلكم على شيء يكفر الله به الخطايا، ويزيد

في الحسنات ؟ قيل: بلى يا رسول الله ﷺ قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى هذه المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وما منكم من أحد يخرج من بيته متطهرا فيصلي الصلاة في الجماعة مع المسلمين ثم يقعد ينتظر الصلاة الأخرى إلا والملائكة تقول: اللهم أغفر له، اللهم ارحمه، فإذا قمتم إلى الصلاة فاعدلوا صفوفكم وأقيموها وسدوا الفرج.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «الصلاة في جماعة تفضل على كل صلاة الفرد بأربع وعشرين درجة تكون خمس وعشرين صلاة».

وكل تلك الأحاديث تدل على الأجر الكبير في صلاة الجماعة حيث تستفيد الجماعة ببركة أفرادها وتوفيقهم في الصلاة، وهي تعطي شحنة معنوية خاصة، وتحقق عنوان الجسد الواحد.

ولقد قالوا إن في صلاة الجماعة فوائد عظيمة، عاجلة وآجلة، فأما العاجلة: فالرزق والبركة والنجاة وإستجابة الدعاء وقضاء الحوائج. وأما الآجلة: فالثواب العظيم والأجر الجسيم والقرب من الله تعالى.

ومن عظم ثواب صلاة الجماعة إذ أن المكلف لو صلى الفريضة منفردا سقط وجوبها، ولكن يستحب للمصلي أن يعيدها جماعة، إماما كان أو مأموما.

ويمكن تلخيص فوائدها فيما يلي:

- ظهور جماعة المسلمين بمظهر القوة والشوكة، وتنبيههم إلى الانتظام في أعمالهم وطاعة للإمام في الصلاة، أو القيادة في الأمور الأخرى.

- الإهتمام بالصلاة لأنها عمود الدين.

- تعلم من لا يحسن الصلاة بدخوله مع الجماعة، وتعلمه لأحكام دينه وما يجري في المجتمع من خلال ما يلقي من خطب وكلمات أثناء الصلاة.

- اجتماع الأخوان فيما بينهم وإفشاء السلام وإظهار الأخوة والعطف.



وحيث أن الإمام زين العابدين وصف إمام الجماعة بالسفير «وأما حق إمامك في صلاتك، فأن تعلم أنه قد تقلد السفارة بينك وبين الله»، والسفير هو الماشي بين الناس بالصلح وقد ورد في معنى - السفارة بالكسر أنها الرسالة - لذلك وجب أن ننظر كيف هو حال سفيرنا بيننا وبين الله سبحانه وما يجب عليه، وما يجب له وأي شخص نختاره ليكون سفيرا بيننا وبين الله تبارك وتعالى، وليس كل ما هب ودب بل يجب أن تكون له صفات خاصة ومميزات منفردة فعليه يجب أن يختص إمام الجماعة من بين الناس بمزيد من صفاء القلب وإقباله على الله، والخشوع له، وينبغي ألا يكون باعته وتحركه إلى المسجد لإمامة الناس إلا القربى ورجاء الثواب، فلو كان في بعض زوايا قلبه باعث خفي من حب الشهوة والمنزلة في القلوب، أو الوصول إلى ما ينتظم به معاشه، فيكون ممن ضل وأضل وهلك فأهلك.

#### شروط الإمام:

أولاً: الإسلام والبلوغ والعقل، فلا يصح الصلاة جماعة وراء الصغير غير البالغ ولو كان مميزاً.

مسألة: يجوز الإقتداء في صلاة الجماعة بأهل السنة إن كان لأجل الوحدة معهم ولكن لا يجوز التكتف في الصلاة إلا إذا كانت هناك ضرورة تقتضي ذلك.

ثانياً: طهارة المولد، فلا تصح إمامة ابن الزنا وهو المتولد من غير عقد شرعي.

ثالثاً: العدالة، وهي الحالة النفسانية الباعثة على ملازمة التقوى المانعة من ارتكاب المحرمات الشرعية، ويكفي في إحرازها حسن الظاهر الكاشف عنها.

مسألة: يجوز الإقتداء بإمام الجماعة من دون معرفة واقعه إذا أحرز المكلف عدالته بأي طريق كان.

#### رابعاً: الذكورة.

مسألة: لا تصح إمامة المرأة للرجل وأما إمامتها للنساء فلا بأس به.

خامساً: سلامة مساجده السبعة، فلا تصح إمامة فاقد أحد المساجد للواجد لها.  
سادساً: سلامة نطقه، فلا تصح الجماعة وراء من لا يُخرج الحروف بشكل يعده أهل اللسان أنه قد أخرج الحرف بشكله الصحيح.

على أن هذه الشروط موضع خلاف بين المسلمين، فالشيعة الإمامية يرونها واجبة ملزمة، ولا تصح صلاة الجماعة بدونها، مستنديين على أحاديث النبي ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام. وأما باقي المسلمين، فلا يشترطون من ذلك شيئاً، وعندهم من تقدم للصلاة - على علته - يؤمهم.

#### شروط المأموم:

مسألة: تجب نية الجماعة عند المأموم حتى تصح صلاته، فلو لم ينوي الإقتداء بصلاة الجماعة فلا تصح جماعته بل تقع صلاته فرادى.

مسألة: يجب تحديد الإمام في صلاة الجماعة من قبل المأموم وانه يصلي وراء فلان مثلاً أو وراء هذا الشخص الذي يعلم عدالته وإن كان لا يعرف إسمه.

مسألة: يجب وحدة إمام الجماعة بأن ينوي المصلي الإقتداء بإمام واحد فلا تصح صلاته وجماعته إن نوى الإقتداء باثنين مثلاً.

#### شروط صلاة الجماعة:

أولاً: تقدم الإمام على المأموم: يجب تقدم الإمام على المأموم في صلاة الجماعة.

ثانياً: عدم البعد بين موقف الإمام وموضع سجود المأموم أكثر من خطوة متعارفة، وكذلك الأمر بين المأمومين أنفسهم من جهة الطول والعرض.

ثالثاً: عدم علو الإمام عن المأمومين بل يجب أن يكون مساوياً لهم أو أدنى منهم من العلو، وأما علو المأموم عن الإمام أو المأمومين فلا إشكال به رجالاً ونساءً بشرط عدم كون العلو مفراطاً وغير متعارف.

رابعاً: عدم وجود حائل بين الإمام والمؤمنين أو بين المؤمنين أنفسهم إن كانوا رجالاً، وأما الحائل بين الرجال والنساء في صلاة الجماعة فلا إشكال به، إلا بين النساء أنفسهم فإنه لا يصح ذلك.

### أحكام صلاة الجماعة:

- أن لا يقل عدد الجماعة عن اثنين (الإمام والمأموم).

### ثانياً: صلاة الجمعة:

تحتزن الأمة الإسلامية من أسباب القوة في داخلها الشيء الكثير بحيث لو أنها استفادت من بعضها لأصبحت ليس في مصاف الأمم المتقدمة فحسب بل لفاقت عليهم وقادتهم إلى خير الإنسانية بل وخير الكون أيضاً.

وأسباب القوة هذه أخذت بعداً معرفياً ومنهجياً في شتى المجالات التي تخص إنسانية الإنسان، وبعداً تطبيقياً يتمثل في مجموعة كبيرة من البرامج أو الطقوس والشعائر التي تراعي تطبيق المنهج وتحويله إلى واقع حي يتحرك في واقع الناس، وتراعي أيضاً إذابة العوائق الدنيوية التي تبعد الإنسان عن إنسانيته.

ومن المؤكد أن أسباب القوة لدى أمتنا بل القوة التي لا تضاهيها قوة أخرى، يتمثل في الكتاب العزيز والرسول العظيم ﷺ، والأئمة الأطهار عليهم السلام والذي ما أن تمسكنا بهم لن نضل أبداً.

فالحج مثلاً نقطع بأنه سبب من أسباب قوة الأمة حيث يتجلى فيه التسليم المطلق للمولى عز وجل، وتنصهر الألوان والأعراق والقوميات لتقف بمظهر وحدوي رائع، وتتلور فيه الكثير من الرؤى، ويحدث فيه التعارف والتآلف بين كثير من المسلمين، وغير ذلك.

الزكاة والأخماس والصدقات فإنها من الروافد الإقتصادية المهمة للدولة والمؤسسات الاجتماعية وتدل على تماسك المجتمع وإيمانه وتكافله.

وصلاة الجماعة سبب من أسباب القوة حيث تتجسد فيها النظام والوحدة والتآلف، وغيرها.

وصلاة الجمعة هي الأخرى سبب من أسباب القوة عند المسلمين حيث إنها تمثل التجسيد الواعي للحضور الإسلامي، وبالشعائر الإسلامية، ودورها البناء في واقع المسلمين ومستقبلهم.

وهكذا بقية الشعائر والعبادات والطقوس الدينية.

### الجمعة لغة واصطلاحاً:

وإنما سمي جمعة لأنه تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لأنه تجتمع فيه الجماعات، وعن أبي جعفر عليه السلام قَالَ «قَالَ لَهُ رَجُلٌ كَيْفَ سُمِّيَتْ الْجُمُعَةُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمَعَ فِيهَا خَلْقَهُ لَوْلَايَةِ مُحَمَّدٍ وَوَصِيهِ فِي الْمِيثَاقِ فَسَمَّاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِمُجْمَعِهِ فِيهِ خَلْقُهُ».

الْجُمُعَةُ «بضم الميم وهو المشهور» أو الْجُمُعَةُ «بتسكين الميم لغتان وجمعها جمع وجمعات قال الفراء وفيها لغة ثالثة جمعة بفتح الميم كضحكة وهمزة، مأخوذة من الاجتماع كالفرقة من الافتراق.

ويوم الجمعة هو أحد أيام الأسبوع، سمي بذلك لاجتماع الناس فيه لصلاة الجمعة أو مطلقاً، وتسمية هذا اليوم المبارك بهذا الاسم من التسميات الإسلامية، وقيل غير ذلك، وقد كان يسمى قبل الإسلام بيوم «العروبة»، وقيل إن أول من سماها جمعة كعب بن لؤي وهو أول من قال أما بعد.

### مشروعية صلاة الجمعة:

لا شبهة ولا خلاف في مشروعية صلاة الجمعة فهي واجبة في الجملة، بإجماع الأمة، بل إنها تعد من ضروريات الدين، وعليها دل الكتاب العزيز والروايات المروية عن النبي عليه السلام وأهل بيت العصمة عليهم السلام.

وإنما الخلاف في بعض شروطها كحضور الإمام وإذنه وبسط يده أو بسط يد نائبه العام «الفقيه»، بعد الاتفاق على أغلبها كالعدد والمسافة الفاصلة بين جمعتين وغيرهما.

### صلاة الجمعة في القرآن الحكيم :

من الواضح أن الآيات الثلاث الأخيرة (٩، ١٠، ١١) من سورة الجمعة تتحدث عن صلاة الجمعة وبعض أحكامها:

#### الآية الأولى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

١ - ظاهر الآية في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ متوجه إلى المؤمنين، والفاسق مشمول بالخطاب ومتوجه إليه، بلا فرق بينه وبين المؤمن، أما بناء على قول من قال: إنه مؤمن مع كونه فاسقا فواضح، وأما من قال بخلاف ذلك فيكون داخلا فيه أيضا على التغليب.

٢ - جاء في تفسير الميزان على أن المراد بالنداء في قوله تعالى ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ الأذان كما في قوله سبحانه ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

٣ - ﴿فَاسْعَوْا﴾ السعي يكون عدوا ومشيا وقصدا وعملا، ويكون تصرفا في الصلاح والفساد.

وفي الميزان عن تفسير القمي، في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ يقول اسعوا امضوا ويقال اسعوا اعملوا لها وهو قص الشارب و نتف الإبط وتقليم الأظافر والغسل ولبس أفضل ثيابك وتطيب للجمعة فهي السعي يقول الله

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، ومن ذلك يظهر أن المراد بالسعي ليس خصوص الإسراع في المشي، بل يدخل فيه كل ما يرتبط بالتهيؤ وتحصيل جميع المقدمات اللازمة بها.

٤- جاء في مجمع البيان وفي الميزان على أن المراد بـ ﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾ هي صلاة الجمعة أو الخطبة التي تتضمن ذكر الله والمواعظ، وإنما عبر عنها بالذكر لأنها تشتمل على الصلاة والخطبتين المشتملتين على الحمد والثناء والدعاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلها تذكرنا بالله وكلها ذكر الله.

٥- ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أمر بترك البيع والشراء، فالآية وإن لم تذكر الشراء وغيره من سائر الأعمال التي تحول دون أداء هذه الفريضة بتمامها إلا أن النهي على ما يفيد السياق شامل لكل عمل يشغل عن صلاة الجمعة سواء كان بيعاً أو غيره وإنما علق النهي بالبيع لكونه من أجلى المصاديق التي تشغل الإنسان عن الصلاة.

٦- ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تأكيد على حقيقة قد تغيب عن بعض من البشر وهي أن أوامر الله ونواهيه لا يريد منها الباري عز وجل إلا الخير للإنسان لذا يجب عليه التسليم وبالإتيان بأوامره والانتهاز بنواهيه سبحانه، فحضور الجمعة واستماع الذكر وأداء الفريضة وترك البيع خير لكم وأنفع عاقبة لكم.

الآية الثانية: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

١- جاء في الميزان أن الأمر بالانتشار في قوله تعالى ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يفيد أمراً واقعاً بعد الحظر فيفيد الجواز والإباحة دون الوجوب وكذا قوله: (وابتغوا، واذكروا).

٢- ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ فضله جل وعلى لا يعد ولا يحصى لذا ينبغي

السعي إليه والجد في طلبه ولا يكون ذلك إلا بفعل الطاعات كالدعاء وعبادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة الأخوان في الله وما شابه ذلك، وقيل هذا أمر بزيادة التعقيب الذي يستحب يوم الجمعة. وعلى أي فإن العموم شامل لجميع ما ذكر وما شاكله.

٣- المراد من الأمر بالذكر في قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أعم من الذكر اللفظي فيشمل ذكره تعالى قلبا بالتوجه إليه باطنا، والفلاح النجاة من كل شقاء، وهو في المورد بالنظر إلى ما تقدم من حديث التزكية والتعليم وما في الآية التالية من التوبيخ والعتاب الشديد، وذلك أن كثرة الذكر يفيد رسوخ المعنى المذكور في النفس وانتقاشه في الذهن فتنتقطع به منابت الغفلة ويورث التقوى الديني الذي هو مظنة الفلاح. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران - ٢٠٠).

وقيل المراد من ذلك هو ذكر الله في التجارة.

الآية الثالثة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَؤُلَاءِ انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِّ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

١ - اتفقت روايات الشيعة والسنة إجمالا في سبب نزول هذه الآية، ومن ذلك ما روى جابر بن عبد الله: قال: قدم عير لدحية الكلبي فيها طعام، للمدينة بعدما أصابتهم مجاعة، فاستقبلوه باللهو والمزامير والطبول وكانوا مع النبي ﷺ في الصلاة فلما سمعوا صوت الطبول والمزامير «انفضوا» أي تفرقوا إلى العير وتركوا النبي ﷺ وحده قائما.

فقال عليه أفضل الصلاة والسلام لو تبايعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي نارا ولولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فأنزل الله الآية.

٢ - الفض، كسر الشئ والتفريق بين بعضه وبعض، وعنه استعير انفض القوم و«انفضوا» هو من فضضت القوم فانفضوا: أي فرقتهم ففرقوا، والمعنى تفرقوا إليها.

٣ - ﴿تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ التجارة واضحة وأما اللهو فهو استعمال آلات اللهو من المعازف والطبول والمزامير وما شابهها للإعلام عن وصول قوافل التجارة، و«إليها» أي إلى التجارة، وقيل إليهما لأن انفضاض البعض قد يكون للتجارة والبعض الآخر قد يكون للهو.

٤ - ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ أي تخطب قائماً.

قال جابر بن سمرة: ما رأيت رسول الله ﷺ يخطب إلا وهو قائم فمن حدثك أنه خطب وهو جالس فكذبه.

وفي الدر المنثور، أخرج ابن أبي شيبة عن طاووس قال: خطب رسول الله ﷺ قائماً وأبو بكر وعمر وعثمان، وإن أول من جلس على المنبر معاوية بن أبي سفيان.

ورواية معاوية بن وهب قال قال أبو عبد الله ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ خَطَبَ وَهُوَ جَالِسٌ مُعَاوِيَةُ وَاسْتَأْذَنَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ مَنْ وَجَعَ كَانَ فِي رُكْبَتَيْهِ وَكَانَ يَخْطُبُ خُطْبَةً وَهُوَ جَالِسٌ وَخُطْبَةً وَهُوَ قَائِمٌ يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا ثُمَّ قَالَ الْخُطْبَةُ وَهُوَ قَائِمٌ خُطْبَتَانِ يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا جَلْسَةً لَا يَتَكَلَّمُ فِيهَا قَدْرَ مَا يَكُونُ فَصْلٌ مَا بَيْنَ الْخُطْبَتَيْنِ».

### صلاة الجمعة في السنة النبوية:

حظيت صلاة الجمعة في السنة النبوية المطهرة باهتمام واسع بلغ حد التواتر الإجمالي، قال بعض الأعلام «ولا يبعد دعوى تواترها بل لا شبهة في تواترها الإجمالي للقطع بصدور بعضها من المعصوم ﷺ وعدم مخالفة جميعها للواقع، وقد أنهاها بعض الأعلام إلى مائتي حديث، أربعون حديثاً بين، صحيح وحسن وموثق صريح في الوجوب، وخمسون حديثاً ظاهره الوجوب، وتسعون حديثاً يدل على مشروعيتها في الجملة وعشرون حديثاً يستفاد من عمومها وجوبها وإليك بعضها منها:

١ - ذكر الشيخ المفيد في كتابه «المقنعة»: أن الرواية جاءت عن الصادقين ﷺ أن الله جلّ جلاله فرض على عباده من الجمعة إلى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة، لم



يفرض فيها الاجتماع إلا في صلاة الجمعة خاصة، فقال جلّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٢ - وجاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام «ما من قدم سعت إلى الجمعة إلا حرم الله جسدها على النار».

٣ - وفي بحار الأنوار وعن علي عليه السلام أنه قال: ليس على المسافر جمعة ولا جماعة ولا تشريق، إلا في مصر جامع. وعن جعفر عليه السلام أنه قال: أتى رسول الله ﷺ بخمس وثلاثين صلاة في كل سبعة أيام، منها صلاة لا يسع أحدا أن يتخلف عنها إلا خمسة: المرأة والصبي والمسافر والمريض والمملوك، يعني صلاة الجمعة مع الإمام العدل. وعن علي عليه السلام أنه قال: إذا شهدت المرأة والعبد الجمعة أجزأت عنهما من صلاة الظهر. وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال: تجب الجمعة على من كان منها على فرسخين إذا كان الإمام عدلا. وعن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: يجمع القوم يوم الجمعة إذا كانوا خمسة فصاعدا، وإن كانوا أقل من خمسة لم يجمعوا.

٤ - وفي بحار الأنوار عن رسالة الجمعة: للشهيد الثاني في وجوب الجمعة قال: قال النبي ﷺ: الجمعة حق واجب على كل مسلم إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة أو صبي أو مريض. قال: وقال ﷺ: من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه.

٥ - عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «صلاة الجمعة فريضة، والاجتماع إليها فريضة مع الإمام، فإن ترك رجل من غير علة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض، ولا يدع ثلاث فرائض من غير علة إلا منافق».

٦ - جاء في مجالس الصدوق، عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال «قال أمير المؤمنين عليه السلام الناس في الجمعة على ثلاثة منازل رجل شهد بها بإنصات وسكون قبل الإمام وذلك كفارة لذنوبه من الجمعة إلى الجمعة الثانية وزيادة ثلاثة أيام لقول الله عز

وجل ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ورجل شهدها بلغط وملق وقلق فذلك حظه ورجل شهدها والإمام يخطب فقام يصلي فقد أخطأ السنة وذلك ممن إذا سأل الله عز وجل إن شاء أعطاه وإن شاء حرمه».

### فتاوى العلماء في صلاة الجمعة:

يرى السيد الخوئي رحمته الله أن صلاة الجمعة واجبة تخييراً، بمعنى: أن المكلف مخير يوم الجمعة بين إقامة صلاة الجمعة إذا توفرت شرائطها وبين الإتيان بصلاة الظهر، فإذا أقام الجمعة مع الشرائط أجزأت عن الظهر، وإذا أُقيمت الجمعة في بلد واجدة لشرائط الوجوب والصحة وجب الحضور على الأحوط «وجوباً».

#### وشرائط الوجوب هي:

دخول الوقت، واجتماع خمسة أو سبعة أشخاص عند «الإمام الخميني»، أحدهم الإمام، ووجود الإمام الجامع لشرائط الإمامة من العدالة وغيرها مما يشترط في إمامة الجماعة بإضافة التمكن من إلقاء الخطبتين، ويرى البعض اشتراط الفقهية أو الإجازة من الفقيه بالإضافة إلى ما ذكر.

#### شرائط الصحة هي:

أولاً: الجماعة، وأن لا تكون المسافة بين المكان التي تقام فيه صلاة الجمعة والمكان الآخر أقل من فرسخ، وهي خمسة كلم وخمسة الكيلومتر، وقراءة خطبتين قبل الصلاة.

ويقول الإمام الخميني رضوان الله عليه: تجب صلاة الجمعة في هذه الأعصار مخيراً بينها وبين صلاة الظهر، والجمعة أفضل والظهر أحوط، وأحوط من ذلك الجمع بينهما، فمن صلى الجمعة سقطت عنه صلاة الظهر على الأقوى، لكن الأحوط الإتيان بالظهر بعدها.

ويقول الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته الله: «تجب على وجه التخيير ابتداءً، وتجب على وجه الحتم انتهاءً، وذلك أن المكلفين في هذه الحالة يجب عليهم أن يؤديوا الفريضة في ظهر يوم الجمعة، إما بإقامة صلاة الجمعة جماعة على نحو تتوفر فيها الشروط السابقة، وإما بالإتيان بصلاة الظهر، وأيهما أتى به المكلف أجزأه وكفاه، غير أن إقامة صلاة الجمعة أفضل وأكثر ثواباً، وهذا هو الحكم الثاني لصلاة الجمعة ويعبر عنه بـ «الوجوب التخييري لإقامة صلاة الجمعة».

والسيد القائد الخامنئي «دام ظله» يتفق مع الآخرين في أن صلاة الجمعة واجبة وجوباً تخييرياً إلا أنه يؤكد على ضرورة الإهتمام بها.

ففي معرض رده على سؤال عن المشاركة في صلاة الجمعة إذا كان هناك أشخاص لا يعتقدون بعدالة إمام الجمعة، فهل يسقط عنهم تكليف المشاركة فيها أم لا؟

فأجاب «دام ظله»: «صلاة الجمعة وإن كانت في الوقت الحاضر واجبا تخييرياً، ولا يجب الحضور فيها، لكن بالنظر إلى فوائد وأهمية الحضور في صلاة الجمعة، فلا ينبغي للمؤمنين حرمان أنفسهم من بركات الحضور في مثل هذه الصلاة لمجرد التشكيك في عدالة إمام الجمعة، أو لأعذار واهية أخرى».

وفي جوابه لمن لا يشارك في صلاة الجمعة لعدم المبالاة بها أو لاختلاف وجهات النظر؟

قال سماحته: «ترك الحضور والمشاركة في صلاة الجمعة العبادية السياسية من أجل عدم المبالاة بها مذموم شرعاً، والإبقاء عن المشاركة فيها بصورة دائمة ليس له وجه شرعي»<sup>(١)</sup>.

(١) موقع الشيعة.

ثانياً: - يجب على المأموم متابعة الإمام في الأفعال، فلا يجوز له التقدم عليه بأي فعل من الأفعال.

مسألة: لو كبر المأموم سهواً قبل الإمام فهو بالخيار فيما أن يكمل صلاته منفرداً ويتمها أو يعدل بها إلى النافلة ويقطعها ثم يعاود الدخول في الجماعة.

مسألة: إذا تقدم المأموم على الإمام سهواً، فتارة يكون التقدم في الأجزاء وأخرى في الأركان ما عدا تكبيرة الإحرام، فإن كان في الأجزاء فلا شيء عليه وصحت صلاته ويتابع مع الإمام.

وأما إذا كان التقدم في الأركان كأن يرفع رأسه في الركوع قبل الإمام، فإن كان الإمام لا يزال راکعاً فعليه العودة إلى الركوع ولا تضر الزيادة الركنية في هذه الحالة.

وأما إذا رفع الإمام رأسه من الركوع فيتابع المأموم الصلاة جماعة ولا شيء عليه، وكذلك الحال لو حصل هذا الأمر بالسجود أو ركع وسجد قبل الإمام فإن عليه العود إلى القيام أو الجلوس ثم السجود والركوع مع الإمام وتصح صلاته جماعة.

مسألة: لا يتحمل الإمام عن المأموم في صلاة الجماعة إلا القراءة في الركعتين الأوليين وأما كل الأقوال والأذكار في الصلاة فتبقى واجبة على المأموم.

مسألة: لا يشترط اتحاد الصلاة بين الإمام والمأموم من جهة الأداء والقضاء أو القصر والتمام أو الظهر والعصر، فيجوز لمن يصلي القصر الإقتداء بمن يصلي تماماً وكذلك من يصلي قضاء أن يقتدي بمن يصلي الأداء، وكذا من يصلي الظهر أن يقتدي بمن يصلي العصر، نعم لا يصح الإقتداء بمن يصلي اليومية بمن يصلي صلاة الأيات أو العيد.

مسألة: يجوز للمأموم العدول عن الائتمام إلى الانفراد إلا في صورة إتيانه بشيء يمنع صحة صلاته منفرداً كمن أتى بركن زائد كالركوع في صلاة الجماعة لمتابعة الإمام

فانه لا يصح له بعد ذلك الانفراد عن الجماعة.

عودا على بدأ، ثم يستطرد الإمام علي عليه السلام في الأمور التي يتحملها إمام الجماعة «وتكلم عنك ولم تتكلم عنه، ودعا لك ولم تدع له، فإن كان لك في شيء من ذلك وتقصير كان به دونك، وإن كان آثما لم تكن شريكه فيه، ولم يكن لك عليه فضل فوقى نفسك بنفسه، ووقى صلاتك بصلاته».

إضافة إلى تحمله السفارة والوفادة إلى الله تعالى عن جميع المأمومين فإنه يتحمل القراءة عنهم وذلك بقراءة السورتين في الركعة الأولى والثانية، ودعا لك سواء في القنوت أو في موارد الدعاء لأن إمامته تستدعي أن يدعوا لجماعة المصلين ويتحدث عنهم، وحيث أن الدعاء للإخوان أو جب لاستجابة الدعاء، والأهم من ذلك أنه كفاك هم المقام بين يدي الله والمساءلة له فيك ولم تكفه ذلك، فأنت مسؤول عن نفسك فقط، ومحاسب على حسن أدائك لصلاتك فقط، وأما هو فمسؤول عن حسن أداء صلاة الجماعة للمأمومين، وقد وضع نفسه في مقام المساءلة في حدود تكليفه كإمام للجماعة، بأن تتوفر فيه شروط التصدي وإسقاط التكليف عن المأمومين وعن نفسه، فلو افترضنا أنه أخطأ أو قصر فالمسؤولية عليه وحده.

هذه النفحات الإلهية تخرج من مشكاة واحدة حيث أكد أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لمحمد بن أبي بكر حين ولاه مصر: «وانظر إلى صلاتك كيف هي، فإنك إمام لقومك «ينبغي لك» أن تتمها ولا تخففها، فليس من إمام يصلي بقوم يكون في صلاتهم نقصان إلا كان عليه، لا ينقص من صلاتهم شيء، وتممها وتحفظ فيها، يكن لك مثل أجورهم، ولا ينقص ذلك من أجرهم شيئا.

وإن ترتب على عمله إثم فلا ينسحب على المأمومين، لذا «وان كان آثما لم تكن شريكه فيه» بينما ينسحب إيجابيات عمله عليهم، كما يكسب أجرا إضافيا من أجورهم يضاف إليه من دون أن ينقص من أجرهم شيئا.

إضافة على ذلك «أنه وقى نفسك بنفسه، ووقى صلاتك بصلاته» فحمك بطاعته لتكسب من خيراتها، وحمك بصلاته فأحسنت أداء صلاتك فارتحت من الخلل المحتمل أثناء أداء الصلاة، كل تلكم تجعله يستحق الشكر والفضل والمكافأة لا ماديا بل معنويا وكلنا يعرف ما للشكر من فوائد جمة تزيد من ترابط وأواصر الأفراد والجماعات.

ولا يعزب علينا أن صفة الشكر من أخلاقيات الإسلام والإنسان المؤمن وفيه الحث وتشجيع الآخرين على عمل الخير والإحسان.





## حق الجليس

### رحلة حقوقية

وَاحْرَضْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى  
فَرَجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافَرِ يَصْعَبُ  
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدَّهَ  
شِبْهُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لَا يُشْعَبُ  
كُنْ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ الْأَنَامِ بِمَعَزَلٍ  
إِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْوَرَى لَا يُصْحَبُ  
وَاجْعَلْ جَلِيْسَكَ سَيِّدًا تَحْظِي بِهِ  
حَبْرٌ لَيْبٌ عَاقِلٌ مِتَادَّبٌ  
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي  
فَالنَّصِيحَ أَغْلَى مَا يَبَاعُ وَيُوهَبُ

إن الحديث عن الجليس الصالح حديث ذو شجون، أيا كان هذا الجليس  
شخصاً حقيقياً أم شخصاً معنوياً وأعني به الكتاب.

قال الشاعر المتنبي:

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجٌ سَابِحٌ وَخَيْرُ جَلِيْسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ

ولن نجد أنا وأنت جليسا خيرا من كتاب الله الكريم، قال أرباب العلم إن انت

أردت أن يكلمك الله فجالس كتابه واقرأه، وإن أردت أن تخاطب الله فبادر بدعائه والابتغال اليه.

ولو لم يكن في كتاب الله عز وجل إلا هذه الآية ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ لكفى، فهي على إيجازها وقصرها جمعت كل صفات الجليس الحسن، الجليس الصادق في القول، الصادق في الحديث، الصادق في العمل، الصادق في النية، والطلب والحث والأمر بمجالسته وصحبته والكون معه. ولا أقول هنا إن تقتصر القراءة على كتاب الله، بل وتشمل كتب علم الأخلاق والعلوم الأخرى والتجارب المنقولة فيها للاستفادة منها.

ما أروع النظام الاجتماعي الذي خطه الإسلام فقد رعى فيه جميع الشؤون الاجتماعية والفردية، وقارب فيه ما بين العواطف والمشاعر، وقضى فيه على جميع ألوان الحزازات التي تباعد بين المسلمين، وتفرق جماعتهم، وكان من بين ما سنه الإسلام في هذا المجال حقوق الجليس، وقد رعى فيها الآداب رعاية كاملة وهي حسب ما أعلنها إمامنا زين العابدين عليه السلام في مقطوعته الرائعة حق الجليس. وهو الحق الواحد والثلاثون من رسالة الحقوق والخامس من باب «حقوق الآخرين».

### حق الجليس

وَأَمَّا حَقُّ الْجَلِيسِ فَأَنْ تُلِينَ لَهُ كَنَفَكَ، وَتُطِيبَ لَهُ جَانِبَكَ، وَتُنْصِفَهُ فِي مِجَارَةِ اللَّفْظِ وَلَا تُغْرِقَ فِي نَزْعِ اللَّحْظِ إِذَا لَحِظْتَ وَتَقْصِدَ فِي اللَّفْظِ إِلَى إِفْهَامِهِ إِذَا لَفَظْتَ. وَإِنْ كُنْتَ الْجَلِيسَ إِلَيْهِ كُنْتَ فِي الْقِيَامِ عَنْهُ بِالْخِيَارِ وَإِنْ كَانَ الْجَالِسَ إِلَيْكَ كَانَ بِالْخِيَارِ. وَلَا تَقُومُ إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.



إن الجليس الحسن له التأثير الإيجابي لسلوك طريق الاستقامة كما جليس السوء الأثر السلبي للانحراف، وكما ان للأطباء منهجين في معالجة المرضى: أحدهما إيجابي فيقولون للمريض خذ هذا العلاج، والآخر سلبي، فيقولون له لا تأكل هذا ولا تشرب هذا، فكذلك المنهج الديني يشابه المنهج الطبي تماما، فيقولون للمسلم أقم الصلاة، ليكن كسبك حلالا، وتزوج، ومن جهة أخرى يقولون له لا تكذب لا تسرق ولا تظلم زوجتك، وهذا هو الجانب السلبي، وبكلمة أخرى الواجبات هي الجانب الإيجابي، أما المحرمات فهي الجانب السلبي.

وعليه كما حض على الكون مع الصادقين، كذلك حذر ونهى من الجلوس مع الذين يخوضون في آيات الله بالباطل فقال عز من قائل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾. وهذا ما نعني به العلاج السلبي.

إن للجلوس ادابا وأحكاما، وللجليس حقوقا وعليه التزامات ومما لا شك فيه أن المرأ يتأثر بجليسه إن سلبا أو إيجابا ويكتسب من أخلاقه، لذلك اهتم الشارع المقدس، «بل ما تمليه الفطرة والعقل السليم والدراسات الحديثة» بموضوع الجليس ومما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام انه كان يقول: «جليس الخير نعمة، وجليس الشر نقمة».

قال أبو الوفاء عمر اليافي:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه	ففيه دليلٌ عنه بالطبع تهتدي
ولا بدع في وفق الطباع إذا اقتدت	فكل قرين بالمقارن يقتدي
وإن تصطحب قوماً فصاحب خيارهم	لتصبح في ثوب الكمالات مرتدي
وجانب قرين السوء يا صاح صحبة	ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وقبل أن نتطرق لحقوق الجليس، يجب علينا أن نعرف من نجالس وما هي المجالس التي يجب أن نؤمها ونرتادها ونذهب إليها، وقد بينت لنا الكثير من

الأحاديث والأقوال المأثورة بنوع من التفصيل وأشارة إليها:

### المجالس:

١ - المجالس بالأمانة: وهي المجالس التي يأمن الجالس فيه على دمه وفرجه وماله وسره، بل على دماء الآخرين وفروجهم وأموالهم.

ورد عن رسول الله ﷺ: المجالس بالأمانة، الاثلاثة مجالس: مجلس سفك فيه دم حرام، ومجلس استحل فيه فرج حرام، ومجلس استحل فيه مال حرام بغير حقه.

وعنه ﷺ: المجالس بالأمانة، وافشاء سر اخيك خيانة، فاجتنب ذلك، واجتنب مجلس العشيرة.

وعنه ﷺ: المجالس بالأمانة، ولا يحل لمؤمن ان يآثر عن مؤمن او قال: عن اخيه المؤمن قبيحا.

وعنه ﷺ: انما يتجالس المتجالسان بامانة الله، فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه مايكره.

٢ - مجالس الذكر: وهي المجالس التي يذكر فيها اسم الله عز وجل.

فعن الإمام علي عليه السلام: عليك بمجالس الذكر.

وعن رسول الله ﷺ: ارتعوا في رياض الجنة. قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر.

وعنه ﷺ: ما قعد عدة من أهل الأرض يذكرون الله الا قعد معهم عدة من الملائكة.

وعنه ﷺ: المجالس ثلاثة: غانم وسالم وشاحب، فاما الغانم فالذي يذكر الله تعالى فيه، واما السالم فالساكت، واما الشاحب فالذي يخوض في الباطل.

وعن الإمام الباقر عليه السلام : المجالس ثلاثة: سالم وغانم وشاجب، فالسالم الصامت، والغانم الذاكر، والشاجب الذي يلفظ ويقع في الناس.

وعن لقمان عليه السلام : اختر المجالس على عينيك، فان رأيت قوما يذكرون الله عز وجل فاجلس معهم، فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدونك علما، وان كنت جاهلا علموك، ولعل الله ان يصلهم برحمة فتعمك معهم.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام - في دعائه - : واجعلنا من الذين اشتغلوا بالذكر عن الشهوات، حتى جالت في مجالس الذكر رطوبة السنة الذاكرين.

وعن الإمام الصادق عليه السلام : ما اجتمع قوم في مجلس لم يذكروا الله ولم يذكرونا الا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة.

وعن رسول الله ﷺ : اذا رايتم روضة من رياض الجنة فارتعوا فيها. قيل: يا رسول الله، وما روضة الجنة؟ فقال: مجالس المؤمنين.

وعن الإمام الرضا عليه السلام : من جلس مجلسا يحيا فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب.

وعن الإمام الصادق عليه السلام - لفضيل - : تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك. قال: ان تلك المجالس احبها، فاحيوا امرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا.

٣ - مجالس الخمر: وهي المجالس التي يشرب فيها الخمر والمسكرات، وتشمل الملاهي الليلية والخوانيت وكل مكان يتواجد فيه هذه الأشياء.

فعن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام : لا تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر، فان العبد لا يدري متى يؤخذ.

٤ - المجالس التي نهى عنها الكتاب: وهي المجالس التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وورد النهي عن الجلوس فيها.

- مجالس المنكر قال تعالى :

﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾

- المجالس التي يكفر الله فيها، قال تعالى :

﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

المجالس التي يخوضون فيها آيات الله بالباطل ويسب فيها أهل الحق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وعن الإمام الصادق عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ - :  
انما عنى بهذا «اذا سمعتم» الرجل «الذي» يجحد الحق ويكذب به ويقع في الائمة، فقم من عنده ولا تقاعده كائنا من كان.

وعن الإمام الرضا عليه السلام - أيضاً - : اذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في اهله، فقم من عنده ولا تقاعده.

وعن رسول الله ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يسب فيه امام، او يغتاب فيه مسلم، ان الله يقول في كتابه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

٥ - الطرقات: وقد ورد النهي عن الجلوس فيها واتخاذها مجالس لأنها تؤذي المارة والجيران وربما يرتاب منها الآخرون.

عنه عليه السلام : إياك والجلوس في الطرقات. الإمام علي عليه السلام : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقوم مكان ريبة.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إياكم والجلوس على الطرقات».

فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها.

فقال ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها». قالوا: وما حق الطريق؟

قال ﷺ: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر».

### من نجالس :

١ - مجالسة العقلاء: الشورى ضم عقول الناس إلى عقلك «ماندم من استشار»، وقالت الحكماء: العاقل يعرف ويستشير؛ لعله يجد أفضل من رأيه، والجاهل لا يعرف ولا يستشير؛ لفرحه بعقله.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: جالس العقلاء، أعداء كانوا، أم أصدقاء فإن العقل يقع على العقل. وعنه رأي الشيخ «بتجاربه وعقله» أحب الي من جلد الغلام.

٢ - مجالسة أهل العلم: ليس هناك مجالسة أفضل من مجالسة العالم، في أي ميدان كان التخصص فهي أنفع دنيا وآخره، فعن رسول الله ﷺ المرأ على دين خليله وقرينه.

وفي غرر الحكم ودرر الكلم عن علي عليه السلام جالس العلماء تسعد، وعنه جالس العلماء تزدد علما، وعنه أيضا جالس العلماء يزدد علمك ويحسن أدبك وتزك نفسك. وعن رسول الله ﷺ: قالوا الخواريون لعيسى عليه السلام: يا روح الله، فمن نجالس اذا؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقته، ويرغبكم في الآخرة عمله.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح.

وعنه عليه السلام - في الدعاء - أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رايتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني ألف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني.

وعن لقمان عليه السلام : يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإن الله عز وجل يحبي القلوب بنور الحكمة كما يحبي الأرض بوابل السماء لا تجلسوا إلا عند كل عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الرهبة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الغش إلى النصيحة.

٣ - مجالسة أهل الورع والحكمة: إن مجالسة أهل الورع والحكمة مما يزيد العلم ويكمل العقل. وقد ورد في غرر الحكم عن أمير المؤمنين عليه السلام جالس أهل الورع والحكمة وأكثر مناقشتهم فإنك إن كنت جاهلاً علموك وإن كنت عالماً أزددت علماً. وعنه أيضاً جالس الحكماء يكمل عقلك وتشرف نفسك ويتف الجاهل عنك. وعنه «مجالسة الحكماء حياة العقول وشفاء النفوس».

وعن أحمد ابن عطاء مجالسة الأضداد ذوبان الروح، ومجالسة الأشكال تلقيح القبول، وليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة، ولا كل من يصلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار إلا الأمناء فقط.

٤ - مجالسة الأبرار: فعن رسول الله ﷺ : جالس الأبرار، فإنك إن فعلت خيراً حمدوك، وإن أخطأت لم يعنفوك. وعنه ﷺ : يابن مسعود، فليكن جلساؤك الأبرار واخوانك الاتقياء والزهاد، لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿لَا إِخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

٥ - مجالسة الفقراء والمساكين: إن مجالسة الفقراء والمساكين تذكر الإنسان بنعم الله سبحانه فيؤدي إلى شكرها. فعن علي عليه السلام : جالس الفقراء تزداد شكرًا.

وورد عن رسول الله ﷺ : سألوا العلماء، وخاطبوا الحكماء، وجالسوا الفقراء. وعن رسول الله ﷺ : تمسكنوا واحبوا المساكين، وجالسوهم واعينوهم، تجافوا صحبة الاغنياء وارحموهم وعفوا عن اموالهم.

وعن الإمام علي عليه السلام : ايها الناس، طوبى لمن، جالس أهل الفقه والرحمة، وخالط أهل الذل والمسكنة.

٦- مجالسة أهل الخير: قال أمير المؤمنين جليس الخير نعمة.

من لا ينبغي مجالسته:

ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ «مثل الجليس الصالح مثل الداري أو بائع الطيب إن لم يحذك من طيبه علقك من ربحه، ومثل الجليس السوء مثل الكير «نافخ النار» إن لم يحرقك بشار نار هعلقك من نته».

مثال حي محسوس وواقعي وعمل ينعكس في الخارج بأوضح صورة فصاحب الطيب يطيبك بريجة زكية واما نافخ الكير فلن تجد منه سوى الروائح التنة هذا إن لم يحرق ثيابك، كذلك القلوب تتأثر وينعكس عليها مجلسة الأبرار أو مجالسة الأشرار إما سلبا أو إيجابا.

قد عرفنا في البند السابق أن الخير كل الخير في مجالسة الصالحين والأخيار والعلماء والحكماء وما ينتج عنه من اكتساب العلم والحكمة والحث على العمل الصالح، وعكس ذلك تماما مجالسة الفاسدين والأشرار والجهال وو..... فما ينتج عنها الا البعد عن الله وفساد الإيمان وفساد القلوب. قال أمير المؤمنين ؑ مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ومجالسة الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار ومجالسة الأبرار للفجار تلحق الأبرار بالفجار فمن اشتبه عليكم أمره و لم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه فإن كانوا أهل دين الله فهو على دين الله وإن كانوا على غير دين الله فلا حظ له من دين الله إن رسول الله ﷺ كان يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤاخين كافرا ولا يخالطن فاجرا ومن آخى كافرا أو خالط فاجرا كان كافرا فاجرا.

وقال ؑ العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت، إلا بذكر الله، وواحد في ترك مجالسة السفهاء.

وجاء في غرر الحكم ودرر الكلم عن أمير المؤمنين ؑ «مجالسة الأشرار توجب التلف». وعنه «مجالسة أهل الدنيا منسأة للإيمان وقائدة إلى طاعة الشيطان».

وفيه أيضا «مجالسة السفلى تضني القلوب».

وعن سيدنا الإمام الصادق عليه السلام: لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم.

فعن رسول الله ﷺ: «إياكم ومجالسة الموتى».

قيل يا رسول الله من الموتى؟ قال ﷺ: «كل غني أطغاه غناه». فإن المال لا يعطي جاها للإنسان بالمعايير الإلهية بل التقوى هي التي تعطي جاهاً: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. فعلى الإنسان المؤمن أن يحافظ على الموازين الإلهية في علاقاته الإجتماعية.

### آداب المجالس والجلوس:

لكل مجلس آداب خاصة يجب مراعاتها والأخذ بها فهناك مجالس الفرح وهناك مجالس العزاء، وهناك مجالس العلماء، والمجالس الثقافية ومجالس الأدب، وهناك مجالس السوء والباطلين:

١ - التفسح في المجالس: وهو أن توسع لأخيك في المكان ويستحب أن تناديه بالجلوس لأنه سيعتبرها كرامة أكرمتها بها وهو أيضا من باب التقدير، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

وجاء في تفسير هذه الآية عن الإمام الصادق عليه السلام: «أن رسول الله ﷺ قال: ينبغي للجلساء في الصيف أن يكون بين كل اثنين مقدار عظم الذراع، لئلا يشق بعضهم على بعض»، كذلك الإنتشار والتفرق عند انتهاء وقت الجلسة، وهذا ما عني به بالنشور.

فعن رسول الله ﷺ: إذا أخذ القوم مجالسهم، فإن دعا رجل أخاه وأوسع له في مجلسه فليأته، فإنها هي كرامة أكرمه بها أخوه، وإن لم يوسع له أحد فلينظر



اوسع مكان يجده فليجلس فيه.

وكان من خلقه ﷺ أنه دخل عليه رجل المسجد وهو جالس وحده، فترحز ﷺ له، فقال الرجل: في المكان سعة يا رسول الله.

٢ - الجلوس حيث ينتهي به المجلس: ورد عن رسول الله ﷺ: إذا أتى أحدكم مجلسا فليجلس حيث ما انتهى مجلسه.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: كان رسول الله ﷺ إذا دخل منزلا قعد في أدنى المجلس حين يدخل.

٣ - عدم الجلوس في صدر المجلس أو أرفع مكان فيه إلا أن يكون مؤهلا لذلك: إن الجلوس في صدر المجلس أو موقع الصدارة يتطلب أن يكون الجالس مستعدا لجواب أي سؤال والقدرة على إدارة المجلس والجلسة وأن يكون ذو علم وحلم حتى يستوعب جميع الجلساء.

فعن الإمام علي عليه السلام: لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق.

وعنه عليه السلام: لا تسرعن إلى أرفع موضع في المجلس، فإن الموضع الذي ترفع إليه خير من الموضع الذي تحط عنه.

٤ - الجلوس حيث يأمر صاحب المنزل: عادة ما يكون للمنازل خصوصية وصاحب المنزل أعرف بشؤنه وحرمة.

فعن إمامنا الباقر عليه السلام: إذا دخل أحدكم على أخيه في رحله فليقعد حيث يأمره صاحب الرحل، فإن صاحب الرحل أعرف بعورة بيته من الداخل عليه.

وورد عن رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم في بيته فهو أمير عليه حتى يخرج».

٥ - الجلوس اتجاه القبلة: فعن رسول الله ﷺ : ان لكل شيء شرفا وان أشرف المجالس ما استقبل به القبلة.

وعن الإمام الصادق عليه السلام : كان رسول الله ﷺ اكثر ما يجلس تجاه القبلة.

٦ - التواضع في الجلوس: وهو أن يجلس في أي مكان متاح بالمجلس. فعن إمامنا العسكري عليه السلام : من رضي بدون الشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم.

٧ - كيفية الجلوس: إن كيفية الجلوس تمثل قمة أدب الجالس واحترامه للآخرين، ايضا الإقتصاد في المكان، بما يتماشى مع عادات المجالس، فعلى سبيل المثال يكره مد الرجلين أو التربع فإنه يشغل مساحة أكبر إلا إذا كان المكان واسعا أوللاستراحة وطرده الملالة. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يجلس ثلاثا : القرفصاء، وكان يجثوا على ركبتيه، وكان يثني رجلا واحدة ويبسط الأخرى، ولم يرى متربعا قط.

وعن الإمام علي عليه السلام في اوصاف النبي ﷺ : وما رأيي مقدما رجله بين يدي جليس له قط.

٨ - عدم الفحش في المجالس: إن من آداب المجالس أن يتكلم الجالس بالكلام الحسن المفيد الذي يفيد الجالسين وينور عقولهم وبالكلام الذي يفيد الجماعة والمجتمع ككل واستعراض الأولويات والتطرق لأحداث الساعة والمجتمع والنأي الكلام البذيئ والفاحش ورفع الأصوات التي يفهم منها التهتك وعدم احترام الآخرين وأن تضبط فيه الإنفعالات

كالضحك مثلا بلا سبب كما قال المثل «الضحك بلا سبب من قلة الأدب» وقال إمامنا الصادق عليه السلام «إن من الجهل الضحك من غير عجب».

ومن آداب الجلوس ان لا يتناجى اثنان في مجلس خاصة ان كان الجلوس قليلا ثلاثة او اربعة. ورد عن رسول الله ﷺ : لا تفحش في مجلسك لكي

يحذروك بسوء خلقك، ولا تناج مع رجل وانت مع آخر.

٩ - من آداب المجالس أن يحترم الصغير الكبير وان يرحم الصغير الكبير وأن يوقر أهل العلم والأدب.

١٠ - ذكر الله حال الجلوس والقيام: ورد عن رسول الله ﷺ: ان كفارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، رب تب علي واغفر لي.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: من اراد ان يكتال بالمكيال الاوفي، فليقل اذا اراد ان يقوم من مجلسه: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: من اراد ان يكتال بالمكيال الاوفي فليكن آخر قوله: «سبحان ربك رب العزة»، فان له من كل مسلم حسنة.

١١ - إن من اكرام الجلوس ان تعطي كل جليس نصيبا من الكلام والنظرة حتى يضمنوا انهم جميعا كرماء عليك.

١٢ - الضحك والمزاح: إن ادخال الفرح والسرور على قلب الإخوان والجلساء من الأمور المحبوبة، وكذلك المزاح ولكن في الحدود المعقولة بحيث لا يحسب انه اهانة أو من الاستهزاء والسخرية.

وروي ان رسول الله ﷺ يقول: اني لامزح ولا اقول: الا حقا.

وعن الحسن بن علي عليه السلام قال: سألت خالي هنداً عن صفة النبي ﷺ فقال: اذا غضب اعرض واشاح، واذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، يفتري عن مثل حبة الغمام.

عن ابي الدرداء قال: كان رسول الله ﷺ اذا حدث بحديث تبسم في حديثه.

قالت عجوز من الانصار للنبي ﷺ: ادع لي بالجنة، فقال النبي ﷺ: ان الجنة لا يدخلها العجز، فبكت المرأة، فضحك النبي ﷺ، وقال: اما سمعت قوله

تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً \* فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾. الواقعه

وقال للعجوز الاشجعية يا اشجعية لا تدخل العجوز الجنة، فراها بلال باكية، فوصفها للنبي ﷺ، فقال: والأسود كذلك، فجلسا ييكيان، فراهما العباس فذكرهما له ﷺ، فقال: والشيخ كذلك، ثم دعاهم وطيب قلوبهم، وقال: ينشئهم الله كاحسن ما كانوا، وذكر انهم يدخلون الجنة شبابا منورين، وقال: ان اهل الجنة جرد مرد مكحلون.

وقال ﷺ لرجل: حين قال له: انت نبي الله حقا نعلمه، ودينك الإسلام دينا نعظمه، نبغي مع الإسلام شيئا نقضمه، ونحن حول هذا ندندن يا علي اقض حاجته، فاشبعه علي ﷺ واعطاه ناقة وجلة تمر.

وكان النبي ﷺ يرقص الحسن والحسين ﷺ ويقول: حزقة حزقة ترق عين بقة، فترقى الغلام حتى وضع قدميه على صدره.

وخلاصة القول ما قاله هند بن ابي هالة التميمي لما سأله الإمام الحسين عن خلق رسول الله في مجلسه وجلسائه:

قال: «كان رسول الله - ﷺ - لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله، ولا يوطن الأماكن، وينهى عن إيظانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جلسيه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرد إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه بسطته وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا في الحق عنده سواء، مجلسه مجلس حلم، وحياء، وصبر، وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنشئ فلتاته، متفاضلين، متعادلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب».

قلت: كيف كانت سيرته في جلسائه ؟

قال: «كان رسول الله دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا

غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا غياب، ولا مداح، متغافل عما لا يشتهي، ولا يئس منه، ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، ومما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدا ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنها على رؤسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أوليتهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته ومسألته، حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: «إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرشدوه»، ولا يقبل الشاء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بنهي أو قيام».

أما من الآداب المتبعة مع الجليس فأن يستقبل ويودع من يأتي المجلس، وأن يبادره بالمصافحة وأن لا ينزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده، وأن لا تقدم رجلك أمام جليسك احتراماً له، وأن تدعوا جليسك بكنيته ومشاركة الجليس في الحديث مهما كان نوعه وكميته فقد نقل زيد بن ثابت «ر» عن رسول الله ﷺ «أن رسول الله ﷺ كنا إذا جلسنا إليه إن أخذنا بحديث فيه ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنا».

### حقوق الجليس:

حينما تريد الحديث عن دستور أو نظام عن حقوق الجليس وتدقق البحث فستقودك الطرق كلها إلى حق الجليس الذي ذكره الإمام زين العابدين، الذي ذكرناه أنفاً، وقد رعى فيها الآداب رعاية كاملة وهي حسب ما أعلنها الإمام ﷺ كما يلي:

١ - أن يلين الجليس جانبه لجليسه، ولا يستعمل معه الغلظة والشدة التي تنفر منها الطباع.

وجاء في موعظة الله لعيسى بن مريم ﷺ «يا عيسى لا تكن جليسا لكل مفتون، يا عيسى كن مع ذلك تلين الكلام، وتقشي السلام، يقظان اذا نامت عيون

الأنام، حذرا للمعاد، والزلازل الشداد، وأهوال يوم القيامة، حيث لا ينفع أهل ولا ولد ولا مال.

٢- أن يطيب له جانبه، وذلك بتوقيره وتكريمه.

٣- إنصافه إذا خاض معه الحديث، ولا يظهر التكبر والاستعلاء عليه.

٤- عدم المبالغة في أمره.

٥- إذا وجه له الكلام فليقصد به إفهامه.

٦- إذا جاء بعده فهو بالخيار في القيام، ولكن إذا جاء قبله فليستأذن منه إذا أراد القيام.

ومن الطبيعي أن هذه الآداب لو طبقها المسلمون على واقع حياتهم لسادت المحبة والوئام في ما بينهم.

ومن أجمل ما قرأت حديث حسن المعاني حوى ثلاثة خصال إن طبقها الإنسان كان على سبيل نجات:

عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام ليس لك أن تقعد مع من شئت لأن الله تبارك وتعالى يقول: «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين» وليس لك أن تتكلم بما شئت لأن الله عز وجل قال: «ولا تقف ما ليس لك به علم» ولأن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله عبدا قال خيرا فنعم» وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله عز وجل يقول: «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا».





## حق الجار

### رحلة حقوقية

ومن كلام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق. أخذه الشاعر فقال:

يقولون قبل الدار جار موافق

وقبل الطريق النهج أنس رفيق

كانت العرب تفتخر بحماية الجار وأمنه لهم، وقد قال شاعر من العرب يذكر فخر قومه، ويذكر أمن جاره فيهم، ويمثل ذلك بحمام مكة في الأمن، فقال:

يَرَى الْجَارُ فِيهِمْ أَمْنًا مِنْ عَدُوِّهِ كَمَا أَمِنْتُ عِنْدَ الْحَظِيمِ حَمَامَةً

ولقد كان العرب يضربون المثل في حسن الجوار بجار أبي دؤاد، وهو كعب بن مامة، فيقولون في مثلهم السائر: «جارٌ كجار أبي دؤاد».

فإن كعباً كان إذا جاوره رجل فمات بعض أهله ولم يكن لحمته وداه (أي احبه)، وإن هلك له بعير أو شاة، أخلف عليه، فجاءه أبو دؤاد الشاعر مجاوراً له، فكان كعب يفعل به ذلك، فضربت العرب به المثل في حسن الجوار، فقالوا: جار كجار أبي دؤاد.

قال قيس بن زهير:

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى جارٍ كجار أبي دؤاد

بل لقد غالى العرب وبالغوا في المحاماة عن الجار؛ إذ لم تتوقف محاماتهم عن الجار الإنسان، بل لقد تعدوا ذلك، فأجاروا ما ليس بإنسان إذا نزل حول بيوتهم، حتى ولو كان لا يعقل ولا يستجير؛ مبالغة في الكرامة والعزة، وتحدياً لأحد أن يخفر الجوار، مثلما فعل مدلج بن سويد الطائي الذي نزل الجراد حول خبائه، فمنع أحداً أن يصيده حتى طار وبَعْد عنه.

وكان كليب يجير الصيد فلا يعرض له أحداً.

إن قصص الوفاء فريدة عند أهل الجاهلية، ومن ضرب بوفائه المثل: عمير بن سلمى الحنفي، إذ استجار به رجل من بني عامر بن كلاب، وكانت معه امرأة جميلة، فرآها (قرين بن سلمى الحنفي) أخو عمير، وصار يتحدث إليها، فنهاها زوجها بعد أن علم فانتهدت فلما رأى قرين ذلك وثب على زوجها فقتله، وعمير غائب، فأتى أخو المقتول قبر سلمى وعاذ به، فلما قدم عمير أخذ أخاه وأبى إلا قتله أو أن يعفو عنه جاره، وأبى أخو المقتول أخذ الدية ولو ضوعفت، فأخذ عندئذ عمير أخاه وقتله لغدره وفاء لجاره.

لم تعرف الإنسانية منذ نشأة أبينا نبي الله آدم سلام الله عليه ولا أضنها ستعلم نظاماً أخلاقياً سنه رجل الهي غير نبينا محمد ﷺ، وأهل بيته الكرام، وما رسالة الحقوق لإمامنا زين العابدين التي تنظم حياة الإنسان مع خالقه ودينه ومع نفسه، ومع مجتمعه الأصغر «عائلته» ومجتمعه الأكبر جيرانه وأصدقائه بل مع المجتمع العالمي الا دليل على كلامنا وانعكاسا لخطاب الله لنبيه الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ومصادقا لخلقهم «كَلَامُكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمْ التَّقْوَى، وَفِعْلُكُمْ الْخَيْرُ». لقد رسخ الإسلام كل العادات الحسنة التي كانت قبله بل وزاد عليها ونظمها وحث عليها وعمل بها ولعل من أكثر ما حث عليه وجاءت الروايات فيه هو العناية بالجيران وحفظ حقوقهم ومراعاتهم، حتى ورد عنه ﷺ أنه قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجوار حت ضننا انه سوف يورثه».

تصل رحلتنا الى الحق الثاني والثلاثين من رحلة الحقوق، وهو الحق السادس



من حقوق الآخرين:

### حق الجار

وَأَمَّا حَقُّ الْجَارِ فَحِفْظُهُ غَائِبًا وَكَرَامَتُهُ شَاهِدًا وَنُصْرَتُهُ وَمَعُونَتُهُ فِي الْحَالَيْنِ جَمِيعًا. لَا تَتَّبِعْ لَهُ عَوْرَةً وَلَا تَبْحَثْ لَهُ عَنْ سَوْءٍ لِتَعْرِفَهَا، فَإِنْ عَرَفْتَهَا مِنْهُ عَنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ مِنْكَ وَلَا تَكْلُفٍ كُنْتَ لِمَا عَلِمْتَ حِصْنًا حَصِينًا وَسِتْرًا سَتِيرًا، لَوْ بَحَثْتَ الْأَسِنَّةَ عَنْهُ ضَمِيرًا لَمْ تَتَّصِلْ إِلَيْهِ لَانْطَوَائِهِ عَلَيْهِ. لَا تَسْتَمِعْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ. لَا تُسَلِّمُهُ عِنْدَ شَدِيدَةٍ، وَلَا تَحْسُدُهُ عِنْدَ نِعْمَةٍ. تُقِيلُ عَثْرَتَهُ وَتَغْفِرُ زَلَّتَهُ. وَلَا تَدْخِرُ حِلْمَكَ عَنْهُ إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ، وَلَا تَخْرُجْ أَنْ تَكُونَ سَلَامًا لَهُ. تَرُدُّ عَنْهُ لِسَانَ الشَّتِيمَةِ، وَتُبْطِلُ فِيهِ كَيْدَ حَامِلِ النَّصِيحَةِ، وَتُعَاشِرُهُ مُعَاشَرَةً كَرِيمَةً. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وردت كلمة الجار في القرآن الكريم اربع مرات بصيغ مختلفة، وتكررت مرتين في آية واحدة لأهمية حق الجار والإحسان اليه، واشارة الى انواع الجيران، وقرنت حق الجار بعبادة الله بدون اي واسطة.

ولقد ذكر امامنا زين العابدين عليه السلام «١٧» حقا في هذه المقطوعة الرائعة بالرغم من صغرها.

**تعريف الجار:**

الجوار: المجاورة، والجار: الذي يجاورك، وجاور الرجل مجاورة وجوارًا وجوارًا، والكسر أفصح.

وجارك: الذي يجاورك، والجمع: أجوار وجيرة وجيران.

وعن ابن الأعرابي: الجار: الذي يجاورك بيت بيت، والجار النفيح هو: الغريب، والجار: الشريك في العقار.

والجار: المقاسم، والجار الحليف، والجار: الناصر، والجار: الشريك في التجارة، والجار: امرأة الرجل، وهو جارها.

قال الراغب: الجار: من يقرب مسكنه منك، وهو من الأسماء المتضايقة ومعنى متضايقة أن تضيف اسم إلى اسم كأن تقول «وهو العلي الكبير»، فكبير مضاف إلى اسم العلي؛ فإن الجار لا يكون جارًا لغيره إلا وذلك الغير جارٌ له.

وأما شرعا: فاختلقت عبارات أهل العلم في حد الجوار المعتبر شرعاً، فمما قيل في ذلك ما يلي :

١ - أن حد الجوار أربعون داراً من كل جانب، وقد جاء ذلك عن عائشة - رضي الله عنها، كما جاء عن الزُّهري والأوزاعي.

٢ - أنه عشرة دُور من كل جانب.

٣ - أن من سمع النداء هو جار، وقد جاء ذلك عن علي عليه السلام.

٤ - أن الجار هو الملاصق الملازق.

٥ - أن حد الجوار هم الذين يجمعهم مسجدٌ واحدٌ.

والأقرب - والله أعلم - أن حد الجوار يُرجع فيه إلى العُرف، فما عُلِمَ عرفاً أنه جار، فهو جار.

## ثانيًا: أنواع الجيران :

ينقسم الجيران من حيث الحقوق الواجبة تُجاههم إلى ثلاثة أقسام:

- جار له حق واحد، وهو المشرك، وله حق الجوار.
- جار له حقان، وهو الجار المسلم، له حق الجوار وحق الإسلام.
- جار له ثلاثة حقوق، هو الجار المسلم له رحم، له حق الجوار، وحق الإسلام وحق القربى.

وأخرج البزار في مسنده عن جابر - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو أدنى الجيران، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق».

أما من حيث القرب، فالجار إما يكون قريبًا منك، أو بعيدًا، ملاصقًا أو غير ملاصق، ورتبة هؤلاء تتفاوت من حيث عدد الحقوق ومدى القرب، والجار الأقرب يقدم على الجار الأبعد، وهو ما استشعره علماء الإسلام، فهذا الإمام البخاري نجده يبوب في كتابه: «الأدب المفرد» باب الأدنى فالأدنى من الجيران، «ص ٣٨» وذلك تنبيهًا على قدره، ويترتب عليه حُسن المعاملة، والوقوف بجانبه، واجتناب أذيته، وهذا من شأنه أن يكفل التعايش بين الناس في طُمأنينة ورحمة.

وحدّث الأحاديث الشريفة الجار بنحوين، فسُرت الآية القرآنية في مطلع الكلمة بهما، وهما:

الأوّل: يتعلّق بالمكان، وذلك بتحديد مساحة واسعة يطلق على كلّ من سكن فيها بأنّه جار، فعن رسول الله ﷺ: «أربعون دارًا جار». وعن الإمام علي عليه السلام: «ألا إنّ حدّ الجار أربعون دارًا».

وقد فسّر قوله تعالى بالجار ذي القربى، والجار الجنب بالجار القريب، والجار البعيد في دائرة هذه المساحة.

الثاني: يتعلّق بالقرابة العقائدية أو النسبية، فعن رسول الله ﷺ: «الجيران

ثلاثة:

فمنهم من له ثلاثة حقوق: حق الإسلام، وحق الجوار، وحق القرابة

ومنهم من له حقان: حق الإسلام، وحق الجوار

ومنهم من له حق واحد، الكافر له حق الجوار»

من هذا المنطلق سيكون حديثنا عن حق الجار ضمن المحاور التالية:

### حسن الجوار:

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

رفض الإسلام صومعة الوحدة، طريقاً للكمال الإنساني، الذي أراده أن يتحقق في قلب المجتمع الإنساني من خلال علاقته مع الوالدين، والزوجة، والأولاد، والرحم، وبعدهم تأتي علاقة أرادها أن تكون غاية في الإحسان، ألا وهي العلاقة مع الجيران.

### الجار الصالح

وقد اعتبرت الروايات الواردة في هذه العلاقة أن الجار الصالح هو من موارد التوفيق الإلهي للإنسان، فعن النبي الأكرم ﷺ: «من سعادة المسلم سعة المسكن، والجار الصالح، والمركب الهنيئ».

لذا دعا الرسول الأعظم ﷺ إلى أن يكون انتخاب المنزل الذي يريد الإنسان أن يقيم فيه خاضعاً لدراسة حول الجيران، فقد ورد أن رجلاً أتى إلى رسول الله ﷺ

وقال: «يا رسول الله، إني أردت شراء دار، أين تأمرني اشتري، في جهينة، أم في مَزينَة، أم في ثقيف، أم في قريش؟ فقال له رسول الله ﷺ: الجوار ثم الدار».

ومن هذا المنطلق، ورد عن الإمام علي عليه السلام: «سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار».

وقال الشاعر:

اطلب لنفسك جيرانا تجاوزهم لا تصلح الدار حتى يصلح الجار

وشيد رجل من المسلمين دارًا حسناء، جملها وأحسنها وأبهاها، ثم تعكرت حياته فباعها بأرخص الأثمان وأبخص الأسعار، نسي جدتها وعاف حُسنها وكره سكنها وتمنى كل خلاص منها! ما السبب؟! هل افتقر فأجأته الحاجة، أم اغتنى فأطمعته النفس الراغبة؟ كلا، بل أبغض الدار لفعائل جاره وأذاه؛ إذ ضاق وسعها وتكدر حلوها وتنغص صفاؤها وتغيرت أشكالها. زهد الجار الصالح في الدار والمال؛ لأنه لم يهدأ له بال، ولم يقرّ له قرار، فباع داره فلامه الناس والعدال:

يلومونني إذ بعت بالرخص منزلا ولم يعرفوا جارا هناك ينغص  
فقلت لهم كفوا الملام فإنها بجيرانها تغلو الديار وترخص

كان أبو الأسود الدؤلي<sup>(١)</sup> صاحب علي من سادات التابعين وأعيانهم، واضع علم النحو بتوجيه من علي عليه السلام، (من أكمل الرجال رأياً، وأسدهم عقلاً، ويعد من الشعراء، والمحدثين، والفرسان، والنحويين)، وصاحب ملح ونوادر، من ذلك: أنه كان له جيران بالبصرة، كانوا يخالفونه في الاعتقاد، ويؤذونه في الجوار، ويرمون في الليل بالحجارة، ويقولون له: إنما يركبك الله تعالى؛ فيقول لهم: كذبتهم، لو رجمني الله لأصابني، وأنتم ترجموني ولا تصيبوني؛ ثم باع الدار، فقيل له: بعت دارك؟! فقال: بل بعت جاري؛ فأرسلها مثلاً.

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني (١٦-٦٩هـ) من سادات التابعين وأعيانهم.

## • منزلة الجار

لاهتمام الإسلام بقيمة الجيرة بين منزلة رفيعة للجار، تتّضح من خلال الآتي:

### الجار وصيّة جبرئيل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه»، وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال عند وفاته: «الله الله، في جيرانكم، فإنهم وصيّة نبيكم، ما زال يوصيني بهم حتى ظننا أنه سيورّثهم».

### الجار كالنفس وبحرمة الأم

ورد في الكافي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنه كتب بين المهاجرين والأنصار، ومن لحق بهم من أهل يثرب أن الجار كالنفس، غير مضار، ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أمه».

من هنا دعا الإسلام إلى حسن الجوار مبيّناً فوائده الآتية:

١- تأكيد الإيثار عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً».

٢- زيادة الرزق، عن الإمام الصادق عليه السلام: «حسن الجوار يزيد في الرزق».

٣- زيادة العمر، عن الإمام الصادق عليه السلام: «حسن الجوار زيادة في الأعمار».

٤- عمارة الدار، ويكمل الإمام الصادق عليه السلام حديثه السابق بقوله: «وعمارة الدار». وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسن الجوار يعمر الديار، وينسى في الأعمار».

٥- كثرة من يُعينه، ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من أحسن إلى جيرانه كثر خدّمه».

٦- الشفاعة، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «وإن المؤمن ليشفع لجاره، وما له حسنة، فيقول: يا ربّ، جاري، كان يكفّ عني الأذى، فيشفّع فيه، فيقول الله تبارك

وتعالى: أنا ربُّك، وأنا أحقُّ من كافي عنك، فیدخله الجنة، وما له حسنة».

### كيف نحسن إلى الجار؟

إنَّ الإحسان إلى الجيران يتحقّق بعناوين كثيرة، ركّزت الروايات على بعض منها، هي:

#### ١- كفّ الأذى

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه أتى رسول الله ﷺ رجلٌ من الأنصار فقال له: «إني اشتريت داراً من بني فلان، وإنّ أقرب جيراني مني من لا أرجو خيره، ولا آمن شره، فأمر رسول الله ﷺ عليّاً وسلمان وأبا ذر، أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم بأنّه: لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً»

وعن ابن مسعود أنّه أتى إلى السيدة الزهراء عليها السلام، وسألها: هل ترك رسول الله عندك شيئاً تطرفينه «أي تعطيني إياه»، فجاءت عليها السلام بجريدة كتّبت فيها: «ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره». والبواثق جمع بائحة، ومعناها داهية.

والأذى قد يكون بالتعدّي على أرض الجار، وفي هذا ورد عن رسول الله ﷺ: «من اعتدى على أرض جاره، ولو بمقدار شبر، فإنّ الله سيطوّق به عنقه بطوق من نار ويرميه في جهنّم إلّا إذا تاب وأرجع الأرض»، وقد يكون الأذى لسانياً، وفيه ورد أنّه قيل لرسول الله ﷺ: «إنّ فلاناً يصوم النهار، ويعمل، ويتصدّق، إلّا أنّه يؤذي جاره بلسانه، فأجابهم ﷺ وقال: إنّ لا خير فيه، وإنّه من أهل النار».

- إزعاجه بالأصوات العالية، لا سيّما في الليالي.

- وضع النفايات في مكان تفوح رائحتها الكريهة ناحيته.

- رمي الأوساخ في المدخل، أو على الدرج، كما يفعل بعضهم في رمي أعقاب السجائر والتدخين في الممرات.

- رمي المياه من الأعلى دون الالتفات إلى ما تحت.

## ٢- الصبر على الأذى

لم يكتفِ الإسلام في بيان حسن الجوار بالكفّ عن الأذى، بل ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله: «ليس حسن الجوار كفّ الأذى، ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى».

يُروى أن رجلاً جاء إلى عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - فقال له: إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني، ويضيق علي، فقال: اذهب، فإن هو عصي الله فيك، فأطع الله فيه».

## نماذج مضيئة للصبر على أذى الجار:

تحمل أذى الناس وبخاصة الجيران درجة رفيعة من درجات الإيمان قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ (المؤمنون: ٩٦). وقال ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣).

ولنا في رسول الله أسوة حسنة، ونعلم قصة اليهودي الذي كانت هديته اليومية لرسول الله ﷺ كيساً من القمامة على باب البيت، فإذا خرج عليه الصلاة والسلام ذات يوم ولم يجد القمامة علم أن جاره المؤذي منعه مانع، فذهب ليطمئن عليه فإذا هو مريض.

يُروى أن مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - كان له جار يهودي، فحول اليهودي مستحمه إلى جدار البيت الذي فيه مالك، وكان الجدار متهدّماً، فكانت تدخل منه النجاسة، ومالك ينظف البيت كلّ يوم، ولم يقل شيئاً، وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى، فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة، فقال له: يا مالك،



أذيتك كثيراً وأنت صابر، ولم تُخبرني، فقال مالك: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما زال جبريل يوصيني بالجار؛ حتى ظننت أنه سيورثه)، فندم اليهودي وأسلم.

وقال علي بن أبي طالب للعباس: ما بقي من كرم إخوانك؟ قال: الإفضال إلى الإخوان، وترك أذى الجيران، فانظر كيف عدَّ العباس، ترك أذى الجيران من الكرم.

٣- تفقّد الجار، عن الإمام علي عليه السلام: «من حسن الجوار تفقّد الجار».

### ومن صور حسن الجوار:

كما في صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (يا نساء المسلمين، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة).

فرسنُ الشاة هو حافرها، قال الحافظ ابن حجر -: (أي: لا تحقرن أن تهدي إلى جارتها شيئاً ولو أنها تهدي ما لا يُنتفع به في الغالب).

والمقصود أن يتواصل الخير والود والبر بين الجيران، ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ -: (يا أبا ذر، إذا طبخت مرقّة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك).

وأولى الناس بالإحسان من الجيران، أقربهم منك باباً؛ ففي البخاري من حديث عائشة قالت: (يا رسول الله، إن لي جارين فألى أيهما أهدي؟ قال - ﷺ -: إلى أقربهما منك باباً).

### حقوق الجار:

ورد عنوان حقوق الجار في أكثر من حديث، وهي عبارة عن جملة من القيم والآداب الرفيعة فعن رسول الله ﷺ: «هل تدرّون ما حقّ الجار؟ ما تدرّون ما

حقّ الجار إلّا قليلاً، ألا لا يؤمن بالله واليوم الآخر من لا يؤمن جاره بوائقه، وإذا استقرضه أن يقرضه، وإذا أصابه خير هنّاه، وإذا أصابه شرّ عزّاه، ولا يستطيل عليه في البناء يحجب عنه الريح إلّا بإذنه، وإذا اشترى فاكهة فليهد له، وإن لم يهد له فليدخلها سرّاً ولا يعطي صبيانه منه شيء يغايظون صبيانه».

وفي رسالة الحقوق قال الإمام زين العابدين عليه السلام، أمّا حقّ جارك:

١ - فحفظه غائباً، حفظ شخصه، حفظ منزله، حفظ شرفه وسمعته.

٢ - وإكرامه شاهداً، إبداء الاحترام، تهنّته بالمناسبات، تقديم هدية له تعظيمه وذكر جمال سيرته.

٣ - ونصرته إذا كان مظلوماً دفع الضرر عنه وكل شر وبلية ونصرته على أعدائه.

٤ - ولا تتبّع له عورة، فإن علمت عليه سوءً سترت عليه، ولا تطلب له وعورة فلا تتجسس عليه ولا تتطلب ما ستر الله عليه، قال رسول الله ﷺ من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة.

في حديث آخر «ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها، فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلف، كنت لما علمت حصناً حصيناً وستراً وستيراً، لو بحثت عنه ضميراً لم تصل إليه لأنطوائه عليه».

وما ابلغ قول الشاعر، مسكين الدارمي:

ناري ونار الجار واحدة	وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضر جاراً لي أجاوره	أن لا يكون لبابه ستر
أعمى إذا ما جارتي برزت	حتى توارى جارتي الخدر

وقول آخر:

أنت حلي وأنت حرمة جاري      وحقيق علي حفظ الجوار

إن للجار إن تغيب عينا      حافظا للمغيب والأسرار  
ما أبالي إن كان للباب ستر      مسبل أم بقي بغير ستار

وقال في ذلك عنتر بن شداد:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي      حتى يوارى جارتي ماثواها

٥- وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه.

٦- ولا تُسلمه عند شديدة «أي ان تساعده وتقف معه عند المصائب والبلايا فإنها من محاسن الأخلاق، فقد ورد عن رسول الله ﷺ من سمع مناديا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فقد خرج من ملة الإسلام» لا أن يسلمه عند الشدائد والمصائب فإنها من الأخلاق المذمومة.

٧- وتقبل أو تقبل عثرته «فإن جاءت وتقبل أي تعفو عن خطئه وسقطته وعثرته وترضى عنه وإن جاءت بمعنى تقبل أي تصفح عنه وتترك ذنبه، أنهضه من سقطته، ساعده في محنته» وقلنا أقال البيع: فسحّه، نكثه من أقال نادماً أقاله الله من نار جهنم: وافقه على نقض البيع وأجابه إليه. وقد ورد هذا المعنى في دعاء الإفتاح فكم يا الهي من كربة قد فرجتها، وهموم قد كشفتها، وعثرة قد أقلتتها، ورحمة قد نشرتها.

٨- وتغفر ذنبه وتعاشره معاشرة كريمة من حق الجار ان يعيش مع جاره بترفع واباء فإذا اساء له او تجاوز حقه، وإذا زل في مقام او عثر في حديث فليصفح عنه ويعفو ويحلم عليه حتى يرجع الى رشده ويعود عن ضلاله وبعبارة موجزة يعاشره معاشرة كريمة في كل الأمور.

٩- ولا تدخر حلمك عنه إذا جهل عليك «صفتان واحدة محمودة وهي الحلم والتي يجب أن يتصف بها كل إنسان لأنها تدل على سعة العقل وسعة الصدر وضبط النفس، وهي من صفات الأنبياء والصالحين، قال الإمام علي زين العابدين (عليه السلام) «انه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه»، أما الصفة الأخرى فهي صفة مذمومة

وهي الغضب وهي ضد الحلم ولا يخفى على القارئ ما لهذه الصفة من مفسد اجتماعية  
ويكفي قول رسول الله ﷺ «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل».

فعلى الجار ان يحلم وأن لا يغضب على جاره إن رأى منه جهلاً أو تجاوزاً وأن  
يعفو عنه.

قال الشاعر:

أقول لجاري إذ أتاني معاتباً مدلاً بحق أو مدلاً بباطل  
إذا لم يصل خيري وأنت مجاور إليك فما شري إليك بواصل

١٠- وترد عنه لسان الشتيمة وتبطل فيه كيد حامل النصيحة وهي النصرة  
إذا سمع عليه مقالة سوء، فإن الله يكره أن يستمع الى قوم ينوشون جارهم بالسوء  
وفسق اللسان وهو عنهم راض، أو ان يزدريه احد بنقص أو شتيمة، وإنما تدل خصلة  
الشتيم عن سوء الخلق وقلة الحياء والتربية فعن إمامنا الكاظم عليه السلام وقد سمع رجلين  
يتسابان البادي منهما أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر الى المظلوم.

كما انك لا ترضى بشتيم جارك والنيل منه بسوء الكلام ايضاً يجب عليك أن لا  
تقبل فيه كيد كائد أو مكر ماكر أو نميمة نام، فعن رسول الله ﷺ من كان مسلماً فلا  
يمكر ولا يخدع، فإني سمعت جبريل يقول: إن المكر والخديعة في النار، ثم قال ﷺ:  
ليس منا من غش مسلماً، وليس منا من خان مسلماً.

### الجار في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام

لم يكتف امامنا زين العابدين بذكر حقوق الجار في رسالته بل يأصل هذا المفهوم  
ويشدد عليه وها هو يعلمنا عليه السلام حسن الجوار في دعائه في الصحيفة السجادية قائلاً:

(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَوَلَّنِي فِي جِيرَانِي وَمَوَالِيَّ وَالْعَارِفِينَ بِحَقِّنَا  
وَالْمُنَابِذِينَ لِأَعْدَائِنَا بِأَفْضَلِ وَلَايَتِكَ، وَوَقِّعْهُمْ لِقَامَةِ سُتَّتِكَ وَالْأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ

فِي إِزْفَاقٍ ضَعِيفِهِمْ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَهَدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَتَعَهُدِّ قَادِمِهِمْ، وَكَيْفَانِ أَسْرَارِهِمْ، وَسِتْرِ عَوْرَاتِهِمْ، وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنِ مُوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونِ، وَالْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجُدَّةِ وَالْإِفْضَالِ، وَإِعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ وَاجْعَلْنِي اللَّهُمَّ أَجْزِي بِالْأَحْسَانِ مُسِيئُهُمْ، إِلَى أَنْ يَقُولَ: وَاجْعَلْ لِي أَوْفَى الْخُطُوطِ فِيمَا عِنْدَهُمْ، وَزِدْهُمْ بَصِيرَةً فِي حَقِّي، وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي، حَتَّى يَسْعَدُوا بِي وَأَسْعَدَ بِهِمْ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ).

وأخيراً إنَّ أهمَّ جيرة وأعظمها هي جيرة الكمال المطلق غير المحدود بمكان ولا زمان، وإنَّما جيرته في جنَّة الرضوان، ففي الحديث عن الرسول الأكرم ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَيْنَ أَهْلُ الصَّبْرِ؟ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ آخَرَ، أَيْنَ أَهْلُ الْفَضْلِ؟ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُسْمِعُ آخَرَهُمْ كَمَا يُسْمِعُ أَوَّلَهُمْ، فَيَقُولُ: أَيْنَ جِيرَانُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فِي دَارِهِ؟ فَيَقُومُ عَنْقُ مِنَ النَّاسِ، فَتَسْتَقْبِلُهُمْ زَمْرَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَاذَا كَانَ عَمَلُكُمْ فِي الدُّنْيَا فَصَرْتُمْ بِهِ الْيَوْمَ جِيرَانِ اللَّهِ تَعَالَى فِي دَارِهِ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَتَحَابُّ فِي اللَّهِ، وَنَتَبَاذَلُ فِي اللَّهِ، وَنَتَوَازَرُ فِي اللَّهِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: صَدَقَ عِبَادِي، خَلُّوا سَبِيلَهُمْ لِيَنْطَلِقُوا إِلَى جِوَارِ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

كنّا نتحاب في الله ونتبازل في الله ونتوازر في الله، هذه هي الترجمة العملية لهذه التعاليم وهذا هو ما يريده منا رسولنا الكريم وأهل بيته الطاهرين.

### كلمة ختام :

قضت الحياة المدنية على كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية الإسلامية الحميدة ومن هذه المظاهر الاجتماعية السائدة في مجتمعاتنا الإسلامية والتي بدأت الحياة العصرية تحاصرها وتقضي على كثير من محاسنها ما يعرف بحق الجوار وبصلة المجاورة.

حيث كانت علاقات الجيران وصلاتهم وترابطهم تفوق أحياناً صلوات القرابة، ذلك أن الجوار وتقارب المساكن أدى إلى الإشتراك في المصالح وتبادل المنافع مما زاد من هذه الصلة وقواها حتى أن بعض البيوت فتحوأ باباً بينهم وبين جيرانهم لا يحتاجون معه الى استخدام الأبواب الخارجية حتى تحولت بعض البيوت إلى بيت واحد.

وكان الجيران يستعينون بجيرانهم على قضاء كثير من الحوائج وسد ما قد يحتاجون إليه من ضرورات الحياة، ولذا كان رب الأسرة لا يقلق من تغيبه عن أهله أو تأخره عنهم طالما رزق بجار يقوم مقامه ويسد عند غيابه حاجة أهله.

لكن المجتمع العصري أطفأ هذه الشعلة وقضى على هذه المظاهر أو كاد بحجة استغناء الناس وانشغالهم حتى أنك لتجد بعض الجيران لا يعرف جاره وقد جاوره سنوات.



## مصادر ومراجع البحث

- ١ - اخلاق آل محمد، موسى سبتي.
- ٢ - الأدب المفرد، لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري.
- ٣ - المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية، تأليف المُجتهد الأكبر السيّد محسن الأمين .
- ومصائب العترة النبويّة الجزء الرابع الطّبعة الخامسة - ١٩٧٤ م.
- ٤ - الإمام السجاد جهاد وأمجاد، الدكتور حسين الحاج حسن.
- ٥ - الإمام زين العابدين، مختار الأسدي «مركز الرسالة».
- ٦ - الإمام زين العابدين، المجمع العالمي لأهل البيت.
- ٧ - الإنفاق في سبيل الله، عز الدين بحر العلوم.
- ٨ - الكشكول الهجري، العلامة الشيخ باقر بوخسين.
- ٩ - الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين / ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان.
- ١٠ - الأثر الخالد في حق الولد على الوالد، للسيد علي بن الحسين العلوي.
- ١١ - الطب محراب الإيمان، الدكتور خالص جليبي كنجو.

- ١٢ - الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين.
- ١٣ - اسرار الصلاة، الحاج ميرزا جواد الملكي التبريزي.
- ١٤ - أعمال شعرية، ديوان جاسم الصحيح.
- ١٥ - جامع السعادات، للعلامة محمد مهدي النراقي / ج ١.
- ١٦ - ديوان الإمام علي، شرح الدكتور يوسف فرحات.
- ١٧ - حقوق الإنسان، د. كمال سعدي مصطفى.
- ١٨ - حكم واسرار الحج، العلامة الشيخ حسين العايش.
- ١٩ - طريقك الى الصحة والسعادة، د. كليفور د. ر. اندرسون «ترجمة شاكر خليل نصار.
- ٢٠ - كتاب الصلاة، للسيد ابي القاسم الخوئي.
- ٢١ - كيف تكسب الأصدقاء، محمد الحيدري.
- ٢٢ - لماذا نقدس القرآن، العلامة الشيخ باقر بوخسين.
- ٢٣ - مكارم الأخلاق، رضي الدين الطبرسي.
- ٢٤ - منهاج الصالحين، آية الله لسيد ابي القاسم الخوئي جزء العبادات.
- ٢٥ - نهج البلاغة، الإمام علي.
- ٢٦ - سجع الحمام في حكم الإمام امير المؤمنين علي، علي الجندي / محمد ابو الفضل ابراهيم /
- الإمام أمير المؤمنين، محمد يوسف المحجوب.
- ٢٧ - سيرة الأئمة الأطهار، الشهيد مرتضى المطهري.
- ٢٨ - عبادات الإسلام، آية الله السيد محمد حسن الشيرازي.



- ٢٩ - فلسفة الحج، محمد الصدر.
- ٣٠ - صلاة العارفين، للإمام آية الله الخميني.
- ٣١ - رسالة الحقوق، عباس علي الموسوي.
- ٣٢ - رسالة الحقوق للإمام زين العابدين، الشيخ نعيم قاسم.
- ٣٣ - شرح رسالة الحقوق، السيد حسن القبانجي النجفي.
- ٣٤ - شرح رسالة الحقوق، آية الله الشيخ محمد حسن الرمزي الطبسي.
- ٣٥ - شرح رسالة الحقوق، العلامة الساعدي.
- ٣٦ - تحف العقول، الحسن بن علي بن شعبة الحراني.
- ٣٧ - غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الأمدي التميمي.
- ٣٨ - الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.
- ٣٩ - مواقع الكترونية : -
- الحقوق الاجتماعية في الإسلام، مركز الرسالة.
- المنقب القرآني.
- باب من لا ينبغي مجالسته ومصاحبته، مركز سيد الشهداء للبحوث الإسلامية.
- موقع الدرر السنية.
- موقع صيد الفوائد.
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة.





## المحتويات

إهداء.....	٥
تحميس قصيدة الفرزدق في الإمام زين العابدين.....	٧
مقدمة الكتاب.....	١٥
أولاً: الإنحراف الثقافي: وقد حدث عن طريق.....	٢٠
ثانياً: الإنحراف الأخلاقي.....	٢١
حق الله.....	٢٣
معرفة النفس.....	٢٦
العبادة التعاملية والعبادة الشعائرية.....	٣١
العبادة في أدق تعريفها.....	٣٣
الله الذي نعرفه.....	٣٥
الماء يروي لك القصة.....	٣٥
الله الذي نعرفه.....	٣٩
الله الذي نعرفه.....	٤١
الله والكون المعقد.....	٤١
حق النفس.....	٤٥
حق النفس.....	٤٦
- تعريف (النفس) عند ملا صدرا.....	٤٧
تزكية النفس:.....	٥١
حق اللسان.....	٥٧

٥٨	حق اللسان
٦٠	أجزاء اللسان
٦٠	سطوح اللسان
٦١	عضلات اللسان
٦١	الدورة الدموية في اللسان
٦٢	أعصاب اللسان
٦٣	وظيفة اللسان
٦٦	حفظ اللسان
٦٨	آفات اللسان
٧٣	حق السمع
٧٤	حق السمع
٧٥	حاسة السمع في القرآن الكريم
٧٦	مقدمة :
٧٧	السمع في القرآن الكريم
٧٨	أهمية السمع
٧٩	نشأة حاسة السمع وتطورها
٨١	قصور الأذن البشرية
٨٣	حاسة السمع أثناء النوم
٨٧	حق البصر
٨٨	حق البصر
٩٠	تركيبية العين
١٠١	حق الرجلين
١٠٢	حق الرجلين
١٠٣	تركيبية رجل الإنسان
١٠٦	الوظيفة :
١٠٩	الهيكل العظمي للقدم
١٠٩	أقواس القدم

الأربطة والعضلات .....	١١٠
القدم وأمراضها .....	١١٠
حق اليد .....	١١٣
حق اليد .....	١١٤
الإنفاق .....	١١٨
قرض الحسنه .....	١١٨
الترحم على الأيتام .....	١١٨
التقشير .....	١١٨
طلب الحلال .....	١١٩
حق البطن .....	١٢١
حق البطن .....	١٢٢
حق الفرج .....	١٢٧
حق الفرج .....	١٢٨
حق الصلاة .....	١٣١
ما سر كون رجل مثل علي كله إيمان .....	١٣١
حق الصلاة .....	١٣٢
حق الصوم .....	١٤١
حق الصوم .....	١٤٣
حق الحج .....	١٤٧
حق الحج .....	١٥٠
المصالح الخاصة لأعمال الحج .....	١٥٤
حق الصدقة .....	١٥٧
حق الصدقة .....	١٦٠
حق الهدي .....	١٦٥
حجّه عَلَيْهِ السَّلَام .....	١٦٦
حق الهدي .....	١٦٨
١ - الأبعاد الروحية للهدي .....	١٦٨

١٧٠	٢- الهدي في بعده الإجتماعي .....
١٧٣	حق سائسك بالسلطان .....
١٧٣	موقف الإمام زين العابدين من أعوان الظلمة .....
١٧٥	حق سائسك بالسلطان .....
١٨١	حق سائسك بالعلم أو حق المعلم .....
١٨٣	حق سائسك بالعلم أو حق المعلم .....
١٨٩	حق المالك .....
١٩٠	حق سائسك بالملك .....
١٩١	سير الاستعباد في التاريخ .....
١٩٢	أولاً: أسباب الرق: .....
١٩٤	ثانياً: سياسة معاملة الأرقاء .....
١٩٦	ثالثاً: وإخيراً سبل تحرير الأرقاء .....
١٩٩	حق الرعية بالسلطان .....
١٩٩	موقف الإمام زين العابدين من الظالمين .....
٢٠١	الموقف من أعوان الظلمة .....
٢٠٤	حق الرعية بالسلطان .....
٢٠٩	حق الرعية بالعلم .....
٢٠٩	مكانة الإمام زين العابدين العلمية .....
٢١١	حق الرعية بالعلم .....
٢١٧	حق الزوجة .....
٢١٨	حق الزوجة .....
٢٢١	حقوق الزوجة في السنّة النبوية .....
٢٢٣	حقوق الزوجة في فكر أهل البيت <small>عليهم السلام</small> .....
٢٢٤	أن يتعاهد الزوج زوجته بالهدية .....
٢٢٥	الهدية من الزوج مما يزيد في عفة الزوجة .....
٢٢٥	الإسراع في التهادي .....
٢٢٧	الوصية .....

٢٢٨	..... وختاماً مع وصية رسول الله ﷺ حيث يقول
٢٢٩	..... حق الرعاية بملك اليمين
٢٢٩	..... التربية العالية والخلق الرفيع
٢٣٠	..... حق الرعاية بملك اليمين
٢٣٧	..... حق الأم
٢٣٨	..... حق الأم
٢٤٨	..... «في ذكرى الرحيل»
٢٤٨	..... ومن الصور الرائعة ببر الوالدين
٢٤٩	..... فضل بر الوالدين
٢٥٠	..... مظاهر عقوق الوالدين
٢٥٣	..... حق الأب
٢٥٤	..... أخلاقه وأدبه ﷺ مع أبويه
٢٥٥	..... حق الأب
٢٦٥	..... حق الولد
٢٦٦	..... حق الولد
٢٦٩	..... ١- تعليم المهارات
٢٦٩	..... ٢- اسم حسن وأدب حسن
٢٦٩	..... ٣- تعليم القرآن والعقيدة الصحيحة
٢٦٩	..... ٤- علّمه الصلاة
٢٧٠	..... ٥- حقّ قبل الولادة
٢٧٠	..... ٦- أعنه على برّك
٢٧٠	..... ٧- برّ بولدك
٢٧٣	..... أولاً: حق الولد في الاسم الحسن
٢٧٤	..... ثانياً: حق التأديب والتعليم
٢٧٧	..... حقّ العدل والمساواة:
٢٧٩	..... نماذج من وصايا الآباء
٢٨١	..... حق الأخ

٢٨٣	..... حق الأخ
٢٨٣	..... مفهوم الأخوة، الأخوة في اللغة
٢٨٥	..... أولاً: أخوة النسب
٢٨٧	..... ثانياً: أخوة الدين
٢٩٥	..... <b>حق المنعم على مولاه</b>
٢٩٦	..... حق المنعم على مولاه
٢٩٧	..... الجزء الأول
٢٩٧	..... النظام الإسلامي والرق
٣٠٣	..... تعريف الشكر في اللغة
٣٠٤	..... الشكر في الاصطلاح
٣٠٦	..... مبنى الشكر
٣٠٩	..... <b>حق مولاك</b>
٣١٠	..... حق مولاك
٣١٣	..... ١- الحق في الإكرام والتكريم :
٣١٤	..... ٢- الحق في العناية والرعاية :
٣١٥	..... ٣- الحق في الاحترام والتبجيل :
٣١٥	..... ٤- الحق في التربية والتعليم :
٣١٦	..... ٥ - بعض الوصايا التي تختص بالمعاملة الطيبة :
٣١٩	..... <b>حق ذي المعروف</b>
٣٢٠	..... حق ذي المعروف
٣٢١	..... مقدمة في المعروف
٣٢٢	..... مكانة المعروف وأهله
٣٢٤	..... أنواع المعروف
٣٢٦	..... صور الإحسان
٣٢٧	..... ١- الإحسان في عبادة الله
٣٢٨	..... ٢- الإحسان إلى الوالدين
٣٢٨	..... ٣- الإحسان إلى الجار



٣٢٩ .....	٤- الإحسان إلى اليتامى والمساكين:
٣٢٩ .....	٥- الإحسان في المعاملات التجارية:
٣٣٠ .....	٦- الإحسان إلى المسيء:
٣٣١ .....	٧- الإحسان في الكلام:
٣٣١ .....	٨- الإحسان في الجدل:
٣٣١ .....	٩- الإحسان إلى الحيوان:
٣٣٢ .....	الإحسان في الشعر:
٣٣٣ .....	«ومن المعروف»
٣٣٥ .....	أولاً: خصائص وصفات ذاتية
٣٣٨ .....	ثانياً: خصائص وصفات عملية وسلوكية
٣٤٢ .....	حقوق صاحب المعروف:
٣٤٥ .....	<b>حق المؤذن</b>
٣٤٥ .....	الله اكبر
٣٤٧ .....	«حق المؤذن»
٣٥٣ .....	فضل الأذان والمؤذن وفوائده
٣٥٦ .....	متى شرع الأذان
٣٥٨ .....	شروط الأذان والإقامة
٣٦١ .....	حق إمام الجماعة
٣٦١ .....	<b>الصلاة ترهب الطغاة</b>
٣٦٢ .....	حق إمام الجماعة
٣٦٣ .....	أولاً: صلاة الجماعة
٣٦٧ .....	ثانياً: صلاة الجمعة:
٣٧٢ .....	صلاة الجمعة في السنة النبوية:
٣٧٤ .....	فتاوى العلماء في صلاة الجمعة:
٣٧٩ .....	<b>حق المجلس</b>
٣٨٠ .....	حق المجلس
٣٨٢ .....	المجالس

٣٨٥	..... من نجالس
٣٨٨	..... آداب المجالس والجلوس
٣٩٣	..... حقوق الجليس
٣٩٥	..... حق الجار
٣٩٧	..... حق الجار
٣٩٨	..... تعريف الجار
٣٩٩	..... ثانيًا: أنواع الجيران
٤٠٠	..... حسن الجوار
٤٠٠	..... الجار الصالح
٤٠١	..... • منزلة الجار
٤٠٢	..... الجار وصية جبرئيل <small>عليه السلام</small> والنبى <small>ﷺ</small>
٤٠٢	..... الجار كالنفس وبحرمة الأم
٤٠٣	..... كيف نحسن إلى الجار؟
٤٠٣	..... ١ - كفّ الأذى
٤٠٤	..... ٢ - الصبر على الأذى
٤٠٤	..... نماذج مضيئة للصبر على أذى الجار
٤٠٥	..... ومن صور حسن الجوار
٤٠٥	..... حقوق الجار
٤٠٨	..... الجار في دعاء الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small>
٤٠٩	..... كلمة ختام :
٤١١	..... مصادر ومراجع البحث



